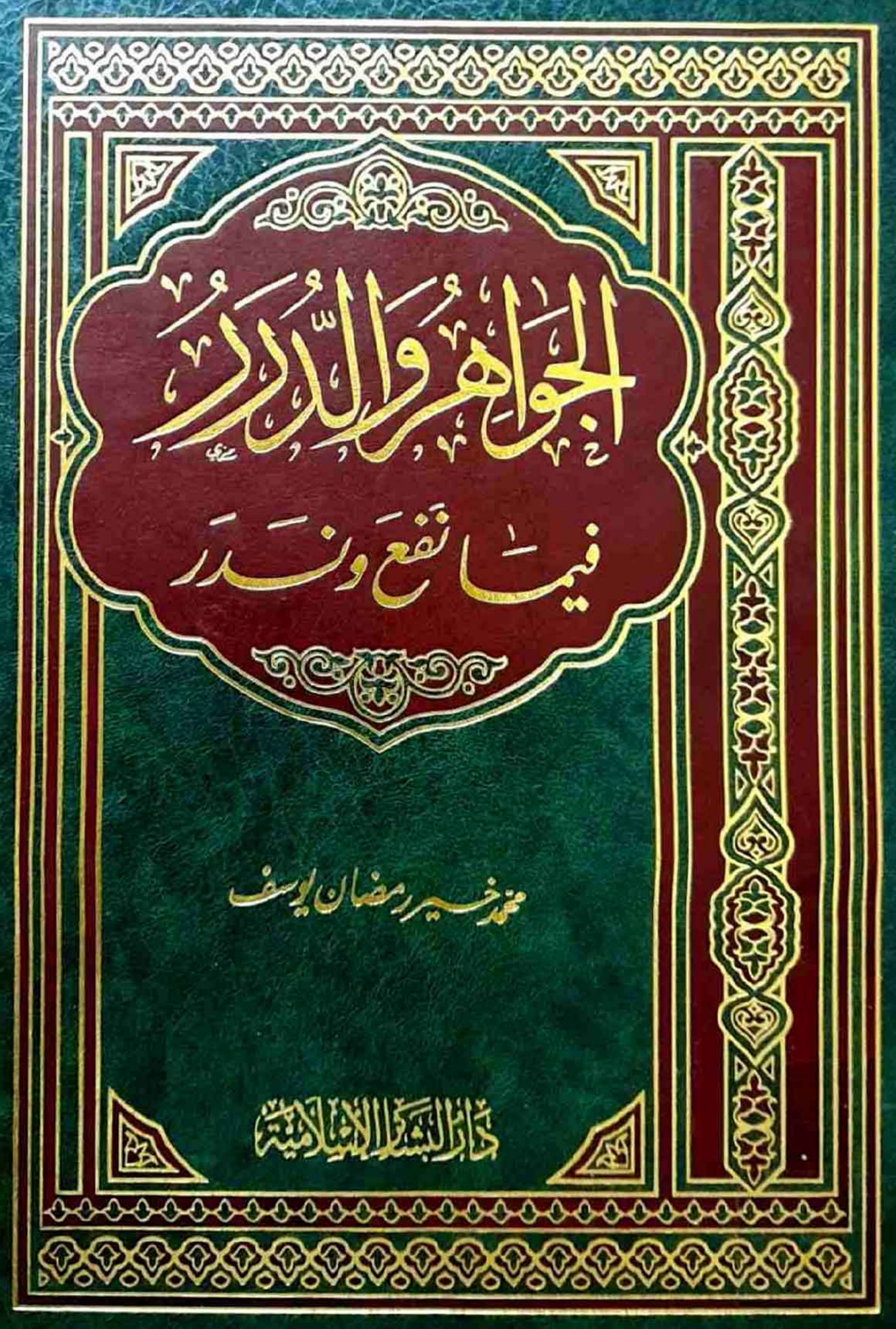


الجواهر والدرر
فيما نفع وندر
محمد خير رمضان يوسف
دار البشائر الإسلامية

الجواهر والدرر

فيما نفع وندر

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb



محمد خير رمضان يوسف

دار البشائر الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد للّٰه ربِّ العالمين
والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين
وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقـــدّمة

هذه طاقةٌ أخرىٰ من رياحينِ العلم، قطفتُها من بساتينِ العلماء.

شممتُ أزهارَها، وطَعِمْتُ ثمارَها، وتنسَّمتُ هواءَها، وشربتُ مِن جداولها، واسترحتُ بين أشجارها، واطمأننتُ إلى تربتها، واستأنستُ بشدوِ أطيارها. . .

ولمّا كانتْ جولتي بين البساتينِ للاختيارِ والامتيار، فقد اكتفيتُ من الزهورِ بأذكاها، واخترتُ من جداولها أعذبها، ومن ثمارها أطيبها، ومن هوائها عليله، ومن أشجارها أعذاقها، ومن تربتها نديَّها، ومن شدوِ أطيارها أجملَهُ وأشجاه.

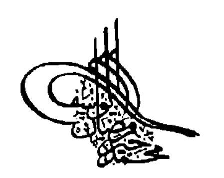
ونهجتُ في هذا الكتابِ نهجَ كتابـي «نوادر الشوارد» من اختياراتٍ عاليةٍ في الثقافةِ غالباً، تحقيقاً وتدقيقاً، موشَّحةً بالعلمِ والأدب، ومبطَّنةً بـالنفـعِ والفـائـدة، ومـروَّحـةً بـالنـدرةِ والتشـويـق، ومتنـوعـةً لتنـاسـبَ جـلَّ الاهتمامات؛ بهدفِ التربية السليمة، والثقافةِ الهادفة، النابعةِ من قلبِ الإسلامِ، وبحرِ اهتمامه.

وفي اللغة: نَدَرَ الكلامُ: فَصُحَ وجاد. ونَدَرَ فلانٌ في علمٍ وفضل: تقدَّمَ وقلَّ وجودُ نظيره.

ورتبتُ فقراته موضوعيًّا، في تناسب وتناسق، تجدها تفصيلاً في الفهارس.

وقد جمعتُها في تَيْدٍ وروِيَّة، امتدَّ زمنها إلى أكثرَ من خمسٍ سنوات.

ومن الأحبابِ أطلبُ الدُّعاء، ومن اللهِ أرجو القَبولَ والجزاء.



١٢/٧/١٤٢٤هـ

[١]

ما رأي القارىء؟

يقول الأديب الراحل مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله:

لقد جهل الذين قالوا إن الكتاب يُعرف بعنوانه!!

فإني لم أر بين كتب التاريخ أكذب من كتاب «بدائع الزهور»، ولا أعذب من عنوانه. ولا بين كتب الأدب أسخف من كتاب «جواهر الأدب»، ولا أرقَّ من اسمه! كما لم أر بين الشعراء أعذب اسماً وأحطَّ شعراً من ابن مليك، وابن النبيه، والشابِّ الظريف!

لقد كثر الاختلاف بين العناوين وبين الكتب حتى كدنا نقول: إنَّ العناوين أدلُّ على نقائضها منها على مفهوماتها، وألصق بأضدادها منها بمنطوقاتها، وأن العنوان الكبير حيث الكتاب الصغير، والكتاب الجليل حيث العنوان الضئيل[1]!

قلت: هذا الكلام ليس على إطلاقه، وقد أوردته لظرافته وحساسية كاتبه، وهو كلام أديب بلاغي لا ناقد علمي! وقد أحسن عندما احتاط لكلامه فقال: «حتى كدنا نقول».

---

(١) الانتقام، ودمعة على الإسلام، وقصص أخرى/ مصطفى لطفي المنفلوطي. ـ صيدا: علي حمد، د. ت، ص ٩٠.

[٢]
أيضاً.. افتتاحية الكتب

سبق أن ذكرت في كتابي «نوادر الشوارد» رقم (٦) أنَّ الكثير يتداولون نقل افتتاحية معروفة للكتب، وهي أنه: «لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلاَّ قال في غده: لو غُيِّر هذا فكان أحسن...» وأنهم ينسبونها إلى العماد الأصفهاني (ت٦٤٣هـ)، بينما هي للقاضي عبد الرحيم البيساني (ت٥٩٦هـ) ـ وهو من وزراء صلاح الدِّين الأيُّوبي ـ كما أفاده مرتضى الزبيدي في كتابه «إتحاف السَّادة المتَّقين».

ثم تبيَّن لي من المطالعة أنه قد قيل هذا الكلام قبله بقرنين وربما أكثر! فقد أشار إلى هذه العبارة عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في مقدمة كتابه «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، فقال: «... تَبَيَّنْتُ مصداق ما قرأته في بعض الكتب: أنَّ أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلاَّ أحبَّ في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه». اهـ.

ورحم الله الإمام المزني ـ صاحب الإمام الشافعي ـ الذي قال: «لو عورض كتابٌ سبعين مرة لوُجِد فيه خطأ. أبى الله أن يكون كتابٌ صحيحاً غير كتابه»!

[٣]
إهداء جميل

إهداء جميل، في شعر رائع، قالته الأستاذة رجاء السيد الجوهري، في صفحة خاصة من أول تحقيقها لكتاب «طراز الحُلَّة وشفاء الغلَّة»،

لأبـي جعفر شهاب الدِّين أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي (ت ٧٧٩هـ)، الذي شرح فيه «الحُلَّة السيرا في مدح خير الورى» من نظم محمد بن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠هـ)[1]:

يـا مـن تهيـمُ بخيـرِ النـاسِ كلِّهـم ... أهـدي إليـك سـلام الله فـابتسـم
وهـاكَ حُلَّـةَ مجـدٍ طُـرِّزتَ فغـدتْ ... بـالشـرح أشهـر مـن نـارٍ علـى عَلَـمِ
يفـوح منهـا أريـجُ المسـكِ منتشـراً ... يُحَـدِّث النـاس عـن طـه بغيـرِ فـمِ
فتنتشي الروح من ذكرى الحبيب لها ... ويشتفي القلب من سُقْمٍ ومن ألمِ
نسيجهـا الشعـرُ والقـرآن رصَّعهـا ... مع الحديث وأحلى النثر فاغتنمِ
بمدح خير الورى صار «البديع» حُلَّى ... يـزينـه مـا حـوى مـن أجمـل الشيـمِ
وقـد بـدت جَنَّـةً فيحـاءَ عـامـرةً ... دانٍ جِنَـاهـا لنـا مـوفـورةَ النِّعَـمِ
فانعم بخيراتها واسعد بما وسعتْ ... فمـن سنـا علمهـا تنجـو مـن الظُّلَـمِ
واهـدِ السـلام لمـن جـلاّ محـاسنهـا ... واشكر لمن صاغها من رائعِ الكلمِ
وادعُ لمن حققت مكنون جوهرها ... بثـاقـب اللحـظ لا تشكـو مـن العتـمِ
واطلب لنا من رحيمِ الخلقِ مغفرةً ... تمحو الذنوب من الزلاّت واللممِ

[٤]
أسلوب مطالعة الكتاب

قال الأديب الدمشقي جميل العظم (ت ١٣٥٢هـ) رحمه الله:

وجدتُ على ظهر كتاب «الفرائد والفوائد والسوانح واللوائح» ــ لم يذكر فيه مؤلفه ــ:

(١) وقد صدر عن مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية، تاريخ المقدمة ١٤١٠هـ، ويقع في ٧١٣ ص، ولعلها رسالتها في الدكتوراه.

أسلوب مطالعة الكتاب: أن ينظر في ألفاظه ومعانيه، ويتدبَّر غاية التدبُّر في أنَّ هذا اللفظ موضوع لذلك المعنى أم يحتمل غيره، وأنه لازم أو متعدٍّ، ومن أيِّ باب، وأنه صفة أو مضاف أو جزاء أو معرفة أو نكرة، وأنه عام أو خاص، وتعريفه وشرائطه موجود أو معدوم. ويتأمل وجه تقديم الكلام وتأخيره وترتيبه، ومناسبته ذلك في كل لفظ. وأن ينظر في المتن والشرح، ويقصد أن يعرف أنَّ الشارح من أيّ عبارة المتن أخذ واستخرج الذي ذكره، ويجهد أن يجد منعاً أو مناقضة أو معارضة على قانون يوجبه علمُ المناظرة.

وبالجملة يلزمه أن ينظر في مؤلفات الفضلاء: كيفية أخذهم، وإخراجهم، وأسلوب مطالعتهم وأسئلتهم وأجوبتهم. ويتشبَّه بهم ويقلِّدهم. ويستعمل العلوم الآلية من: لغة، وصرف، ونحو، ومنطق، ومعان كاستعمالهم. انتهى[1].

قلت: هذا شأن طلبة العلم الجادين والعلماء الراسخين والمتعمقين من أهل العلم، وخاصة في النظر في كتب السلف رحمهم الله، متناً وحاشية، وفي هذا العصر اختلف أسلوب التأليف وكذلك المطالعة. وتحصيل معرفةٍ متنوّعةٍ يلزم فيها القراءة السريعة، فيما عدا الأصول. . .

[٥]
أرطال من الحبر!

الحافظ العالم، شيخ العراق، أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين البغدادي، عُرف بكثرة تصانيفه. قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: صنَّف ما لم يصنِّفه أحد. وذكر الحافظ الذهبي أنه صنَّف ثلاثمائة كتاب، منها:

(١) الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات ص ٩٥.

«التفسير» في ألف جزء، و «المسند» ألف وثلاثمائة جزء، و «التاريخ» مائة وخمسون جزءًا، و «الزهد» مائة جزء.

روى عنه تلميذه القاضي أبو بكر محمد بن عمر الداودي قوله: حسبتُ ما اشتريتُ به الحبرَ إلى هذا الوقت، فكان سبعمائة درهم!

قال الداودي: وكنا نشتري الحبر أربعة أرطال بدرهم!

قال: وكتب أبو حفص بعد ذلك زماناً!

عاش تسعاً وثمانين سنة، ومات في ذي الحجة سنة ٣٨٥هـ(١).

[٦]
تبدع.. عندما تكون حرًّا!

يقول الأديب الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله في مقدمة كتابه «النظرات»:

يسألني كثير من الناس كما يسألون غيري من الكتّاب: كيف أكتب رسائلي؟!

كأنما يريدون أن يعرفوا الطريق التي أسلكها إليها فيسلكوها معي. وخيرٌ لهم ألاَّ يفعلوا؛ فإنِّي لا أحبُّ لهم ولا لأحد من الشادين في الأدب أن يكونوا مُقَيَّدين في الكتابة بطريقتي أو طريقة أحد من الكتّاب غيري.

وليعلموا ــ إن كانوا يعتقدون لي شيئاً من الفضل في هذا الأمر ــ أني ما استطعتُ أن أكتب لهم تلك الرسائل بهذا الأسلوب الذي يزعمون أنهم يعرفون لي الفضل فيه إلاَّ لأني استطعتُ أن أتفلّتَ من قيود التمثُّل

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٣١.

والاحتذاء، وما نفعني في ذلك شيءٌ ما نفعني ضعف ذاكرتي والتواؤها عليَّ وعجزها من أن تمسك إلاَّ قليلاً من المقروءات التي كانت تمرُّ بـي؛ فلقد كنت أقـرأ مـن منثور القول ومنظومه ما شاء الله أن أقرأ، ثم لا ألبث أن أنساه، فـلا يبقى مـنه فـي ذاكـرتي إلاَّ جَـمـالُ آثاره، وروعة حسنه، ورنَّة الطرب به.

وما أذكر أني نظرت في شيء من ذلك لأحشو به حافظتي، أو أستعين به على تهذيب بياني، أو تقويم لساني، أو تكثير مادة علمي باللغة والأدب، بل كل ما كان من أمري أنني كنت امرءًا أحب الجمال وأفتتن به كلما رأيته في صـورة الإنسـان، أو مطلـع البـدر، أو مغـرب الشمـسُ، أو هجعـة الليـل، أو يقظة الفجر. . .

[٧]
دعاء على من لم يُراع حقوق التأليف

كتـب المـؤرِّخ الكبيـر علـي بـن الحسيـن المسعـودي (ت ٣٤٦هـ) رحـمـه الله في مـقـدمـة كتابـه المشهـور «مـروج الـذهب ومعـادن الجوهر» ما يلي:

. . . فمن حرَّف شيئـاً من معنـاه، أو أزال ركنـاً مِن مبناه، أو طمـس واضحةً من معالمه، أو لبَّس شاهـده من تراجمـه، أو غيَّـره، أو اختصـره، أو نسبه إلى غيرنا، أو أضافه إلى سوانا، فوافاه من غضب الله وسرعةِ نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره، وسلبه الله ما أعطاه، وحال بينه وما أنعم عليه من قوَّة ونعمة. . فليراقب اللهَ ربَّه، وليحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمنافسة قصيرة، وإلى الله المصير، وبالله التوفيق!

[٨]
حقّ المؤلّف.. أبَدي أم مؤقَّت؟

هل الحق المالي في نشر الكتاب يورث أبداً، أو يورث لمدة معينة وبعدها ينتهي هذا الحق؟

ذهب بعض الفقهاء المعاصرين إلى أن أقصى مدة لاستغلال الورثة لحق النشر هو ستون عاماً من تاريخ وفاة المؤلف[١]، وذلك اعتباراً بأقصى مدة للانتفاع عرفها الفقه الإسلامي في حق الحكر، وهو حق القرار على الأرض الموقوفة للغرس أو البناء بطريق الإجارة الطويلة. وأصل هذا الاعتبار هو كون الإنتاج العلمي نسبيَّ الابتكار، لاعتماده على تراث السلف، وهو حق عام للأمة بمثابة الموقوف على جهة برٍّ عامة.

وبعد مضيّ هذه المدة من وفاة المؤلِّف يصبح الإنتاج الفكري حقًّا مشتركاً للأمة، وعنصراً من تراثها على مرِّ القرون.

وذهب بعضهم إلى أنَّ استغلال حق النشر ينتقل إلى الورثة مؤبداً؛ لأنه حقٌّ ماليٌّ مملوك للمورِّث، فينتقل إلى ورثته مؤبداً، كسائر أملاكه[٢].

[٩]
علاقة مفعول الكتاب بحجمه

في بيان منهجه عند اختيار قائمة الكتب التي غيَّرت وجه العالم يقول «روبرت داونز»:

---

(١) أجمعت القوانين التي نظمت حق المؤلف على تحديد مدة معينة ينقضي بانتهائها حق الورثة في استغلال المصنَّف، على اختلاف بينها في تحديدها.

(٢) إرث الحقوق في الفقه الإسلامي/ عياد العنزي. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٨هـ، (رسالة الماجستير) ١/ ٢١٨.

إن كتاب «التفكير السليم» لبين، و «العصيان المدني» لثورو، و «المحور الجغرافي للتاريخ» لماكندر، لا تعدو أن تكون كلها كتيبات أو رسائل قصيرة، نشرت الثلاثة الأولى بشكل مقالات في البداية، فهي على الضد من الكتب الضخمة الأخرى مثل: «الأصول الرياضية»، و «ثروة الأمم» والطبعات الأخيرة من كتاب مالتس عن السكان، وكذلك كتاب «رأس المال» و «كفاحي».

وروي عن فولتير أنه قال: «إنَّ الكتب الضخمة ليست هي الكتب التي تشعل نار الثورة في الشعب، وإنما تضرم نارها الكتب الصغيرة المفعمة بالحماسة والتحريض».

وهذا قول ينطبق على «بين» و «ثورو» ولكنه لا ينطبق على «ماكندر» و «أينشتاين»[1].

[١٠]
الكنّاشات

قال البلوي في كتاب «ألف با» ١/ ٣٩:

وما رأيت أحداً ممن لقيته من أهل الآفاق إلاَّ وله تعاليق وأوراق تحتوي على حكايات وأشعار، ورسائل وأخبار.

ومن نماذج التذكرات الأندلسية المذكورة «حانوت عطار» لابن شهيد، ثم الكتاب «المظفري» للمظفر صاحب بطليوس في خمسين مجلداً، اشتمل على فنون وعلوم..

---

(١) كتب غيرت وجه العالم/ روبرت داونز؛ ترجمة أحمد صادق حمدي. ـ القاهرة: وزارة التربية، د. ت، ص ١٩.

وهذه المقيدات تسمى أحياناً التذكرة، والكنّاشة... تسجّل بها المقيدات دون انتظام، وإنما تكتب شبه مذكرات، يدوّن فيها المعنيُّ بالأمر ما يهمّه حسبما يتفق له، ولهذا لم تكن مبوبة في الغالب، وقليل منها يصدَّر بفهرس للكشف عن الموضوعات... وهي تعكس في الأكثر اتجاه صاحبها. وغالبية هذه المدونات لا تحمل اسم صاحبها. ومن مزاياها أنها قد تنفرد بإفادات تاريخية منوعة، وربما تكون غير معروفة بالمرة، فتكشف هذه الإفادات عن معلومات جديدة، في موضوع التراجم أو أحداث مجهولة يجلّيها شاهد عيان، أو اقتباسات من مؤلفها صارت ضائعة، وأحياناً يقع العثور على حقائق لم تكن إذاعتها ميسورة في حياة مدونها. هذا إلى أنَّ عديداً من هذه المقيدات تستفاد منها الترجمة الذاتية لصاحبها كلاً أو بعضاً[1].

[١١]
«الكشكول».. ما معناه؟

الكشكول: هو التذكرة، أو ما يمكن أن يسمَّى: «دفتر مذكّرات»، يسجِّل فيه صاحبه ما يعنُّ له، وما يراه مهمًّا له من أفكار أو من اقتباساتٍ مما يقرأ أو يسمع في المجالس أو المناظرات، أو أنه قد يسجِّل فيه بعض مؤلَّفاته، أو مؤلَّفات غيره كاملةً، أو بعض فصولها مما اختاره منها.

وتكون الكشاكيل عادة بخط واحد، وإلاَّ صارت من فئة المجاميع.

وقد وصلت إلينا بعض هذه التذكرات، مثل: «تذكرة ابن حمدون»، و«تذكرة الحميدي»، و«تذكرة ابن مكتوم»، و«تذكرة الصفدي» وغيرها،

---

(١) ينظر: قبس من عطاء المخطوط المغربي/ محمد المنوني. ــ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١/ ٢٤٥.

وما لم يصل إلينا بعدُ مما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون والبغدادي في إيضاح المكنون كثير.

أما لفظة «كشكول» فقد قيل: إنها فارسية الأصل. وهي تعني: وعاءً بيضويَّ الشكل، يُصنع من المعدن أو الخشب أو من جوز الهند، ارتبط بالدراويش الذين يسألون الناس صدقاتهم من المال والطعام وغير ذلك، فيجمعون ما يحصلون عليه في الكشكول، وهذا الوعاء يتدلى من سلسلة على أكتافهم. بيد أنَّ بعضهم استبعد هذا المعنى لورود اللفظة بصيغ مختلفة في الأدب الفارسي، لا علاقة لها بالدراويش وصنعتهم.

وقيل: إنَّ أصلها آرامي، وتعني: «جَمَع الكل»، أو: «قَشَّ الكل»، فإذا كان الأمر كذلك، فإن أصلها عربـي وليس فارسياً، والآراميون كانوا من العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية.

أما في المغرب والأندلس فقد شاعت لفظة التذكرة، أو الدفتر، أو الكُنّاش[1].

[١٢]
المعاجم والمشيخات والأثبات وما إليها

ــ «المعجم» في اصطلاح المحدِّثين: ما تُذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة، أو الشيوخ، أو البلدان، أو غير ذلك.

ــ «المشيخة»: أطلقوها على الكراريس التي يجمع فيها الإنسان شيوخه.

---

(١) علم الاكتناه العربي الإسلامي/ قاسم السامرائي. ــ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ، ص ١٥١.

والمشيخات من معنى المعاجم، إلاّ أن المعاجم يرتب المشايخ فيها على حروف المعجم، والمشيخة تشمل أشكالاً مختلفة في الترتيب.

ــ «الثَّبَت»: ما يثبت فيه المحدِّثُ مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه. أو: هو الفهرس الذي يجمع فيه المحدِّث مروياته وأشياخه.

ــ «الفهرس»: أطلقوه على الكتاب الذي يجمع فيه المحدِّث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته.

ــ «البرنامج»: الكتاب الذي يكتب فيه المحدِّث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته.

ــ «السَّنَد»: هو الإخبار عن طريق المتن، أو رفع الحديث إلى قائله.

والمحدِّثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد. واستعير «السند» للكتاب الذي يكتب فيه المحدِّث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته.

ــ «التقييد»: الكتاب الذي يكتب فيه المحدِّث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته.

ــ «الأوائل»: هو جمع أوائل المصنفات في كرَّاسة أو أكثر، يحملها الطالب فيقرأها على مشايخه، فيرجع من رحلته أو وجهته وهو يقول: أروي المصنف الفلاني من شيخي سماعاً لأوله وإجازة لباقيه.

ــ «المسلسلات»: الأحاديث المسلسلة التي تتابع رجال إسنادها على صفة أو حالة إلى رسول الله ﷺ.

قال الكتاني: اعلم أنه بعد التتبع والتروي ظهر لنا أن الأوائل كانوا يطلقون لفظة «المشيخة» على الجزء الذي يجمع فيه المحدِّث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك «المعجم» لمّا صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال

وإطلاق المعاجم مع المشيخات. وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون «البرنامج».

أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون إلى الآن: «الثَّبَت»، وأهل المغرب إلى الآن يسمُّونه «الفِهْرِسة».

وقال باحث متتبع: وبعد النظر والتأمل يتبين لنا أن «السند» و «التقييد» و «الأوائل» و «المرويات»، و «السماعات» و «المسلسلات» و «الإجازات» ما هي إلاَّ مصنَّفات يدوِّن فيها المحدِّث أسماء شيوخه ومروياتهم، وأن التعدُّدَ في هذه المسميات يرجع إلى الاختلاف في الأسلوب والطريقة المتبعة في كتابة هذه المصنفات، إضافة إلى الغاية التي يصبو إليها من تأليفه للكتاب(١).

[١٣]
لغز.. في هذا الذي تقرأ فيه

وما روضةٌ يَجْني اللبيبُ ثمارها	وذو الجهلِ منا لا ينالُ سوى الوَرَقْ
زكا غَرْسُها في غيرِ أرضٍ وأصلُها	إذا ما سُقِي ماءً تمزَّق وانخرقْ

الجواب:

(كتابٌ) هو اللغزُ الذي طابَ أصلهُ	وأثماره منه المعاني تَخْتَرِقْ
وكلُّ لبيبٍ يجتني من ثمارِهِ	وأما ذَوو جهلٍ يقلِّبُ للوَرَقْ(٢)

(١) علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم/ موفق بن عبد الله بن عبد القادر. ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ، ص ١٥ ـ ٢٢ باختصار.

(٢) الأحاجي والألغاز الأدبية/ عبد الحي كمال، ص ١٧١.

[١٤]
الكتاب يزيل الهموم

إذا مـــا الـــدهـــرُ بيَّتنـــي بجيـــشٍ	طليعتـــــهُ اغتمــــامٌ واغتــــرابُ
شننـــتُ عليـــه مـــن جهتـــي كمينـــاً	أسيـــراهُ الـــذُّبـــالـــةُ[١] والكتـــابُ
وبـــتُّ أنـــصُّ مـــن شيـــمِ الليـــالـــي	عجـــائـــبَ مـــن حقـــائقهـــا ارتيـــابُ
بهـــا أجلـــو همـــومـــي مستـــريحـــاً	كمـــا جلَّـــى همـــومَهُـــمُ الشـــرابُ[٢]

[١٥]
حزن.. على كتاب

حكى الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي أن أبا الحسن علي بن أحمد الفالي الأديب (ت ٤٤٨هـ) كانت له نسخة من كتاب «الجمهرة» لابن دريد في غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها، فباعها، واشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً، وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن الفالي المذكور، وهي:

أَنِسْـتُ بهـا عشـريـن حـولاً وبعتُهـا	لقد طال وجدي بعدها وحنيني
ومـا كـانَ ظنـي أننـي سـأبيعهـا	ولو خلَّدتني في السجونِ ديوني
ولكـن لضعـفٍ وافتقـارٍ وصِبْيَـةٍ	صغـارٍ عليهـم تستهـلُّ شـؤونـي
فقلـتُ ولـم أملـك سـوابـق عبـرةٍ	مقـالـة مَكـويِّ الفـؤاد حـزيـنِ:

---

(١) الذبالة: الفتيلة.

(٢) نقايات من ضرر الغرر/ أحمد بن شقرون. ــ الرباط: وزارة الأوقاف، ١٤١٥هـ، ص ٣٣.

«وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أم مالك كــرائــم مــن ربٍّ بهــنَّ ضنيــنِ»

أورده ابن خلكان في «وفيات الأعيان»[1]، وقال محققه: زاد بعده في المطبوعة: «فأرجع النسخة إليه وترك له الدنانير، رحمه الله تعالى». ولم يرد هذا في أصل المؤلف أو في سائر المخطوطات.

[١٦]
نياحة.. على جزء من كتاب!

عثر الوزير جمال الدين القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ على نسخة مليحة من كتاب «الأنساب» لابن السمعاني ينقصها مجلد من أصل خمسة مجلدات، فاشتراها، وظل يبحث عن المجلد الناقص ويطلبه من مظانه فلم يتوفق إلى الحصول عليه.

واتفق أن بعض معارفه اجتازوا بسوق القلانسيين، فصادفوا أوراقاً من المجلد المفقود أحضروها إليه.

فاستدعى جمال الدين صانع القلانس واستطلعه طِلْعَ المجلد المذكور، فقال له القلانسي: اشتريته في جملة أوراق وعملته قوالب للقلانس.

فحزن القفطي حزناً مفرطاً، وتخلَّف عن الذهاب إلى مركز وزارته في قلعة حلب، وأقام في داره مناحة استدعى إليها ندَّابين وندَّابات، فناحوا على المخطوط المفقود وندبوه كما يُندب ميت عزيز. وتوافد الأعيان والأصدقاء والأدباء يعزون الوزير ويُسَرُّون الغم عن قلبه[2]!

---

(١) ٣/٣١٦ بتحقيق إحسان عباس.

(٢) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/٤٢١.

[١٧]
عندما دَفَنَ كُتبه

شيخ المحدِّثين أبو كريب محمد بن العلاء بن كريب إمامٌ حافظ ثقة. روى له الستة. ت ٢٤٨هـ.

روى مُطَيَّن أن أبا كريب رحمه الله أوصى بكتبه أن تُدفن، فدُفنت!

قال الإمام الذهبـي:

فعلَ هذا بكتبه ـ من الدفن والغسل والإحراق ـ عدَّةٌ من الحفّاظ، خوفاً من أن يظفر بها محدّثٌ قليلُ الدِّين فيغيِّر فيها ويزيد فيها؛ فيُنسب ذلك إلى الحافظ، أو أن أصولَهُ كان فيها مقاطيع وواهيات ما حدَّث بها أبداً، وإنما انتخب من أصوله ما رواه، وما بقي فرغب عنه، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام. فلهذا ونحوه دفن ـ رحمه الله ـ كتبه[١].

[١٨]
إعارة الكتب.. واستعارتها

* قال محمد بن خليفة الشاعر التونسي:

ألا يا مستعيرَ الكتب دعني ... فإن إعارتي للكتب عارُ
فمحبوبي من الدنيا كتابٌ ... وهل يا صاح محبوبٌ يعارُ

* وعارضه شاعر آخر بهذين البيتين:

ألا يا مالكاً للكتب عِزْها ... فما بإعارةٍ للكتب عارُ
لئن أحببتَ في الدنيا كتاباً ... فمحبوب الأحبة قد يُزار

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٩٦.

* وقال غيرهما:

لا تعِيرنَّ كتاباً ... واجعل العُذْرَ جوابا
واقبض الرهن عليه ... إن في الرهن صوابا

فقابله شاعر ثان بهذه الأبيات:

عِزْ إلى الخِلّ كتاباً ... لا يكُ العذرُ جوابا
واترك الرهن عليه ... لا ترى في ذا صوابا
فإذا خالفتَ قولي ... أنت ضيَّعت الصِّحابا

* وقال آخر في حكمة:

إذا استعرتَ كتابي وانتفعتَ به ... فاحذرْ وُقيتَ الردى من أن تغيِّرَهُ
واردُدْهُ لي سالماً إني شغفتُ به ... لولا مخافة كتمِ العلم لم تَرَهُ[1]

[١٩]
يا كبيكيج!

تكتب هذه العبارة على اللوحات الأولى لكثير من المخطوطات، تكتب مرة هكذا (يا كبيكيج)، ومرة (يا كبيكج).

واستظهر باحث أن تكون اسماً من أسماء الله بلغة العجم؛ فقد رأى على بعض المخطوطات: (يا حفيظ يا كبيكج يا الله يا الله).

* وقال محمد عزيز شمس: هذه الكلمة اسم لورق شجرة من خاصيتها أنها تحفظ المخطوطات من عبث الأرضة، فكانت توضع في

---

(١) خزائن الكتب العربية في الخافقين/ فيليب دي طرازي. ــ بيروت: دار الكتب، ١٣٦٧هـ، ٣/ ٩٢٧.

المخطوطات، فلما تقادم العهد ظن بعض الجهلة أن الكلمة نفسها ربما يكون لها نفس الخاصية، فأصبحوا يكتبونها على المخطوطات.

وقال آخر: ربما تكون هذه اسماً من أسماء الجن يُنادىٰ ليحفظ المخطوط من أكل الأرضة[1].

* ويقول الشيخ زهير الشاويش:

منذ أن وقعت بين يدي بعض المخطوطات منذ خمسين سنة، وجدت في بعضها الأرضة تفتك بها.. ووجدت أن في بعضها كلمات مكتوبة لا يعرف لها معنى مثل (كاكم)، وقد ظننتها أولاً أنها اسم أعجمي محرف عن (كاظم).

وبعدها وجدت كلمة (كيكج) ولم أدرك لها من معنى مفهوم، وأحياناً يكتب كل حرف على حدة. وبعد ذلك وجدت كلمة أخرى.

ولكثرة ورودها شغلت بالي، إلى أن وجدت في بعض الكتب أنها تدخل ضمن جملة منها: (يا كبيكج) احفظ هذا الكتاب، وكلمات بنفس المعنى.

وعندها عرفت أن هذا (الكبيكج) ومثله (كاكم) و (عفروت) وغيرها هي عند كاتبها (ملائكة) تحفظ الكتب! أو أنها عفاريت وشياطين مسخرة لهذا الغرض.

ومن عجائب هذه الطرفة أن أغلب هذه الرموز والكلمات مكتوبة بخطوط علماء كبار، ومؤلفين بالعقائد أحياناً.. وهم بحالة غفلة عما في مثل هذه العقائد ما يخالف الإيمان بالله والاعتماد عليه جل شأنه.

ومن عجائبها أيضاً: فإنني لا أذكر أني وجدت ــ غالباً ــ كتاباً ذكرت

---

(١) من حاشية لمحقق كتاب «التعيين في شرح الأربعين» للطوفي، في مقدمة أحمد حاج محمد عثمان. ــ بيروت: مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ، ص ٣١ م.

فيه هذه الكلمات، إلاَّ والأرضة تعيث به فساداً: صعوداً وهبوطاً، وطولاً وعرضاً وعمقاً!!![1].

[٢٠]
وصف مكتبة

كان أبو عيسى بن لبون من قواد المأمون بن ذي النون، واشتهر بالعلم وجمع الكتب اشتهاره بالشجاعة وكرم الأخلاق. وخلَّف شعراً رقيقاً، منها هذه الأبيات، وقد أتى فيها على وصف مكتبته وعلى شديد كلفه بها:

نفضتُ كفي من الدنيا وقلتُ لها ... إليكِ عني فما في الحقِّ أغتبنُ
من كسرِ بيتي لي روض ومن كتبي ... جليس صدقٍ على الأسرار مؤتمنُ
أدري به ما جرى في الدهر من خبرٍ ... فعنـدهُ الحق مفطورٌ ومختزنُ
وما مصابي سوى موتي ويدفنني ... قومٌ وما لهم علمٌ بمن دفنوا[2]

[٢١]
كتب.. معجونة بالفاكهة!

هل تعلم أن كتباً بمختلف أنواع الفاكهة قد طبعت في بريطانيا ترغيباً للأطفال في القراءة؟ إذا يستطيع الطفل أن يشتري كتاباً برائحة البرتقال أو الموز أو التفاح، أو أية فاكهة يفضِّلها، فيصير يقرأ وكأنه يتنزَّه في بستان مكتظٍّ بما يحبُّ من فاكهة[3]!

---

(١) هوامش دفتر المخطوطات/ زهير الشاويش. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) خزائن الكتب العربية في الخافقين ٢/ ٧٤٢.

(٣) موسوعة هل تعلم: نوادر وأخبار أغرب من الخيال/ إعداد دار طويق. ـ الرياض: الدار، ١٤١٦هـ، ١/ ٤٤.

[٢٢]
كتب ورسائل متميزة

ـ «الأمل واليأس في الشعر العربي قبل الإسلام»/ كريم حسن اللامي. ـ بغداد: الجامعة المستنصرية، ١٤٢٠هـ. ـ (ماجستير).

ـ «الأنبياء في العراق: دراسة تحليلية مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار»/ رعد شمس الدين القادري. ـ بغداد: معهد التاريخ العربي. ـ (دكتوراه ـ طبعت).

ـ «الإنكليز في الشعر العراقي الحديث (١٩١٧ ـ ١٩٥٨)»/ سندس عبد الكريم الشمري. ـ بغداد: الجامعة المستنصرية، ١٤١١هـ. ـ (ماجستير).

ـ «تاريخ الصحافة الكردية»/ جبار محمد جباري. ـ بغداد، ١٣٩٥هـ، ١٣٤ ص.

ـ «تجميل العيوب الخلقية في رحاب الأحكام الفقهية»/ إبراهيم السمان. ـ مصر: د. ن، ١٤٢٢هـ، ١١٨ص.

ـ «التبشير في العراق: وسائله وأهدافه»/ سلامة حسين كاظم. ـ بغداد. جامعة بغداد، ١٤٠٥هـ.

ـ «تفصيل الكلام في (أما بعد)»/ جمع وتحقيق الطنطاوي جبريل. ـ الزقازيق. ـ دار هديل، ١٤٢٢هـ، ١٥٥ص.

ـ «الحب العذري في ميزان الإسلام العظيم»/ علاء الدين البكري. ـ مصر: د. ن، ١٤٢٢هـ، ٢٨ص.

ـ «حكم التعذيب للإقرار بالتهمة: دراسة مقارنة في الفقه

الإسلامي»/ عبد الله بن مبروك النجار. ـ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٢٢هـ، ٦٣ ص.

ـ «خواتيم الآيات»/ انتصار خلف الشرع. ـ بغداد ـ جامعة بغداد، ١٤١٩هـ. ـ (دكتوراه).

ـ «الرحلة في القرآن الكريم: دلالاتها الموضوعية والفنية»/ أميرة جاسم العتابي. ـ العراق . ـ (ماجستير).

ـ «رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان»/ ميرزا علام شيرازه سون؛ ترجمة فؤاد جميل. ـ بغداد: مطبعة التاليميس، ١٣٩١هـ، ٢٨٤ ص.

ـ «ردود النحويين المغاربة على النحويين المشارقة»/ سمية عمر حاج نايف. ـ العراق، ١٤٢١هـ. ـ (ماجستير).

ـ «السجود للشمس»/ أرسكين كالدوزي؛ ترجمة عبد الله نيازي. ـ بغداد: وزارة الإعلام، ١٣٩٧هـ، ١٩١ ص.

ـ «شعراء الجيش العراقي العسكريون ١٩٢١ ـ ١٩٤٨ : اتجاهاتهم وخصائصهم الفنية»/ فازع حسن المعضيدي. ـ بغداد: جامعة بغداد، ١٤٠٩هـ. ـ (ماجستير).

ـ «شعراء فقدوا أسماءهم، أو الشعراء المحولون»/ شفيقة الداغستاني. ـ بغداد: وزارة الإعلام، ١٤٠٩هـ، ٧٨ ص.

ـ «طباعة أغلفة الكتب المقررة لمرحلة الدراسة الابتدائية وإمكانية تطورها»/ قيس أحمد الحمداني. ـ بغداد: جامعة بغداد، كلية الفنون، ١٤٠٩هـ. (ماجستير).

ـ «طبقة الأوزون وأدوات حمايتها في الشريعة الإسلامية»/ الشحات إبراهيم منصور. ـ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٢٣هـ، ١٢٤ ص.

ـ «وصايا الآباء إلى أبنائهم عبر عشرة قرون: دراسة ونصوص»/ سناء ناجي المصرف. ـ بغداد، ١٤٢١هـ.

ـ «اليهود والنصارى في اليمن قبل الإسلام»/ سليم محمد المعيبد. ـ بغداد: جامعة بغداد، ١٤١٨هـ. ـ (ماجستير).

[٢٣]
عناوين.. طويلة..

من التصانيف الماضية التي قامت عناوينها من لفظة واحدة: «البخلاء»، «الحيوان»، «الخراج»، «المخصص»، «المعارف».

ومن لفظتين: «الأخبار الطوال»، «الأعلاق النفيسة»، «الشعر والشعراء»، «عيون الأخبار»، «لسان العرب».

ومن ثلاثة ألفاظ: «إحياء علوم الدين»، «تاريخ الأمم والملوك»، «الكامل في التاريخ».

ومن العناوين الطويلة:

ـ «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن والاهم من ذوي السلطان الأكبر» (١٥ كلمة).

ـ «ابتسام الفردوس ووشي الطروس في مناقب قطب الأقطاب سيدي أحمد بن عروس» (١٢ كلمة).

ـ «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» (١١ كلمة).

ـ «سيوف إزالة الغفلة والطغيان في مهجة من ارتاب في غاية التبيان» (١١ كلمة).

ـ «الفرات الفائض على حديقة ذريعة الناهض إلى تعليم أحكام الفرائض» (١٠ كلمات).

ـ «المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب» (١٠ كلمات)[1].

قلت: ومن العناوين الحديثة التي تزيد كلماتها على ما سبق:

ـ «القول المبين المشتمل على بعض ما تكلم به رسول رب العالمين وإمام المتقين ﷺ»/ إبراهيم الراشد الحديثي.

ـ «قواعد حديثية نصَّ عليها المحققون وغفل عنها المشتغلون، وأمثلة عملية على بعض الأخطاء الشائعة في تحقيق الأسانيد»/ عمرو عبد المنعم سليم.

ـ «الإسكات: بركات القرآن على الأحياء والأموات، مع قضايا التداوي بالقرآن وانتفاع الموتى به، وبحوث سورة يس من الحديث النبوي الشريف»/ محمد زكي إبراهيم.

ـ «توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث الرسول المكلَّم موسى عليه السلام للملك المكرَّم الموكل بقبض أرواح العباد»/ محمد بن أحمد العلوي (ت ١٣٦٧هـ).

[٢٤]
كُتب.. وكُتّاب

* لابن المبرد تأليف مبتكر في بابه عنوانه «نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق» عدَّد فيه أسماء مائة وخمسين سوقاً من أسواق دمشق في زمانه!

---

(١) باختصار عن كوركيس عواد، الذخائر الشرقية ٣/ ٤١٤.

* كان الكاتب عيسى المعلوف كلفاً بالكتب، ضنيناً بنوادرها. . وله بيتان نظمهما في هذا الصدد، هما:

اجعلوا إن متُّ يوماً كفني ... ورق الكتب وقبري المكتبهْ
وادفنوني وادفنوا الكتب معي ... وانثروا الأوراق حول المرتبهْ

* كانت للنحوي البغدادي سعيد بن الدهان (ت ٥٦٩هـ) خزانة من أحفل خزائن الكتب الخاصة في عصره. . . ومن شعره هذان البيتان:

بالكتب لا تحسبنْ ... أنَّ مثلنا ستصيرُ
فللدجاجة ريشٌ ... لكنها لا تطيرُ!

* وأنشد الإمام الشافعي رحمه الله:

علمي معي حيثما يمَّمتُ يتبعني ... قلبي وعاءٌ له لا بطنُ صندوقِ
إن كنتُ في البيتِ كان العلم فيه معي ... أو كنتُ في السوقِ كان العلمُ في السوقِ[1]

[٢٥]
كتب المئات

بحثٌ طريف، كتبه باحث معاصر حول ما صنف من موضوعات خاصة بقرون معينة، وعدَّدها حسب القرون[2]، مثاله:

من القرن الأول للهجرة:

- «الأنسجة الإسلامية في القرن الأول الهجري»، صالح أحمد العلي، ١٣٨١هـ.

---

(١) خزائن الكتب العربية في الخافقين/ فيليب دي طرازي. ـ بيروت: وزارة التربية الوطنية، ٢/ ٧٤٤، ٧٨٥، ٤/ ١١٢، ٩٠٩.

(٢) نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٨ (شوال ١٤٠٧هـ)، وضمن (الذخائر الشرقية)/ كوركيس عواد، ٢/ ٣٧٧، ٤٣٠.

ـ «الفروسية في أدب القرن الأول»، عبادة حرز حبيب (ماجستير).

ومثال من القرن الهجري الثالث:

ـ «الرأي العام في القرن الثالث الهجري»، عادل محيي الدين الآلوسي. بغداد: وزارة الثقافة.

ومن القرن الخامس:

ـ «الشعر السياسي في القرن الخامس للهجرة»، قُصي الحسين (دكتوراه).

ومن القرن الحادي عشر:

ـ «الجواهر والدرر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر»، لابن حمزة الحسيني (ت ١١٠٠هـ).
ـ «صفوة ما انتشر من أخبار علماء القرن الحادي عشر»، محمد الصغيِّر الإفراني (ت ١١٨١هـ).

ومن القرن الرابع عشر:

ـ «أحسن الأثر فيمن أدركناه في القرن الرابع عشر»، محمد صالح الكاظمي، بغداد (١٣٥٢م).
ـ «نظم الدرر في رجال القرن الرابع عشر»، محمد بن محمد زبارة (ت ١٣٨١هـ).

ويضاف إلى ذلك من قرون أخرى:

ـ «توثيق السُّنَّة في القرن الثاني الهجري: أُسُسه واتِّجاهاته»/ رفعت فوزي عبد المطلب.
ـ «الخصومات الأدبية في القرن الرابع الهجري وأثرها في حركة النقد الأدبي»/ جابر بن بشير المحمدي.

- «الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري»/ سوادي عبد محمد.
- «جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري»/ عبد الله سعيد الغامدي.
- «تاريخ الأندلس في القرن الثامن الهجري عند ابن خلدون»: دراسة وتحقيق/ عبد الرحمن بن سليمان العجلان.
- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»/ محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
- «تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر»/ عبد القادر بن شيخ العيدروس.
- «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»/ محمد خليل المرادي.
- «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر»/ محمد بن محمد بن زبارة.

[٢٦]
نظميات شنقيطية

تغلب الصبغة النظمية في الثقافة الشنقيطية، فغالب شأن الطلبة في المحضرة (المدرسة) أن يختاروا المتون المنظومة ويتوسعوا أو يتعمقوا في دراستها بالعودة إلى المتون المنثورة. وقد وظف المؤلفون الشناقطة ملكة الشعر كثيراً في إنتاجهم، يريدون تيسيره بذلك للحفظ، وضمان حظ أوفر من القبول والبقاء له.

* ومن هذه المنظومات عدد كبير من الألفيات (ألف بيت فأكثر) منها:

- نظم الشيخ أحمد بن أحمذيه في تفسير القرآن الكريم: ١٥٠٠٠ بيت.
- الفردوس في الفقه، لإبراهيم بن أمانة الله: ١٢٠٠٠ بيت.
- الخراج الثاني في عقد خليل، للشيخ محمد المامي: ١٠٠٠٠ بيت.
- نظم غريب لغة القرآن، لمحمد بن أحمد زيدان: ٥٠٠٠ بيت.
- الوسيلة في الفرائض، لمحمد مبارك اللمتوني: ٤٠٠٠ بيت.

* ودون ذلك من الألفيات كثير، منها:

- نظم أحمد بن حبيب في الجغرافيا (١٢١٠) بيت[١].

[٢٧]
سفينة محمّلة بالعلوم!

من الألفاظ التي شاع ذكرها في كتب التاريخ والأدب العربي وفات أصحاب المعاجم التنويه بها: لفظة «السفينة» بمعنى المجموع الأدبي.

فالسفينة: مجلّد يضم بين دفّتيه أشعاراً ونوادر وأخباراً وطرائف، يدوّنها جامعوها بحسب ما يتذوقونه وما يقع عليه اختيارهم من منظوم ومنثور.

فقد حكى الثعالبي في جملة اختياراته: «بلغني أنه لما حُمل ديوان شعر أبي مطران الشاشي إلى الصاحب [ابن عباد] استحسن منه أبياتاً دون

---

(١) بلاد شنقيط: المنارة والرباط/ الخليل النحوي، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧.

العشرة، وعلَّم عليها ليأمر بنقلها إلى سفينة كانت تجمع له ما تلذُّ به الأعين وتشتهيه الأنفس، فمنها قوله...»[1].

وقد كان بعض الرؤساء يُعنى بمثل هذه السفينة الأدبية، فيكتبها بخطه، على حدِّ ما رواه الثعالبي بقوله: «وجدتُ في سفينة بخط الشيخ الرئيس أبي محمد عبد الله بن إسماعيل المكيالي، لأبي بكر بن شوذبه الفارسي...»[2].

وكانت هاتيك السفن تختلف حجومها وتتعدَّد مجلداتها، فقد أورد ابن كثير في حوادث سنة ٧٠٣هـ من تاريخه ما هذا نصه: «وكذلك وقفت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبرى، قال...»[3].

ونظير ذلك ما رواه ابن حجر العسقلاني أن من مسموع محمد بن يعقوب بن بدران الجرائدي الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٠هـ على ابن السبط «السفينة المشتملة على خمسة أجزاء عُرفت بالجرائدية، وسمع على ابن الجميزي سفينة أخرى فيها سبعة أجزاء عُرفت أيضاً بالجرائدية»[4].

وقد عمد بعض الكتاب من قدماء ومحدثين إلى تسمية مؤلفاتهم بالسفن بمعنى الذي بيّناه آنفاً، من ذلك:

- «سفينة الأبرار الجامعة للآثار والأخبار»، لعز الدين محمد بن أحمد المكي الحنبلي (ت ٨٥٥هـ).

---

(١) من غاب عنه المطرب، للثعالبي، ص ١٠١ (بيروت، ١٣٠٩هـ).

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٣٤٨ (طبعة الصاوي).

(٣) البداية والنهاية ١٤/ ٣٢.

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤/ ٢٨٧.

- «سفينة العلوم».
- «سفينة الكردي»، وهو عبد القادر الحلاق الكردي.
- «سفينة الصالحي»، لشمس الدين محمد بن نجم الدين الصالحي الهلالي الشاعر.
- «سفينة الراغب»، للوزير راغب باشا (ت ١١٧٦هـ).
- «سفينة ابن زين العبادي»، وهو محمد البكري.
- «سفينة البلغاء».
- «السفينة في تراجم الفقهاء السبعة بالمدينة»، لشمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ).
- «السفينة الطولونية في الأحاديث النبوية»، له أيضاً[1].

[٢٨]
تجميع مفيد

الاستفادة من مجموعة كتب في موضوع واحد وضم موضوعات بعضها إلى بعض في كتاب واحد من بعد، وارد.

* **من ذلك ما يعرفه القراء في «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للجلال السيوطي»،** الذي خرَّجهما وضمهما ورتبهما الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله، واعتمد عليه الشيخ ناصر الدين الألباني وقسمه إلى صحيح وضعيف.

* وحديثاً وقفت على كتاب محقق بعنوان: «موسوعة الأسماء

---

(١) بتصرف قليل من «الذخائر الشرقية» لكوركيس عواد ٣/ ٣٥، وقد نشر من قبل في مجلة المجمع العلمي العربي، ع ١٨ (١٩٤٨)، ص ٥٥١.

والأعلام المبهمة في القرآن الكريم»، المسمى: «ترويح أولي الدماثة بمنتقى الكتب الثلاثة»، تأليف عبد الله بن عبد الله الأدكاوي الشهير بالمؤذن (ت ١١٨٤هـ)؛ تحقيق وشرح مروان العطية، محسن خرابة. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ، ٢ مج.

وقد جمع بين كتب ثلاثة وجعل لكل واحد منها رمزاً، وهي:

١ ـ «التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، للسهيلي (ت ٥٨١هـ).

٢ ـ «التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام»، لابن عسكر (ت ٦٣٦هـ).

٣ ـ «صلة الجمع وعائد التذييل لكتابي الإعلام والتكميل»، للبلنسي (ت ٧٨٢هـ).

* ومثل ذلك ما قام به كاتب معاصر في كتاب سمَّاه: «الجامع في غريب الحديث»، الذي صدر عن مكتبة الرشد بالرياض عام ١٤٢٢هـ في (٥) مجلدات.

وقد جعل متنه «النهاية» لابن الأثير.

وجعل حاشيته مشتملة على كتب أخرى في غريب الحديث، تنبيهاً لما وافق المتن، أو زيادة عليه من هذه المصادر. وهي هذه الكتب:

«غريب الحديث»، لأبي عبيد القاسم بن سلام.

«غريب الحديث وإصلاح غلط أبي عبيد»، لابن قتيبة.

«إصلاح غلط المحدثين»، للخطابي.

«الفائق»، للزمخشري.

«إعراب الحديث»، للعكبري.

[٢٩]
لعلها أحشى الحواشي ؟!

كان للسلف اهتمام بالحواشي والتعليقات، يكمل كل منهم عمل الآخر، يجمع أو يزيد، يختصر أو يشرح. وهناك كتب استأثرت بشروح لا حصر لها، كالصحيحين، وتفسير القاضي البيضاوي. .

وهناك شروحات أخرى على كتب المنطق والحكمة «الفلسفة».

ولعل «أطرف» حاشية وقفت عليها هي «الحاشية على شروح الإشارات» لحسين بن محمد الخوانساري (ت ١٠٩٨هـ).

فهو حاشية على كتاب «الشروح والتنبيهات» لابن سينا (في الفلسفة). وهي في الوقت نفسه حاشية على «شرح الإشارات» لنصير الدين محمد بن محمد الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، ويسمى هذا الشرح: «حل مشكلات الإشارات». وحاشية المؤلف شرح أيضاً لشرح الشرح لقطب الدين محمد بن محمد الرازي (ت ٧٦٦هـ) وعنوانه العلمي: «المحاكمات بين شرحي الإشارات»، ولكنه عرف بـ «شرح الشرح»، كما يعرف أيضاً بـ «إيضاح المعضلات»! وهو حاشية أيضاً على «حاشية المحاكمات» لحبيب الله الباغنوي (ق ١٠هـ)!

والجدير ذكره هنا أن ابن المؤلف (ابن المحشِّي) ــ واسمه محمد ــ جاء وعمل حاشية على حاشية أبيه التي هي حاشية على حواشٍ!

وقد صدر هذا الكتاب في «قم» عن مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في مجلدين عام ١٤٢٠هـ.

[٣٠]

كتب متشابهة.. لمذاهب مختلفة

ـ للحنفية كتاب «البحر» و «الوسيط» و «الوجيز»، والثلاثة للإمام رضي الدين محمد بن محمد بن محمد.

وللشافعية «البحر» للرُّوياني، و «الوسيط» للغزالي، و «الوجيز» للرافعي.

ـ للحنفية «الشامل» للبيهقي.

وللشافعية «الشامل» لابن الصباغ.

ـ للحنفية «النهاية» للإمام حسام الدين الصِّغناقي.

وللشافعية «النهاية» لإمام الحرمين.

ـ للحنفية «الذخيرة» لبرهان الأئمة.

وللشافعية «الذخائر» للقاضي مُجلِّي بن جميع المخزومي.

ـ للحنفية «الكافي» للإمام حافظ الدين النسفي.

وللحنابلة «الكافي» للشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي (ت ٦١٠هـ).

ـ للحنفية «الهداية» للإمام المرغيناني.

وللحنابلة «الهداية» لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكَلوذاني.

ـ للحنفية «المنتقى» للحاكم الشهيد.

وللمالكية «المنتقى» للباجي أبي الوليد سليمان بن خلف.

ـ للحنفية «الكفاية» وتعرف بـ «كفاية المنتهي» للمرغيناني.

وللشافعية «الكفاية» للشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن الرِّفعة[١].

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٤/ ٥٨٩ ـ ٥٩١.

[٣١]
الكتاب «الثالث عشر»

صدر كتاب بعنوان «السُّبْحَةُ: تاريخها وحكمها»(١)، وذكر مؤلفه أن الكتب التي أُلِّفت في السُّبحة بلغت (١٢) كتاباً، لعل أولها للسيوطي رحمه الله باسم «المنحة في السُّبحة»، حتى إذا بلغت النوبة إلى الشيخ عبد الحي اللكنوي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ ألَّف كتابه «نزهة الفكر في سُبحة الذكر» فاستوفى جُلَّ ما في الباب رواية وفقهاً.

قال: لكن الجميع نزعوا من وجهة الانتصار للمشروعية.

قلت: يعني مؤلفي الكتب الاثني عشر التي أشار إليها، أما كتابه «الثالث عشر» ففيه بيان عدم مشروعيتها!!.

[٣٢]
كتبٌ في عاشوراء

يبدو أن كتابات الشيعة في عاشوراء كثيرة.

أما عند أهل السنة، فممن كتب فيه، ويعنون به اليومَ الفَضِيل: ابن أبي الدنيا: «كتاب عاشوراء»، وابن عساكر: «فضل عاشوراء» في ثلاثة أجزاء، وابن قدامة: «كتاب عاشوراء» في أجزاء، وألف أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي: «مجلسان في فضل عاشوراء»، وألف النقاش: «كتاب عاشوراء». وهي جميعها إما مخطوطة أو مفقودة.

وحديثاً صدر كتاب بعنوان: «صيام عاشوراء وما يرتبط بهذا

---

(١) تأليف بكر بن عبد الله أبو زيد. ـ الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ، ١١٣ ص.

اليوم»[1] الذي تحدث فيه مؤلفه عن شهر الله المحرم، وعاشوراء في اللغة، وسبب هذه التسمية، والأمر بصومه، ونسخ الأمر بصومه وتعيينه، وحكم صيامه، والحكمة منه، ومراتبه وفضله، وصيام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصيام الصحابة والتابعين وقريش وأهل الجاهلية واليهود والصبيان والوحش والطير لهذا اليوم. .

وخصص القسم الثاني لما يرتبط بهذا اليوم، ويشمل: كسوة الكعبة فيه، والتوسعة على الأهل والعيال، يوم الزينة، عاشوراء في الجاهلية وعهد النبوة والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والبويهيين، بدع عاشوراء، مأتم عاشوراء، الاكتحال يوم عاشوراء، الأذكار والأدعية المبتدعة فيه، الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيه، الحكايات الموضوعة فيه، عاشوراء والشعر، مزاعم المستشرقين، أهم الأحداث وأشهر الوفيات فيه.

[٣٣]
كتب في الحِسْبة والمحتسب

أقدم كتب الحِسْبة العملية التي وصلت إلينا ويعتبره الباحثون الكتاب الأم، لأن الذين جاؤوا بعده أخذوا منه الكثير، هو كتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» ومؤلفه عبد الرحمن بن نصر الشيزري، المتوفى سنة ٥٨٩هـ. وكان معاصراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، وقصد به أن يكون دليلاً لمساعدة الحكومة الإسلامية في تطبيق نظام الحسبة، وقد جعله في ٤٠ باباً.

---

(١) وهو من تأليف محمد عودة الرحيلي. ـ مكة المكرمة: دار الرسالة، ١٤١٤هـ، ٢٣٢ ص.

والكتاب الثاني في الحسبة العملية هو «معالم القربة في أحكام الحسبة» ألفه ابن الأخوة، المتوفى سنة ٧٢٩هـ، وجعله ٧٠ باباً.

والكتاب الثالث يحمل عنوان الكتاب الأول نفسه، ألفه ابن البسام، وقد اقتبس كل ما جاء في كتاب الشيزري، وأضاف عليه وتوسع فيه فجعله في ١١٤ باباً[1].

[٣٤]
نادر.. من نوع خاص

وقفت على معلومة تذكر كتاباً نادراً، قد يكون الوحيد الذي أُلِّف في بابه، وهو: «ما يُقرأ من آخره كما يُقرأ من أوله»، ومؤلفه «يحيى بن علي»، وأنه صدر بتحقيق إبراهيم العلوي (ت ١٣٨٢هـ) في بغداد، دون ذكر تاريخ نشره!..

وتراثنا الإسلامي غنيٌّ بالفوائد والغرائب.

من ذلك: إفرادُ كتب بالتأليف من دون نقط!

ولعل رائدهم في هذا هو فيضُ الله بن المبارك الأكبر آبادي (ت١٠٠٤هـ)، الذي فسَّر القرآن الكريم ملتزماً فيه بالحروف المهملة، وسمَّاه: «سواطع الإلهام»، وقد طبع بدار الكتب العربية بلكهنؤ سنة ١٣٠٠هـ.

وآخرهم - حتى تاريخه - الأديب الحضرمي محمد بن أحمد الشاطري (ت ١٤٢٢هـ)، الذي أصدر كتاباً بعنوان: «الرسالة الخالية من الحروف

---

(١) دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب/ تنظيم مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، ١٤٠٨هـ، ص ٢٦. (والحِسبة بكسر الحاء لا بضمها).

المعجمة حتى في اسمها وفهرستها واسم مؤلفها»، وقد طبع في جُدَّة سنة ١٣٩٤هـ. وهو في السيرة والمدائح النبوية، ويقع في (٣٤) ص.

[٣٥]
نوادر.. قازانية

قازان أو «قزان» هي عاصمة جمهورية التتار، التي تشكل جزءاً من روسيا، وتبعد عن موسكو ـ شرقاً ـ نحو (٨٠٠) كم. وقد عرفت بطباعة الكتب العربية قديماً، وبدأت بطبع المصاحف من سنة ١٢١٢هـ (١٨٠١م)، ومنذ سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢) كانت تطبع المصاحف سنوياً.

وقد يحتاج الأمر إلى جهد خاص لبيان ما طبع هناك من كتب عربية، منها ما لم يرد عند سركيس في «معجم المطبوعات العربية والمعربة»، ولا عند إدور فنديك في كتابه «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع»، منها:

ـ «الحكمة البالغة الجنية في شرح العقائد الحنفية»/ هارون بن بهاء الدين المرجاني (ت ١٣٠٦هـ) ـ قزان: مطبع ويجيسلاف، ١٣٠٦هـ، ١٦٨ ص.

ـ «رسالة نورية، التنبيه الصحيح على صاحب التوشيح» ـ قزان: خانه سنده، ١٣١٧هـ.

ـ «الشاطبية»، للشاطبي (ت ٥٩٠هـ) ـ قزان: المطبعة الكريمية، ١٣٢٥هـ، ١٧، ٨٨ ص.

قبله (في ١٧ ص): «الأحرف القرآنية وتاريخ القراءات»، موسى جار الله روستوفدوني.

ـ «دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار»، محمد بن سلامة القضاعي

(ت ٤٥٤هـ) ـ قزان: المطبعة الكريمية، ١٣٢٠هـ، ٦٤ ص. والمؤلف علاّمة، عرف بكتابه «مسند الشهاب»، وله تفسير في عشرين مجلداً. ولعل كتابه المذكور لم يطبع سوى تلك الطبعة. نسخة منه في مكتبة الملك فهد الوطنية.

ـ «شرح حكمة العين»/ حكيم شاه (ت٩٢٨هـ). ـ قزان، ١٣٢٩هـ، ٣٨٤ص (بالهامش حاشية علي بن محمد الجرجاني على الشرح).

ـ «شرح عثمان بازاري على تعليم المتعلم» ـ قازان: مطبعة سنده، ١٣١٩هـ، ١٥٤ ص. وعثمان بازاري اسمه إسماعيل بن عثمان.

ـ «منبهات على الاستعداد ليوم المعاد»/ ابن حجر العسقلاني [هكذا، ولعل الصحيح أنه لزين القضاة أحمد بن محمد الحجري] ـ قزان: ١٣٢٢هـ.

ـ «نوابغ الكلم»، للزمخشري ـ قزان: على نفقة عالم جان البارودي، ١٣١٤هـ، ١٩٠ ص.

ـ «نور المقابس في تواريخ الجراكس»، نوح المرتوقي ـ قازان: المطبعة الكريمية، ١٣٣١هـ، ٢٠٦ ص.

يليه: «رسالة في الرد على عبده [محمد عبده] فيما أبداه من إنكار جواز التقليد وتكفير أهله».

ويليه مجموع رسائل أربع:

(أ) «رسالة مفيدة في المسألة الميقاتية من الرحلة المدينية».

(ب) «تقرير وجوب العشر في الأرض القاف قاسية والسلام».

(ج) «جواب عن سؤال القريمي في جواز النفل لمن عليه فائتة».

(د) «أجوبة الطلباء في امتحان الأمراء في الفرائض لتعيين الأنصباء».

[٣٦]

من نفائس المخطوطات

المحقق الكبير عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨هـ) كانت له رحلة واسعة إلى خزائن المخطوطات في القاهرة والإسكندرية وإستانبول وحلب ودمشق والقدس وبغداد والنجف، وذلك في عام ١٣٥٤هـ، وعلق مذكرات فيما وجده من شوارد ونوادر. ومن نفائس وغرائب ما وقف عليه:

ـ نسخة جليلة مقروءة مسموعة من «مسند معمر بن راشد اليماني»، من أقدم ما دوِّن في الحديث حقاً على رقِّ الغزال، نسخت بطليطلة سنة ٣٦٣هـ، وجدها عند خواجه إسماعيل صائب مدير الكتبخانة العمومية بإستانبول.

ـ قال: وأقدم نسخة رأيتها في الخزائن: «كتاب المسائل عن سيدنا أحمد بن حنبل»، رواية أبي داود السجستاني، وثبت في ختامها: «وسمعنا سنة ٢٦٦هـ» وهي بالظاهرية.

ـ قال: ورأيت بإستانبول قصة طويلة غريبة المغزى في نحو ٢٠ مجلداً ضخماً متفرقة في عدة من خزائنها، تعرف بـ«قصة الدلهمة والبطال»، تشبه قصة «داستان أمير حمزة» (قصة حمزة البهلوان) أو «طلسم هوش ربا» بديارنا.

ـ ومما رأيته في معنى «كشف الظنون»: «التذكار الجامع للآثار»، في مجلدة طويلة بائنة الطول في عرض لا يناسبه[1]!

---

(١) بحوث وتحقيقات/ عبد العزيز الميمني؛ أعدها للنشر محمد عزيز شمس. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٦هـ، ١/ ١٣٨.

[٣٧]
حلية الأولياء

قال أبو الحسن علي بن مكي الشعّار الهمداني:

كتب أبو الحسن الميداني الحافظ كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني بخطه عن بنجير بن عبد الغفار البصري بهمذان ــ وكان يرويه عن مؤلفه ــ.

فأراد أبي أن يكون له به نسخة، فأنفذ إليه الميداني بنسخته على وجه الهبة، فبعث إليه والدي جميع ما كان يملكه في ذلك الوقت، من الدنانير والثياب والدقيق والحوائج التي تكون في البيوت؛ لفرحه بالكتاب[١]!

[٣٨]
تحفة المحب للمحبوب

«تحفة المحب للمحبوب في تنزيه مسجد الرسول ﷺ عن كل خصي ومجبوب».

عنوان مخطوطٍ نادر بقلم «شمس الدين محمد بن زين الدِّين» الخطيب بالحرم النبوي الشريف، كتبها للسلطان سليم وسليمان. لعلها كتبت سنة ٩٣١هـ.

ذكر فيه المؤلف أن مما عمت به البلوى في هذه الأزمنة إقامة هؤلاء الطواشية العبيد الخصيان سدنةً وخدماً لمسجد سيد عدنان مع ما فيهم من النقص والخصال الذميمة، وأن المطلوب أن يكون خدام المسجد من أفضل

---

(١) معجم السفر/ أبو طاهر السلفي، رقم (٩٢٨).

الناس وأكملهم، وأن الإمام أبا حنيفة وأصحابه ذهبوا إلى كراهة استخدامهم، ووافقه على ذلك جمهور أهل العلم، وكان يخدمه ﷺ في حياته أكابر الصحابة. .

ثم ذكر بعض مساوىء الخصيان الموجبة لإبعادهم عن المسجد النبوي، وذكر بعض أعمالهم القبيحة، وذكر شيئاً من خيانتهم، وتشبيههم بالنساء في حركاتهم وكلامهم، وحضَّ ولاة الأمر على طرد الخصيان من المسجد.

قال: ومن أعظم المصائب أن بعض الطواشية استمال بعض العلماء فجمع له أحاديث مكذوبة في ذكر فضائل الطواشية، وتجرأ هذا المؤلف الكذاب فنسب الكتاب إلى ابن حجر.

وطلب تعيين العلماء والفقهاء مكانهم[1].

[٣٩]

معجم مسميات المهن والوظائف

كتاب بهذا العنوان[2]، يذكر فيه المؤلف أولاً أهمية المعاجم والقواميس المهنية في الوقت الحاضر، وأنها ضرورة من ضرورات الحياة العملية لأفراد المجتمع، وذلك نتيجة لتدفق أعداد الخريجين من مختلف

---

(١) وانظر معلومات عن هذا الكتاب في: «المدينة المنورة في مئة مخطوط: فهرس تحليلي»/ مصطفى عمار منلا ــ المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، ص ١١٠.

(٢) إعداد عبد الله بن مصلح النفيعي. ــ القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٠هـ، ٨٤٣ ص.

المراحل التعليمية والتدريبية الذين يبحثون عن أعمال ووظائف نتيجة للتقدم التقني الهائل وما نجم عنه من أعمال ووظائف حديثة تشترط نمطاً محدداً من المهارات المتطورة، وتتطلب مستوىً معيناً من الأداءات المنتجة، وأن الدول المتقدمة أولت اهتماماً خاصاً بالعلوم المرتبطة بالمهن خاصةً بجوانب تصنيفها وتوصيفها للوظائف والأعمال المهنية . . .

والكتاب مرتب على حروف المعجم . .

ومما جاء في حرف الباء:

بقَّال: يبيع أنواعاً مختلفة من المواد التموينية بالجملة والمفرد، يقوم بعرض مختلف المواد التموينية في واجهة المحل التجاري وجوانبه لجذب الزبائن. ينظف المواد والمعلبات وغيرها، ويرتبها حسب أنواعها على الرفوف أو في أرضية المحل التجاري. يثبت أسعارها على بطاقات خاصة. يساعد الزبائن في اختيار المواد التموينية المطلوبة. يبيع المواد التموينية بوزن بعضها أو بالعدد ويغلفها أو يضعها في أكياس أو علب خاصة ويسلمها بقائمة بيع أو بدونها للزبون ويتسلم ثمنها. ينفذ أسس وتعليمات السلامة والصحة المهنية.

وفي حرف الراء:

رئيس فنيّي تركيب أسنان: يشرف على فنيّي تركيب الأسنان في إعداد المواد اللازمة لعمل نماذج الأسنان وخلطها، وفي أخذ مقاسات بواسطة المعاجين وعمل النماذج حسب المقاسات، وفي عرض النماذج على الطبيب المختص وتعديل المقاسات الأولية حسب إرشادات الطبيب، يوجه الفنيين في مساعدة الطبيب في عمليات تركيب الأسنان، الإشراف على الفنيين ومراقبة عملهم.

وفي حرف الميم:

مراقب بيئي: يتولى مراقبة وتسجيل بيانات النفايات الخطرة وجودة الهواء والماء والتدهور البيئي، والقيام بالأعمال الحقلية التي تشمل القياسات للملوثات في الهواء والماء والتربة، إعداد التقارير الوصفية عن المواقع المتسببة للتلوث، المشاركة في أعمال الملوثات في الحالات الاعتيادية والطارئة، يشرف على تسجيل حركة المواد الكيميائية... الإشراف الفني على أعمال الرقابة البيئية.

[٤٠]
الجانب الإنساني.. عند الحيوان[١]

كتاب نادر، يعرض فيه المؤلف ببساطة ويسر طرائف عن سلوك الحيوانات المختلفة، استقاها من تجارب فريق من العلماء والباحثين في محاولاتهم قياس «معامل الذكاء» عند الحيوان، وكذا من مشاهداته الخاصة.

وتنحصر هذه التجارب في محاولة اختبار القدرة على التعلم واكتساب مهارات خاصة لدى فريق من الحيوانات الأليفة أو البرية.

وفي كل هذه التجارب تقريباً يرتبط السلوك بمؤثر غريزي عند الحيوان: كالجوع أو العطش أو الرغبة الجنسية أو عاطفة الأمومة.

ويذكر المؤلف في المقدمة أن أحد العلماء أجرى مسابقة علمية في

---

(١) تأليف فانس باكارد؛ ترجمة سعد لهزال. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت، ١٩٢ ص (الألف كتاب؛ ٢٩٦).

اختبار الذكاء (تجربة المتاهة)[1] بين فريق من الطلبة والفئران البيض، فأدهشه أن يخرج منها فريق الطلبة متخلفاً منكس الرأس!

قال: وكلنا نعلم أن الحصان حيوان نبيل، ولكن قليلاً منا يدرك أن هذا الحيوان يجفل في بلاهة وجنون إذا خفقت ورقة شجر بالقرب منه..

وقد تمكن علماء النفس والباحثون المدربون من التوصل إلى بعض النتائج المدهشة عن حقيقة الذكاء والشخصية في الحيوانات التي نراها ونقرأ عنها كل يوم...

[٤١]
حَمَام الحِمَىٰ

رسالة لطيفة، فذَّة في بابها، استخلصها المؤلف من تواريخ مشهورة، في شأن حمّام الحمى الحجازي، ذكر فيها أصله، وسبب تسميته بحمام الحمى، وحرمته عند الحجازيين، ثم وصفه، ثم حكم الحمام المطلق في الشرع وفضله، وحكم رؤيته في النوم، وأوصافه الطبية المجربة وخواصه العجيبة...[2].

---

(١) المتاهة بيت له مداخل ومخارج كثيرة مثل (بيت جحا)، وهي تجربة مشهورة عند علماء النفس لدراسة سلوك الحيوان وقدرته على التعلم عن طريق المحاولة والخطأ.

(٢) وهي بعنوان: «حمام الحمى الحجازي»/ أحمد ياسين الخياري؛ تعليق وإيضاح وتخريج عبد الله محمد أمين كردي. ـ المدينة المنورة، ١٤١٢هـ، ٢٨ ص.

[٤٢]
البؤساء في عصور الإسلام[1]

هذا عنوان كتاب، من تأليف كاتب حديث، يشبه كتاب «الفلاكة والمفلكون» للدلجي، ولعل المؤلف لم يسمع بهذا الكتاب، ولو سمع به لاكتفى، أو استدرك عليه فقط.

وموضوعه: الأحوال المعيشية الصعبة التي لاقاها «علماء الدنيا وفلاسفة الإسلام»، وما تكبدوه من شدَّة وبؤس على الرغم من علمهم الوفير وآثارهم العلمية، وفيه عبر كثيرة، مع التأثر بأحوالهم.

والعجيب أن الدافع لدى مؤلف «الفلاكة» هو نفسه دافع هذا المؤلف لتأليف كتابه، فيقول ـ الأخير ـ: «... وصرت من جراء ذلك أحنُّ إليهم حنيناً متواصلاً؛ لصلة النسب بيني وبينهم». ويقول: «... وما ذاك إلاَّ لأني أعتبر نفسي كفرد منهم».

وقد يتميز عن سابقه بوجود ترجمات جديدة ومحدثة، آخرها ترجمة «صادق بك العفيفي» المتوفى سنة ١٢٤١هـ.

وقد أصدر المؤلف كتابه سنة ١٣٤٤هـ.

[٤٣]
خمسة كتب لا تجد فيها الحق!

يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله:

خمسة أنواع من الكتب لا تجد فيها الحقَّ خالصاً:

ـ كتابٌ أراد مؤلفه أن يتفلسف وليس بفيلسوف.

---

(١) وهو من تأليف محمود كامل فريد. ـ القاهرة: مطبعة التقدم، ١٣٢٤هـ، ١٤٨ ص.

ـ وكتاب أراد مؤلفه أن يظهر بمظهر المتحررين في تقليدهم، وهو تقليدُ آراء غيره تقليدَ الببغاء.

ـ وكتاب أراد مؤلفه أن يكتب للجماهير ما يلذُّ لها دون ما يفيدها.

ـ وكتاب أراد صاحبه أن يدوِّن أحداث التاريخ وهو ممن أسهموا فيها.

ـ وكتاب أراد صاحبه أن ينقد شخصاً أو يتحدث عنه وهو خصم له أو منافس أو حاسد[1].

[٤٤]
نهج البلاغة.. أكثره باطل!

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة الشريف المرتضى (الحسين بن علي):

وَلِيَ نقابة العلوية، وهو المتهم بوضع كتاب «نهج البلاغة»، وله مشاركة قوية في العلوم.

ومن طالع «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه.

ففيه السبُّ الصُّراح والحطُّ على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(١) هكذا علمتني الحياة/ مصطفى السباعي، ط ٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ، ٢/ ٢٦.

وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي مَنْ له معرفةٌ بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزمَ بأنَّ الكتابَ أكثرهُ باطل.

وذكر أنه متكلم رافضي معتزلي صاحب تصانيف.. ت ٤٣٦هـ[1].

[٤٥]
مجلة «الأزهر»

لعلَّ كثيراً من الأدباء والنقاد لا يطالعون مجلة «الأزهر» ظناً منهم أنها تختص بالبحوث الإسلامية والفتاوى الشرعية وما إلى ذلك.

* والحق أنها:

مجلة عريقة، تصدر منذ (٧٥) عاماً.

وفيها أبواب عديدة، تتناوب موضوعاتها من عدد إلى عدد، مثل: باب خاص بالشعر قد يمتد إلى عشرة قصائد، وآخر للغة والأدب والنقد، وثالث في العلوم والتقنية والاختراعات، وغيرها للطرائف والمواقف، وأخبار العالم الإسلامي، وفي حلقات طويلة كتب السيد الجميلي عن «طبقات المحققين والمصححين»، ونشرت مذكرات محمد أبو الفضل إبراهيم حول البحث والتحقيق بعد وفاته في أعداد كثيرة.

* وإن الكُتَّاب الذين يقدمون فيها أبحاثهم ودراساتهم الرصينة تذكرنا بمجلة «الرسالة» و «البصائر».

وفيها خبرة وعلم وفوائد يحرص عليها أصحاب الثقافات العالية.

---

(١) لسان الميزان ٤/ ٢٢٣.

[٤٦]
حول مصداقية أخبار الصحف والتلفزيونات

* أوضحت دراسة مقارنة أن الرأي العام البريطاني يميل إلى تصديق ما يرد في نشرات التلفاز والإذاعة من أخبار أكثر مما يصدق ما تنشره صحافته، مع أن البريطانيين يعدون أكثر شعوب أوروبا شراء للصحف.

* وأوضحت الدراسة التي أجريت في فرنسا أن ٧٩ ٪ من البريطانيين يعتقدون بصدق النشرات الإخبارية الإذاعية والتلفازية مقابل ٤٨ ٪ بالنسبة لأخبار الصحف.

* وتصل نسبة مصداقية الصحافة لدى الإيطاليين إلى ٤٥ ٪، مقابل ٥١ ٪ بالنسبة لأخبار التلفاز.

* فيما أكد الفرنسيون أن نسبة صدق نشرات أخبار تلفازهم تبلغ ٤٩ ٪ فقط.

* ويعتقد من شملتهم الدراسة من الألمان أن نسبة صدق صحفهم تصل إلى ٧٠ ٪[١].

[٤٧]
معاني كلمات ومصطلحات

ـ «الأمينان» الواردة في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لي على كل خائن أمينان»، أراد بهما: الكاتبين: كاتب اليمين وكاتب الشمال.

قلت: هكذا قرأت في مصدر، لكن ورد في «عيون الأخبار» لابن قتيبة

---

(١) مجلة الفيصل، ع ٢٤٦، ص ١١٥.

(١/ ٣١٢) أن عمر كان يقول: «على كل خائن أمينان: الماء والطين»[١].

ــ «حدثكم فلان» أي أنه سمع الخبر من فُلان قراءةً عليه، يعني: أنه لم يسمع لفظه من شيخه، بل سمع لفظ القارىء عليه.

ــ قال الجاحظ: معنى قول القائل: «يا ماصَّ بظرَ أمه»، يعني: آكلاً مهرَ أمه من غير أبيه. (محاضرات الأدباء ٢/ ٢١٤).

ــ «الشبكة»: قال الأصمعي: إذا كثرت الآبار في أرضٍ فهي شبكة. (معجم ما استعجم ٣/ ٧٧٩).

ــ «المَقام» ــ بفتح الميم ــ: موضع القدمين، والمجلس، والجماعة من الناس.

و «المُقامُ» ــ بضم الميم ــ: الإقامة، وموضع الإقامة.

ــ «الدَّفْرُ»: النَّتن، وتسمى الدنيا «أمَّ دَفْر»[٢].

ــ قال اليزيدي في «أماليه» (ص ٦٥): قال ابن الأعرابي: العرب تقول: ثَوْرٌ وثَوْرة، وعصفور وعصفورة، وبرذون وبرذونة، وعبدٌ وعبدة، وشيخ وشيخة، وغلام وغلامة.

وفي اللسان: رجل، وللأنثى رَجُلَة:

مزقوا جيبَ فتاتهم ... لم يُبالوا حُرْمَةَ الرَّجُلَهْ

ــ «المشيخة»: استهلَّت عَلَماً على الكراريس التي يجمعُ الراوي فيها شيوخه، ثم.. صارت تتضمَّن تراجم الشيوخ ومروياتهم، وقد توسع المتأخرون في ذلك فأصبحوا يذكرون فيها كلَّ ما فيه فائدة علمية عن شيوخهم.

---

(١) وأظن أن المقصود بهما البنيان، فإذا خانَ الوالي ظهرت آثار ذلك مما يبنيه.

(٢) «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء»/ لأبي هلال العسكري ١/ ١٠٤.

ـ كلمة «نظريات» تعني الفروض والتصورات التي تحتمل النفي والإثبات.

ـ «المسرحية» أصلها من مادة «سَرَح». والسارحة: الماشية، ولذا قيل للمرعى: مسرح.

ـ المفكر الإسلامي «محمد أحمد الراشد» اسمه عبد المنعم العلي.

ـ وصاحب الكتاب المشهور: «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» ـ المطبوع باسم «جلال العالم» ـ هو الكاتب الإسلامي عبد الودود يوسف، رحمه الله.

[٤٨]
البدهيات والمسلّمات واليقينات

* «البديهية»: قضية اعتُرف بها، ولا يُحتاج في تأييدها إلى قضايا أبسط منها.

* «والمسلّمات» ـ كما قال الجرجاني ـ : قضايا تُسَلَّم من الخصم ويُبنى عليها الكلام لدفعه، سواءً كانت مسلَّمة بين الخصمين أو بين أهل العلم، كتسليم الفقهاء مسائل أصول الفقه.

* ولهذا يبدو أن العلاقة بين البدهيات والمسلَّمات علاقة عموم وخصوص، فكلُّ بديهية مسلَّمة، وليست كلُّ مسلَّمة بديهية، فالمسلَّمات أعمُّ من البديهيات.

وندرك الفرق بين البدهيات واليقينيات إذا علمنا أن البداهة تعني الإدراك المباشر للموضوع البديهي، الذي يفرض نفسه فرضاً على العقل،

بحيث لا يدع مجالاً للشك. فالبداهة هي بداهة الموضوع المدرك، في حين أن اليقين هو الأثر الذي تخلِّفه هذه البداهة في النفس، والشعور الباطني الذي تولِّده فيها[1].

[٤٩]

كلمات غريبة ومصطلحات بلاغية!

السادية: نسبة إلى المركيز «دي ساد» الأديب الفرنسي المشهور، الذي تتميز شخصيات روايته بالاندفاع القهري إلى تحقيق اللذة عن طريق تعذيب الآخرين!

والسادية تعني الحصول على المتعة من خلال ألم ومعاناة الآخرين، سواء أكان ذلك نفسياً أو بدنياً، أو حتى جنسياً وبعدة طرق مختلفة!

الكرنفال: مهرجان اجتماعي شعبي يشترك فيه جميع فئات المجتمع، وذلك بمناسبة إحياء ذكرى قومية أو فنية أو اجتماعية معينة، ويُلْبَس فيه الملابس الجديدة، وأحياناً التنكرية أو الغريبة، حسب المناسبة..

الكاتدرائية: عبارة عن كنيسة يرعاها أسقف، بغضِّ النظر عن حجمها أو فخامة بنائها.

الكتاب الأزرق: كتيب صغير يتضمَّن معلومات ووثائق دبلوماسية تصدره بعض الحكومات، منها الولايات المتحدة الأمريكية، وتوزعه على

---

(١) البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم/ فهد عبد الرحمن الرومي. ــ الرياض: مكتبة التوبة، ص ٩ ــ ١٠.

البعثات الدبلوماسية والهيئات الدولية والجهات المختصة، واسم الكتاب مستمد من لون جلده الخارجي!

الاسطاطيقي: علم يبحث في الجمال ومقوماته، كما يبحث في الفن والمبادىء التي يُبنى عليها التعبير الفني في مختلف طرقه.

حتحور: آسم «معبودة» مصرية جعلها أصحابها في صورة بقرة، وأحياناً في صورة امرأة، وكانت عندهم رمز الأمومة البارة، ثم جعلوها ربَّة للموتى!

ويحمل الشهر الثالث من شهور السنة القبطية اسم «هاتور»(١).

* **وهناك خمسة فنون في اصطلاح أهل المعاني والبيان: الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحلّ، والتلميح.**

فإذا ذكر المتكلم ناظماً أو ناثراً في كلامِه كلامُ غيره لا على حكايته:

ـ فإن كان ذلك الكلامُ من عبارات القرآن أو الحديث فهو **الاقتباس**.

ـ وإن كان شعراً فهو **التضمين** ـ على اصطلاح المتأخِّرين ـ.

ـ وإن كان المتكلم نظم نثراً فهو **العقد**.

ـ وإن كان نثرَ نظماً فهو **الحَلّ**.

ـ وإن كان أشار إلى كلام غيره إيماءً لا تصريحاً فهو **التلميح**(٢).

---

(١) كلمات غريبة/ منصور الخميس. ـ الرياض: مكتبة البيكان، ١٤١٧هـ، ص ٢٦، ٣٠، ٩٤، ١٠٤، ١٧٩، ٢٠٢.

(٢) تاريخ النور السافر للعيدروسي ص ٢٨١.

[٥٠]
فوائد.. وأخبار

● نصَّ المؤرخون والفقهاء على أن الكعبة بنيت عشر مرات، وقد نظم ذلك الشيخ عبد السلام السميج (ت ١٣٩٦هـ) في ثلاثة أبيات لتحفظ، فقال:

أول بـانـي الكعبـة الأمـلاكُ ... فـآدم أبنـاؤه النسَّـاكُ
فنـوحٌ فـالخليـلُ ثـم جُـرْهُـمُ ... عمـالقـة فقـريـش تليهـمُ
فـابنُ الـزبيـرِ تـاسـعٌ والعـاشـرُ ... الثقفـيُّ ابـنُ يـوسـفَ الـزاجِـرُ

● وذكر كفر الفلاسفة بثلاثة أمور... نظمها الفقيه السابق في ثلاثة أبيات فقال:

قـد كفـر الفلسفـي بثـلاثـةْ ... بقـولـه نبـوَّة مكتسبـةْ
والجسـم لا يُعـاد والخـالـق لا ... يعلـم جـزئيـات جـلَّ وعـلا
وزيـد رابـع لهـا بقـولـه ... بقَـدِمِ العـالَـمِ أي فـي نـوعـه

● أنـواع الخيـل عشـرة، وهـي: المجلِّـي، والمصلِّـي، والمسلِّـي، والتالي، والعاطف، والمرتاح، والحظي، والمؤمل، واللطيم، والسكيت. وقد أشار إليها الشيخ أبو العباس أحمد الهلالي رامزاً لألقاب السباق العشرة على سبيل الترتيب وهو:

جـلِّ وصـلِّ سـلِّ واتـل واعطـفِ ... رح واحظ وأمِّل والْطمنْ واسكت تفي

● يطلق القنوت على معان، نظمها العلاَّمة الحافظ ابن حجر في ثلاثة أبيات:

لفـظ القنـوت اعـدد معـانيـه تجـد ... تـزيـد علـى عشـر معـان مـرضيـةْ
دعـاءٌ خضـوعٌ والعبـادةُ طـاعـةْ ... وخـامسهـا إقـرارهُ بـالعبـوديـةْ

سكـوتٌ صـلاةٌ والقيـامُ وطـولُهـا		كذاك دوامُ الطاعةِ الرابح النيَّة[1]

● المحمـدون مـن فقهـاء المـالكيـة أربعـة: اثنـان قـرويـان، وهمـا: محمـد بـن المـواز، ومحمـد بـن عبـد الحكـم. واثنـان مصـريـان، وهمـا: محمد بن عبدوس، ومحمد بن سحنون. وكانوا في عصر واحد، على سنٍّ واحد!

● قال الخليل بن أحمد: من الفرق اللطيف: اللغط كلام لشيء ليس مـن شـأنـك، والكـذب كـلام لشـيء تُغَـرُّ بـه، والمحـال كـلام لغيـر شـيء، والمستقيـم كـلام لشـيء منظـم، واللغـو كـلام لشـيء لـم تـرده. (نقلـه فـي المصباح).

● رأى أبو عبد الله بن شامة الشيخَ الفقيهَ عبدَ الواحد الونشريسي بعد مقتله، فسأله عن حاله، فأنشأ يقول:

لقـد عمَّنـي رضـوان ربـي وفضلـه		ولم أر إلاَّ الخير في وحشةِ القبر
وإنـــي أســـأل الإلـــه بفضلـــه		ليحفظني يوم الخروج إلى الحشر
ومـا بعـد ذلـك مـن أمـور كثيـرة		كنشر الكتاب والمرور على الجسر

● قيل: ثلاثة تعجل شيب المرء: ركوب البحار، وهمُّ الديون، ومجامعة العجائز! وعقد هذا المعنى الشيخ الأديب أبو المواهب العربيّ بن السائح رحمه الله بقوله:

ثـلاثـة يعجِّلْـنَ شيـب الفتـى		وإن شئـت قـل جـالبـات المنـون
مضـاجعـة الهـرمـات كـذا		ركـوب البحـار وهـمُّ الـديـون[2]

---

(١) ثم أتى بأدلة على كل معنى منه.
(٢) «الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة»/ عبد السلام السميج، ص ١٠٨، ١١١، ١٣١، ١٨٦، ١٩٨، ٢٧٢، ٣٠٩، ٣١٦.

[٥١]
.. من الزوايا

ـ يقال: فلان لا يعرف كُوعه من بُوعه. والكوع أطول عظمة في إبهام اليد، والبوع أطول عظمة في إبهام القدم.

ـ الدول الإسلامية التي لم تستعمر هي: أفغانستان ـ إيران ـ تركيا ـ السعودية ـ شمال اليمن.

ـ قبيلة سينوي في جنوب إفريقيا.. إذا رأى أحدهم في الحلم أنه آذى أحداً، يعتذر له في الصباح ويقدِّم له هدية!

ـ قدَّم أحد علماء التجميل تقريراً عن أفضل الوسائل لتجميل الوجه، فقرَّر أن مياه الأمطار من أحسن الوسائل لتجميل البشرة والاحتفاظ بنضارتها[١].

[٥٢]
فوائد.. ومعلومات

ـ قال أبو العتاهية:

وصفتَ التُّقى حتى كأنَّك ذو تُقى ... وريحُ الخطايا من ثيابك تَسْطَعُ

● الحكمة من تعليم الملَكين الناسَ السحر، أن السحرة كثروا في ذلك العهد، واخترعوا فنوناً غريبة من السحر، وربما زعموا أنهم أنبياء.

---

(١) مقتطفات من كتاب: «من أجمل ما قرأت»/ عائد عطية العنزي. ـ الرياض: مطبعة العلا، ١٤١٥هـ.

فبعث الله تعالى الملكين هاروت وماروت ليعلِّما الناسَ وجوه السحر حتى يتمكنوا من التمييز بينه وبين المعجزة، ويعرفوا أن الذينَ يدَّعون النبوة كذباً إنما هم سحرة لا أنبياء.

● كان في بني إسرائيل القِصَاص ولم يكن فيهم الدِّيَة، وكان في النصارى الدية ولم يكن فيهم القصاص.

فأكرم الله هذه الأمة المحمدية وخيَّرها بين القصاص والديَّة والعفو. وهذا من يُسر الشريعة الغراء التي جاء بها سيد الأنبياء ﷺ.

● قال القرطبي: شارب الخمر يصير ضُحكة للعقلاء، فيلعب ببوله وعذرته، وربما يمسح وجهه، حتى رؤي بعضهم يمسح وجهه ببوله ويقول: اللَّهُمَّ اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين. ورؤي بعضهم والكلب يلحس وجهه وهو يقول: أكرمك الله كما أكرمتني!

● قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾﴾ هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار.

قال السيوطي في «الإكليل»: يستحبُّ قولُ هذه الكلمة عند الغمِّ والأمور العظيمة.

● لما عجز فرعون عن دفع الحجة بالبرهان عدل إلى البطش والفتك بالسنان، وهكذا حال كل ضالٍّ مبتدع، إذا أعيته الحجة مال إلى التهديد والوعيد[1].

---

(١) صفوة التفاسير ٥٦/١، ٨٤، ١٢٠، ١٤٣ (تفسير القرطبي ٥٧/٣)، ٢٤٧، ٤٦٦.

[٥٣]
فوائد وتجارب.. من علم عالم

الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (ت ١٤١٨هـ) عالم ومحدِّث سلفي، عاش في المدينة المنورة، جمع ابنه عبد الأول ترجمته وأقواله في جزأين لطيفين.

ومما ذكر من أخباره وأقواله:

- كان يسمي الشهادة الدراسية: قارورة تشرب منها لتعيش.
- قارة آسيا أفضل القارات لأنها مركز الأنبياء.
- من يجمع الكتب لا يستطيع أن يجمع المال.
- التمر فيه منافع كثيرة، منها أنه لا يحتاج إلى تجهيز.
- لا ينبغي لطالب العلم أن يبكِّر بالزواج، فإن المرأة سبب لقلة الطلب.
- إن الدولة كالأسد، فإن الأسد إذا لم تتحرَّش به لا يؤذيك، وإذا تحرشت به آذاك.
- إن المتزوج بأربع نسوة يصير شاباً، بخلاف الذي معه واحدة أو اثنتان أو ثلاث.
- إن ميدان الدعوة يجب ألاَّ يدخل فيه إلاَّ أهل البصيرة.
- الشاي ونحوه من هذه العادات تضيِّع الوقت.
- العلماء قسمان منذ أن خلق الله الدنيا: عالم مشارك، وعالم متخصص.
- المغرب كله بجميع نواحيه تلامذة للمشارقة، رضوا أم أبوا.
- الريال كلمة إيطالية أخذتها تركيا من إيطاليا.

ـ أرض «مالي» مليئة بالخيرات ولكن أهلها كسالى جداً. والله المستعان.

ـ العمامة التي يلبسها الهنود والإيرانيون عمامة العجم.

ـ تمنيت لو أن المخطوطات التي بأيدي الدول العربية الآن هي لأوروبا، لأن الأوروبيين يعرفون قيمتها ويحافظون عليها ويفهرسونها، وأما العرب. . ! فالله المستعان.

ـ دهن العود والمسك سبب في ظهور الشيب في الرأس واللحية.

ـ إن أصل تسمية موريتانيا من أسبانيا، هي سمتها، ومعناها: بلاد البيضان، حتى تميز عن السودان.

ـ إذا قال العلماء عبارة «قال المتقدمون»، فالمقصود من قبل القرن الرابع. والقرون الثلاثة الأولى هي قرون علماء السلف، ثم أتى بعد القرن الثالث الخَلَف.

ـ أهل اليمن هم العرب حقاً، ولا نظير لهم في الأخلاق. وما وصفهم به النبي ﷺ بقوله: «الإيمان يمان» و «الحكمة يمانية» لم يوصف به عربي قط. وترى الزيدي الذي يخالفك في الاعتقاد يتعامل معك أحسن معاملة!

ـ إن المحدِّثين قلَّ أن يكون فيهم من يُحسن الخط!

ـ إن الأنصار لم تقم لهم دولة إلاَّ في غرناطة.

ـ العلماء الأوائل لا ينقطون الكلمات، ويقولون: التنقيط للعوام! وإن الحجاج نقط القرآن بسبب كثرة العجم[1].

---

(١) مقتطفات من كتاب «المجموع في ترجمة العلاَّمة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري»/ عبد الأول بن حماد الأنصاري.

[٥٤]
أخبار.. سريعة !

ــ قال بعضهم: التعليقُ على حواشي الكتب كالشنوفِ في آذان الأبكار.

ــ وقال أبو إسحاق الكلابزي: تخرَّقه كتاب سيبويه في كُمِّ المازني نيِّفاً وعشرين مرة(١)!

ــ يقول الكتاب المخطوط:

أصبحتُ فيمن له علم بلا أدب	ومن له أدبٌ عارٍ من الدين
أصبحتُ حبراً فقيدَ الشكل منفرداً	كبيت حسان في ديوان سحنون

ــ يقوم الدكتور حسن عبد الحميد المعايرجي المصري بجمع ترجمات معاني القرآن الكريم، وحتى الآن (سنة ١٤٢٠هـ) عُلم أنه جمع أكثر من (١٢٥) لغة ترجمة لمعاني القرآن. جزاه الله خيراً(٢).

ومن أخبار الكتب:

ــ «تغيير النحويين للشواهد»: بحث يشتمل على أكثر من مائتي بيت حرَّفها النحويون للاستشهاد بها/ علي محمد فاخر. ــ القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٤١٦هـ، ٣٤٣ ص.

ــ «التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب»/ جمعه وعلق عليه وقدَّم له إبراهيم بن حسن. ــ طرابلس الغرب؛ تونس: الدار العربية للكتاب، ١٤٠٣هـ، ٨٨٠ ص.

---

(١) الخبران السابقان في كتاب «نثر الدر» ٧/ ١٦٠. (ولعل شهرة القائل: الكلاباذي).

(٢) الخبران السابقان في «هوامش دفتر المخطوطات»/ زهير الشاويش، ص ٢١٣، ٢٢١.

ـ «ديدات غير قادياني»، محمد ياسر شرف. ـ أبو ظبي: دار المتنبي، ١٤١١هـ، ٢٧٢ ص.

ـ «رحلة الإمام الشافعي»، توجد مخطوطة ومطبوعة، ذكر الإمام الذهبي أنها باطلة[١].

[٥٥]
تكلم بعد الموت !

زيد بن خارجة الأنصاري صحابي جليل، شهد بدراً. توفي في خلافة عثمان، رضي الله عنهما.

وقد روى النعمان بن بشير قال: لما توفي زيد بن خارجة انتُظر به خروجُ عثمان، فقلت: أصلِّي ركعتين.

فكشف الثوب عن وجهه فقال: السلام عليكم، السلام عليكم ـ قال: وأهل البيت يتكلمون ـ فقلت وأنا في الصلاة: سبحان الله! سبحان الله!

فقال: انصتوا، انصتوا! محمد رسول الله، كان ذلك في الكتاب الأول. صدق، صدق، صدق أبو بكر، ضعيف في جسده قويٌّ في أمر الله، كان ذلك في الكتاب الأول. صدق، صدق، صدق عُمر بن الخطاب، قويٌّ في جسده، قويٌّ في أمر الله، كان ذلك في الكتاب الأول. صدق، صدق، صدق عثمان بن عفان، مضت اثنتان وبقي أربع، وأبيحت الأحماء، بئر أريس وما بئر أريس. السلام عليك عبد الله بن رواحة، هل أحسستَ لي خارجة وسعداً؟

قال شريك: هما أبوهُ وأخوه!

---

(١) في «سير أعلام النبلاء» ١٠/٧٨.

قال الحافظ المزي: وقد رويت هذه القصة من وجوه كثيرة، عن النعمان بن بشير وغيره[1].

قلت: وورد في أكثر من مصدر أن سعيد بن جبير عندما قتله الحجاج وندر رأسه، نادى ثلاث مرات: لا إله إلاَّ الله[2].

[٥٦]
امرأة.. لا تأكل ولا تشرب !

قصة غريبة ونادرة رواها إمام اللغة العلاَّمة عيسى بن محمد الطَّهماني المروزي (ت ٢٩٣هـ)، قال: رأيت بخوارزم امرأةً لا تأكل ولا تشرب ولا تروث!

قال يحيى العنبري: سمعتُ الطهماني يحكي شأن التي لا تأكل ولا تشرب، وأنها عاشت كذلك نيفاً وعشرين سنة، وأنه عاينَ ذلك!

قال الإمام الذهبي: سقتُ قصتها في «تاريخ الإسلام». وهي: رحمةُ بنت إبراهيم، قُتل زوجها وتركَ ولدين، وكانت مسكينة، فنامت فرأت زوجها مع الشهداء يأكل على موائد، وكانت صائمة، قالت: فاستأذنهم وناولني كِسْرةً أكلتُها، فوجدتُها أطيب من كل شيء!

فاستيقظتْ شبعانة، واستمرت!

وهذه حكاية صحيحة، فسبحان القادر على كلِّ شيء[3]!

---

(١) تهذيب الكمال ١٠/ ٦١ ـ ٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٦٥، حلية الأولياء ٤/ ٢٩١، تهذيب الكمال ١٠/ ٣٦١، ٣٦٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٢.

[٥٧]
حامل كفنه !

هو أبو سعيد محمد بن يحيى.

سكن دمشق، روى عن إبراهيم بن سعد الجوهري وأحمد بن منيع وابن أبي شيبة وغيرهم.

وكان محمد بن يحيى هذا يدعى حامل كفنه!

وذلك ما ذكره الخطيب البغدادي، قال: بلغني أنه توفي فغُسِّلَ وكُفِّن وصُلِّي عليه ودُفن، فلما كان الليل جاء نبَّاشٌ ليسرق كفنه، ففتح عليه قبره، فلمَّا حلَّ عنه كفنه استوى جالساً، وفرَّ النَّباش هارباً من الفزع! ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفنه معه، وخرج من القبر وقصد منزله، فوجدَ أهلَهُ يبكون عليه، فدقَّ عليهم الباب، فقالوا: من هذا؟

فقال: أنا فلان. قالوا: يا هذا، لا يحلُّ لك أن تزيدنا حزناً إلى حزننا.

فقال: افتحوا والله أنا فلان.

فعرفوا صوته، فلما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً، وأبدل الله حزنهم سروراً.

ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النبَّاش، وكأنَّه قد أصابته سكتة ولم يكن قد مات حقيقة، فقدَّر الله بحوله وقوته أن بعث هذا النَّباش ففتح عليه قبره، فكان هذا سببَ حياته. فعاش بعد ذلك عدة سنين.

ثم كانت وفاته في سنة ٢٩٩هـ[١].

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٣، البداية والنهاية ١٤/ ٧٧٧، تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٢٩١ ـ ٣٠٠هـ ص ٤٢٣، المنتظم ١٣/ ١٣٠.

[٥٨]
حادثة نادرة

من العناية بالعلم وأهله: ما روي أن الأديب زُهر وزير يعقوب المنصور، لما تشوَّق إلى ولد له صغير وهو بحضرة مراكش، وأنشد في ذلك:

ولي ولدٌ مثلُ فرخ القطا	ةِ تخلف قلبي لديْه
نأت عنه داري فيا وحشتي	لذاك الشخيص وذاك الوُجَيْه
تشوقني وتشوقته	فيبكي عليَّ وأبكي عَلَيْه
لقد تعب الشوق ما بيننا	فمنه إليَّ ومني إلَيْه

قال المقري في «نفخ الطيب»: إن ابن زهر لما قال هذه الأبيات، وسمعها يعقوب المنصور رحمه الله، أرسل المهندسين إلى إشبيلية، يعني من غير علمٍ من ابن زُهر، وأمر أن يحيطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارته، ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش. ففعلوا ما أمرهم به في أقرب مدة، وفرشها بمثل فرشه، وجعل فيها مثل آلته، ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه إلى تلك الدار، ثم احتال عليه حتى جاء إلى ذلك الموضع، فرأى أشبه شيء ببيوته وحارته، فاحتار لذلك وظن أنه نائم! وأن تلك أحلام! فقيل له: ادخل البيت الذي يشبه بيتك. فدخله فإذا ولده الذي يتشوق إليه يلعب في البيت! فحصل له من السرور ما لا مزيد عنه[1]!

* * *

(١) الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة/ عبد السلام السميج، ص ٢٠٩.

[٥٩]
فوائد

من الفوائد التي قالها العالم المحدث حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله (ت ١٤١٨هـ):

ـ إن الأمطار صحة، فلما فقدناها الآن أصبحنا مرضى.

ـ الموالي لا يُعرف آباؤهم في الغالب (قال معلقه: وذلك بسبب انتسابهم إلى أسيادهم).

ـ ابن رجب ألف كتابه «شرح البخاري» ووصل فيه إلى الجنائز، ثم ذهب هو إلى الجنازة!

ـ كتاب «إتحاف السادة شرح الإحياء» (للزبيدي) يندرُ له مثيل في هذا الزمن المتأخر في التوسع في تخريج الأحاديث.

ـ إن الشوكاني صاحب علم وسياسة، استطاع أن يسلك بالزيدية طريق السنة.

ـ إن الكفار لا يدافعون عنا، إنما يريدون أن يضعفونا.

ـ إن التصوير الفوتوغرافي حلال عندي، ولكن لا أفتي بهذا احتراماً لأهل الفتوى في هذه البلاد (السعودية) على التحريم.

ـ إن الذي يعلن بدعته فهذا يطلق عليه زنديق، وأما الذي لا يعلن فهذا يطلق عليه مبتدع.

ـ قبر حواء الذي بمدينة جدة لا أصل له.

ـ إن حلق اللحى فيه أربعة أمور، هي: معصية الله ورسوله ﷺ، تغيير خلق الله عز وجل، تشبه بالكفار، تشبه بالنساء.

ـ الطوارق كان أحدهم إذا عمل عملاً سيئاً فأراد قومه أن يعاقبوه أخذوا بعمامته لينزعوها، فيقول لهم: العمامة لا تنزع، إذا كان لا بدَّ فانزع السروال!

والطوارق تسودهم النساء، بمعنى أن القبيلة تحكمها المرأة[1]!

[٦٠]
صاحب الفكر المتصلّب

ـ صاحب الفكر المتصلب شديد الجمود على أفكاره، وهو غير قادر على التخلي عن آرائه حتى لو بدا خطأها، على حين أن صاحب الفكر المرن يذعن للحق، ويتشوق إلى معرفة الجديد، سواء أكان موافقاً لما يرى أو مخالفاً له.

ـ اللغة التي يستخدمها صاحب الفكر المتصلب تميل إلى المغالاة والقطعية، نحو قوله: فلان دائماً يكذب، أنا لا أقول هذا أبداً، كلامك لا يمكن قبوله.

ـ حساسيته لمشاعر الآخرين ضعيفة، فهو يلقي الكلام على عواهنه، غير آبه بما يسببه لسامعيه من أذى وحرج...

---

(١) مختارات من كتاب «المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري»/ عبد الأول بن حماد الأنصاري (من مج ٢).

ـ يعطيك انطباعاً بأن لديه جواباً لكل سؤال، والسبب في ذلك أن ممارسته للمشاركة في التحدث قائمة على عدد قليل من المبادىء والمفاهيم الجاهزة والمحددة، ولذا فهو يحفظها عن ظهر قلب، ويسارع إلى استخدامها في محاوراته.

ـ ميال إلى المثالية، تأبى طبيعة الأشياء تحقيقها.

ـ ظنه أن ما اهتدى إليه لا بدائل له، ولذا فهو لا يعطي أي اهتمام لمسألة البحث عن بدائل أكثر نفعاً وأقل تكلفة[١].

[٦١]
لطائف.. وتنبيهات

ـ الصحيح أن الميت يسمع، لقوله ﷺ: «ما أنتم بأسمع منهم»، وقوله: «وإن الميت ليسمع قرع نعالهم». وأما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢] المراد منه سماعَ التدبُّر والاتعاظ، والله أعلم.

ـ الملكوت: صيغة مبالغة من المُلك، ومعناه: المُلك الواسع التام، مثل: الجبروت والرحموت، للمبالغة.

ـ قال العلامة ابن كثير: ما ثبت عنه ﷺ أنه تمثل يوم الخندق بأبيات ابن رواحة: «اللّهم لولا أنت ما اهتدينا»، وما ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب على بغلته: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، وقوله: «هل أنت إلاّ أصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت»... إلخ، إنما وقع اتفاقاً من غير قصد إلى قول الشعر، بل جرى هذا على لسانه ﷺ عفواً. وكل هذا لدينا في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

---

(١) باختصار من كتاب «خطوة نحو التفكير القويم»/ عبد الكريم بكار، ص ٦٧.

ـ أمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد يوم فتح مكة أن يحطم العزَّى، فحطَّمها وهو يقول:

يـا عُـزُّ كفـرانـك لا سبحـانـك إنـي رأيـتُ الله قـد أهـانـك[1]

[٦٢]
المداراة.. والمداهنة

الفرق بين المداراة والمداهنة:

أن المداراة هي الرفق بالناس في مخالطتهم، وسَوْقُهم إلى الحق بلطف، فهي بذلُ شيءٍ من الدنيا لأجل التوصل إلى حق.

بخلاف المداهنة، فإنها معاشرة الفاسق مع إظهار الرضا بما هو عليه، فهو بذل الدين لصلاح الدنيا[2].

[٦٣]
طبائع

طبيعـة القوي الجور، فإذا عدل فلأمر ما.

وطبيعة الظالم القسوة، فإذا رحم فلأمر ما.

وطبيعة المستبدِّ الغرور، فإذا تواضع فلأمر ما.

وطبيعة الملحد الفساد، فإذا صلح فلأمر ما.

وطبيعة الغني التبذير، فإذا اقتصد فلأمر ما.

---

(١) صفوة التفاسير ٢/ ٤٨٥، ٣/ ٢٦، ٢٨١.

(٢) «الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة»/ عبد السلام السميج. ـ الرباط: وزارة الأوقاف، ١٤١١هـ، ص ١٢.

وطبيعة المنافق الكذب، فإذا صدق فلأمر ما.
وطبيعة المخادع الخيانة، فإذا استقام فلأمر ما.
وطبيعة السياسي المداورة، فإذا صارح فلأمر ما.
وطبيعة الشباب الطيش، فإذا عقل فلأمر ما.
وطبيعة الجمال الفتنة، فإذا عفَّ فلأمر ما.
وطبيعة عالم السوء الولغ في الدنيا، فإذا زهد فلأمر ما.
وطبيعة البدوي الجلفة، فإذا رقَّ فلأمر ما(١).

[٦٤]
مواضع ذمّ السؤال

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: الإكثار من الأسئلة مذموم، وله مواضع، نذكر منها عشرة:

أحدها: السؤال عما لا ينفع في الدين، كسؤال بعضهم: من أبي؟

ثانيها: أن يسأل ما يزيد عن الحاجة، كسؤال الرجل عن الحج: أكلَّ عام؟

ثالثها: السؤال من غير احتياج إليه في الوقت، ويدل عليه: «ذروني ما تركتكم».

رابعها: أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها، كما جاء في النهي عن الأغلوطات.

خامسها: أن يسأل عن علة الحكم في التعبدات، كالسؤال عن قضاء الصوم للحائض دون الصلاة.

---

(١) «هكذا علمتني الحياة»/ مصطفى السباعي ٢/ ٢٩.

سادسها: أن يبلغ بالسؤال حد التكلف والتعمق، كسؤال بني إسرائيل عن البقرة وما هي وما لونها؟

سابعها: أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي، ولذلك قال سعيد: أعِراقي أنت؟

ثامنها: السؤال عن المتشابهات، ومن ذلك سؤال مالك عن الاستواء، فقال: الاستواء معلوم...

تاسعها: السؤال عما حصل بين السلف، وقد قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء كفَّ الله عنها يدي فلا ألطخ بها لساني.

عاشرها: سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام، ففي الحديث: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[(١)].

[٦٥]
صاحب التفكير العجول

ـ يتسم صاحب التفكير العجول بسرعة التصديق للأفكار والخطوط البيانية الجديدة، مع أنها تظل موضع شدٍّ وجذب حتى تختبر وتبلور.

ـ لا يناقش الكلام الذي يسمعه بعقلانية، بل يقبل ما وافق مزاجه وهواه دون إعمال الفكر فيه، وإذا خالف مزاجه اتخذ منه موقفاً سلبياً سريعاً.

ـ يسمع ما يحبُّ أن يسمعه، ولا يعطي للتنظير والتخطيط الأهميّة التي يستحقانها.

ـ تغلب النمطية والقولية عليه، فهو قد تعوَّد اتباع طرق تقليدية في إنجاز أموره والوصول إلى أهدافه، وحين تعرض عليه بدائل جديدة فإنه في الغالب لا يأبه بها.

---

(١) نقلاً من «محاسن التأويل»/ للقاسمي ٦/ ٢١٧٦.

ـ ينغمس في أعمالـه، لكن يغلب عليـه ضعـف الإحساس بأهـداف العمل وغاياته. . .»[1].

[٦٦]
شهادة.. للعولمة الإسلامية

يعزز السند الإقناعي بأن الإسلام هو المؤهل لحل مشكلة العولمة، بشهادة من أهلها.

فلقـد صـدرت صيحـات تحـذيـريـة للحضـارة الغـربيـة لا مـن أقـوال رجال الدين، بـل من أقوال أقطـاب العلم وزعمـاء السياسـة في تلك الـدول نفسها.

فنجد «روبرت ميلكان» العالم الطبيعي الأمريكي يقول: «إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق، لقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب العامة، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة، بل يصير العلم نكبة على البشرية».

ومن هنا لا يكون غريباً أن نجد المؤرخ الكبير «توينبـي» يقرر بأن المسار الإنساني نحو العالمية سيحتاج إلى عطاء الإسلام في القضاء على العرقية بجميع تفرعاتها، وفي التخلص من مظاهر الانحطاط التي أحدثتها المجتمعات الكحولية والملاهي.

ويقرِّر «ريتشارد ب. سنون» بأنَّ مفتاح المستقبل رهن بمعرفة كيفية مجابهة العولمة، أو يتعين على كل ثقافـة على حـدة أن تجـد نقـط ارتكـاز لتحركها.

---

(١) باختصار من «خطوة نحو التفكير القويم»/ عبد الكريم بكار، ص ١٤١.

فالإسلام بما يمتلك من معرفة الوحي ساهم على مر تاريخه في إذكاء جذوة الفكر العقلاني والعلمي وضبط أهدافه، وربما سيضطلع الإسلام بمسؤولية حمل هذا المشعل من جديد[١].

[٦٧]

.. في العمق

ـ إن الحضارة الغربية الحديثة تمزج بين أعلى درجات التقدم والرقي وأعلى درجات الانحطاط والتخلف.

ـ إذا ما أردنا لأنشطتنا أن تستمر وتكون منتجة؛ فعلينا أن نجعلها دائماً في إطار من المشروعية والاعتدال.

ـ ما التقى قويٌّ وضعيفٌ إلاَّ كان القوي هو الأكثر استفادة من ذلك اللقاء!

ـ لدى الأمم المتدهورة قوانين ودساتير، لكن لديها أيضاً بجوار كل قانون مكتوب قانون غير مكتوب يمثل الوجه، ويمثل القانون المكتوب القناع.

ـ من أهمِّ سمات الإنسان المتمدن أنه يبحث باستمرار عن طرق مشروعة وغير عنيفة لتجاوز التعارض بين مصالحه ومصالح الآخرين.

ـ الإنسان بسبب من قصوره الذاتي يبدو وكأنه يلهث خلف الشيء بدل أن يكون في موقع القيادة والتخطيط.

---

(١) «ظاهرة العولمة: رؤية نقدية»/ بركات محمد مراد. ـ الدوحة: وزارة الأوقاف، ١٤٢٢هـ، ص ١٦٧. (كتاب الأمة؛ ٨٦).

ـ يعلمنا القرآن الكريم أن تغيير الذات يمكن أن يؤدي إلى تغيير نظم اجتماعية وطبيعية عتيدة.

ـ النصر الحقيقي الذي افتتحت به حضارتنا الإسلامية انطلاقتها كان على مستوى النفوس، إذ تحررت من حب الدنيا ومن الطموحات الصغيرة.

ـ إن عجز الصفوة عن مدِّ جسور التواصل مع الناس قد جعل كثيراً من جهودهم المعرفية غير ذات معنى، وصاروا أشبه بقائد تخلى عنه جنوده[1].

* * *

(1) تجديد الوعي/ عبد الكريم بكار. ـ الرياض: دار المسلم، ١٤٢١هـ، ص ٢٦٣ ـ ٢٧٥.

[٦٨]

الوالدان في قبريهما

ما أحسن ما ينشد في الحض على زيارة الوالدين، في قبريهما، قول الإمام القصار رحمه الله:

زُرْ والديك وقف على قبريهما — فكأنني بك قد نُقلتَ إليهما
لو كنتَ حيثُ هما وكانا بالبقا — لأتوك حبواً لا على قدميهما
أنسيتَ عهدهما عشيَّة أُسكنا — دار البلا وسكنتَ في داريهما
ما كان ذنبهما إليك وإنما — منحاك محض الحبِّ من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علَّةً — جزعا لما تشكو وشقَّ عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا — دَمعيهما أسفاً على خدَّيهما
فلَتَلْحَقَنْهما غداً أو بعده — حقّاً كما لحقا هما أبويهما
ولتقدمن على فعالك مثل ما — قدما هما أيضاً على فعليهما
بُشراك لو قدَّمتَ فعلاً صالحاً — وقضيتَ بعض الحقِّ من حقَّيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما — تسطيعهُ وبعثت ذاك إليهما
فاحفظ حُفِظْت وصيَّتي واعمل بها — فعسى تنال العزَّ من بِرَّيهما[1]

(١) «الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة»/ عبد السلام السميح، ص ١٦٤.

[٦٩]
كيفية التكفير عن عقوق الوالدين

عقوق الوالدين من الكبائر. ولهذا العقوق آثار سلبية في حياة المرء، وعند سكرات الموت، وفي الآخرة.

وإذا ابتُلي مسلم بهذه الكبيرة ــ والعياذ بالله ــ فكيف يكفِّر عن هذا الذنب العظيم، وكيف يسلم من العقوبة؟

١ ــ يكون بالتوبة إلى الله تعالى، وشرطها ثلاث:

ــ الإقلاع عن العقوق،

ــ والندم على ارتكابه،

ــ والعزم الصادق على عدم العودة إليه،

مع صفح الوالد عن ولده العاق، إذا كان الوالد حيّاً.

٢ ــ أن يقوم العاق بالدعاء لوالديه، والاستغفار لهما، والحج عنهما، وقضاء ديونهما.

وغيرها من أعمال البر والطاعة، وإهداء ثواب ذلك لوالديه[١].

[٧٠]
الحياء.. أنواع وأقسام

الحياء خلق كريم، وخصلة جليلة يتحلَّى بها المؤمن.

وهو نوعان:

ــ حياء فطري (نفساني): وهو الذي خلقه الله في النفوس كلها، كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس، وحياء العذراء في خدرها،

(١) «أحكام الأبوين في الفقه الإسلامي»/ محمد بن عبد الله العذير، ص١٢٣ ــ ١٢٦.

وهو منحة من الله عز وجل.

ـ حياء كسبي (إيماني): وهو الذي يكتسبه المسلم من دينه، فيمنعه من فعل ما يُذمُّ شرعاً، مخافة أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

* وهو أقسام:

ـ الحياء من الله تعالى: وهو أن لا يراك حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك.

ـ الحياء من الناس: وهو أن يكون ذا مروءة، فيفعل ما يجمِّله ويزيِّنه عند الناس، ويتجنَّب ما يدنِّسه ويُشينه.

ـ الحياء من النفس: فيحاسب نفسه فيما تقول أو تفعل، وهل هي على حلال أو حرام...

وهذا القسم لا تحسُّ به إلاَّ النفوس الشريفة العزيزة، التي لا تقنع بالنقص والدون، فكأنها ذات نفسين، تستحي إحداهما من الأخرى!

* وله علامات وشواهد، مثل:

ـ ستر العورة وقلة التكشف.

ـ عدم المواجهة والمصارحة بما يُكره.

ـ الإعراض بالوجه.

ـ تحسين الهيئة والثياب وطلاقة الوجه.

ـ ترك صاحب الحق حقه.

ـ السكوت وعدم الإفصاح عما في النفس «البكر تستحي».

ـ الجلوس حيث ينتهي به المجلس.

ـ ترك الحديث لمن هو أكبر سناً.

ـ الاستنابة في استفتاء من يُعرف.

ـ تغطية الرأس أو الوجه.

ـ التعفف عن سؤال الناس عند الحاجة.

ـ ترك القبيح أمام من يُعرف.

ـ قلة الكلام.

ـ إخفاء ما قد يُعاب عليه[1].

[٧١]
يستحي من غريمه!

حكى محمد بن سلام قال:

كنت أمشي مع أبـي[2] إلى أن انتهينا إلى «موقف الخيل» بالقيروان. فبينما نحن نمشي إذ جذبني جذبة شديدة، ثم دخل إلى سقيفة هناك وأدخلني معه، فقلت لأبـي: ما القصة؟

فقال: يا بني، رأيتُ غريماً لي فخفتُ أن يراني فيرتاع مني، وذكرت قول الله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾.

---

(١) من: «خلق الحياء في الكتاب والسنة وتطبيقاته التربوية»/ إعداد فهد بن عبد الله الشهري. ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ، ص ٧٦ ـ ٩٨.

(٢) يقصد بأبيه: يحيـى بن سلام التيمي، من أبناء البصرة، قدم القيروان في سبب التجارة وبث بين أبنائها علماً كثيراً، وتوفي بمصر عند رجوعه من الحج سنة ٢٠٠هـ. وله تفسير للقرآن الكريم، وابنه محمد، راوي الخبر خلف أباه في رواية العلم والتفسير.

فقعدنا ساعة في السقيفة ثم خرجنا. فلما مشينا قليلاً التفت إليَّ أبي وقال: يا بني، إنه قد جاء في حديث النبي ﷺ: «من رَحِمَ يُرْحَم»[1].

[٧٢]
الغيبة.. والدراهم

الإمام الحافظ شيخ الإسلام عبد الله بن وهب بن مسلم كان من أوعية العلم، ومن كنوز العمل. لقي بعض صغار التابعين، وتوفي سنة ١٧٩هـ.

سمعه بعضهم يقول:

نذرتُ أني كلما اغتبتُ إنساناً أن أصوم يوماً، فأجهدني، فكنتُ أغتابُ وأصوم! فنويتُ أني كلما اغتبتُ إنساناً أن أتصدَّق بدرهم.

فمن حُبِّ الدراهم تركتُ الغيبة[2]!.

[٧٣]
بين التواضع.. وما يشاكله

* التواضع هو اللِّين مع الخلق، والخضوع للحق، وخفض الجناح. وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة لعباده. فمن قبلَ الحق وانقاد له ولم يحقر أحداً فهو المتواضع للحقّ والخَلْق...

* أما الفرق بين التواضع والضَّعة، فهو:

ـ أن التواضع رضا الإنسان بمنزلةٍ دون ما تستحقه منزلته، والضَّعة هي وضع الإنسانِ نفسَهُ بمحلٍّ يُزري به.

---

(١) «ورقات عن الحضارة العربية» ٢/٣٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/٢٢٨.

ـ والتذلُّل هو إظهار العجز عن مقاومة من يتذلَّلُ له، والتواضع إظهار قدرة من يتواضع له، سواء كان ذا قدرة على المتواضع له أو لا.

ـ والمهانة هي الدناءة والخِسَّة، وبذلُ النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها، وتواضعُ طالبِ كلِّ حظٍّ لمن يرجو نيلَ حظِّه منه.

فهذا كله ضَعةٌ لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع، ويبغض الضعة والمهانة[1].

[٧٤]
هل الغيظ يقتل؟

مروان بن عبد الملك بن مروان الأموي أمير، من شجعان بني مروان.

حجَّ مع أخيه الوليد أيام خلافته، فتشاجرا وهما في وادي القرى، وشتمه الوليد، وكان معهما عمر بن عبد العزيز، فوضع يده على فم مروان فمنعه من الردِّ على الوليد، فقال له: قتلتني! رددتَ غيظي في جوفي!

فما انصرفوا من وادي القرى إلَّا وقد مات، ودفنوه (٩١هـ)[2]!

قلت: عندما يدرك المؤمن ما أعدَّ الله له من ثواب عظيم إذا كظم غيظه فإنه لا يقتله غيظه، بل يشعر بإيمان ينير قلبه ويطمئن قلبه، فيعفو ويصفح لأجل ثواب أعظم وطاعة لرب العالمين ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

---

(١) «الكبر والتواضع في القرآن الكريم»: رسالة موضوعية/ فهد بن صالح الطويل. ـ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ، (رسالة ماجستير)، ص ١٦ ـ ١٩.

(٢) الأعلام للزركلي ٧/ ٢٠٨ (ط ٨).

[٧٥]
سنة الله في الفظاظة والرفق

يقول الأستاذ الجليل عبد الكريم زيدان:

على الجماعة الإسلامية أن تعي وتفهم سنة الله في الفظاظة والرفق.

فإذا كانت طبيعة الفظاظة وغلظة القلب تنفِّر الناس حتى من رسول الله ﷺ ولذلك عصمه الله منهما، فنفرة الناس من الجماعة المسلمة إذا كانت موصوفة بالفظاظة والغلظة أولى.

ولا يشفع لها إذا اتصفت بهاتين الصفتين أنها تدعو إلى الإسلام، وأن على الناس أن يتحمَّلوا فظاظتها وغلظتها معهم لأنها تعمل لمصلحتهم وتدعو إلى الحق؛ فالناس لا يأخذون بهذا المنطق، فما تدعو إليه الجماعة لا يدخل في قلوبهم إلاَّ إذا مالت إليه قلوبهم، ولا تميل إليه قلوبهم إلاَّ إذا مالت إلى دعاته، وهي لا تميل إلى دعاته إلاَّ إذا كانوا رحماء بالناس يخصُّونهم بوجوه البرِّ والشفقة والمعونة، بدون تكبُّر أو استعلاء أو خشونة أو سوء خلق.

فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ودٍّ يعمُّهم، وحِلْمٍ لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم[١].

[٧٦]
من استُغضِب ولم يغضب..

علي بن حسين، المعروف بـ «علي باي الأول» أمير تونس. حارب الفرنسيين ثم صالحهم، وأعان السلطان العثماني مصطفى خان على محاربة

(١) من «مجلة الأسرة» ع ٩٥ (صفر ١٤٢٢هـ) ص ١٢.

الروس، وحسنت سيرته، وهو تركي ولد في تونس، وتوفي سنة ١١٩٦هـ، وعني بالحديث والفقه[١].

يقول أبو محمد الحاج حمودة بن محمد بن عبد العزيز (ت ١٢٠٢هـ) ــ وكان الباي قد ولاه رئاسة ديوان الإنشاء، وعهد إليه بتربية أبنائه وتعليمهم ــ : حضرتُ ليلةً مجلسه العالي، وكان معنا الشيخ الفقيه القاضي أبو الظفر منصور المنزلي، فقال الباي: أنا والحمد لله لا أغضب!

فقال له القاضي: من استُغضب ولم يغضب. . .

فتغيَّر وجهه وظهر عليه آثار الامتعاض وقال له: أنا حمارٌ أيها الشيخ؟ ثم نظر إلينا كالمستنطق؟

فسكت القاضي، ونهض الأمير إلى صلاة العشاء وانفضَّ المجلس!

وانتشرت القضية. . . وخاف القاضي على نفسه. . فذهب إلى وزير، فطمأنه، وتوسط له لدى الأمير. . .

فقال له: أخبره أنه لا بأس عليه، أيريد أن يكذبني حتى يقال: غلبه الغضب وطلب الانتقام لنفسه حتى عزل قاضيه؟ لا يكون ذلك أبداً إن شاء الله!

وقال الشيخ حمودة في ذلك المجلس: إن هذا الأثر للإمام الشافعي، وهو محمول، كما قال حجة الإسلام الغزالي، على من فقد قوة الغضب، أو ضعفت فيه بحيث لا حميَّة فيه، حتى لا يأنفُ لما يُؤنفُ منه من التعرُّض للحرم والزوجة والأم والإماء، ويحتملُ الذلَّ من الأخسَّاء، ويتصف بصغر النفس والغمارة ــ وهو مذموم جدّاً ــ ومن ثمراته: عدم الغيرة على الحرم

---

(١) الأعلام ٤/ ٢٨١.

الذي هو خنوثة. فهذا الذي عناه الشافعي رحمه الله بقوله: من استُغضِبَ ولم يغضب فهو حمار...[1]

[٧٧]
خُلقٌ خطير!

* كان عبد الله بن أبـي ابن سلول قبل نفاقه نسيج وحده؛ لجودة رأيه، وبُعد همَّته، ونُبل شيمته، وانقياد العشيرة له بالسيادة، وإذعانهم له بالرئاسة. وما استوجب ذلك إلاَّ بعدما استجمعَ له لبُّه، وتبيَّن لهم عقله، وافتقدوا منه جهله، ورأوه لذلك أهلاً...

فلمَّا بعث الله نبيَّه ﷺ وقدمَ المدينة، ورأىٰ هو عزَّ رسول الله ﷺ، شمخ بأنفه، فهدمَ إسلامه لحسده، وأظهرَ نفاقه، وما صار منافقاً حتى كان حسوداً، ولا صار حسوداً حتى صار حقوداً، فحَمُقَ بعد اللبِّ، وجَهِلَ بعد العقل، وتبوَّأ النار بعدَ الجنة!

* وقد كان إخوة يوسف حُكماء، وأجِلَّةَ علماء، ولَدَهم الأنبياء، فلم يغفلوا عمَّا قدح في قلوبهم من الحسد ليوسف، حتى أعطوا أباهم المواثيق المؤكدة، والعهود المقلَّدة، والأيمان المغلَّظة: أنهم له حافظون، وهو شقيقهم وبضعة منهم.

فخالفوا العهود، ووثبوا عليه بالظلم والقوة، وألقوه في غيابت الجب، وجاؤوا على قميصه بدم كذب. فبظلمهم يوسف ظلموا أباهم، طمعاً أن يخلو لهم وجه أبيهم ويتفرَّدوا بحبه، وظنوا أن الأيام تُسْليه، وحبَّهُ لهم من بعد غمِّه يلهيه، فأسالوا عَبْرَتَه، وأحرقوا قلبه.

---

(١) «مختارات من الأدب في العهدين المرادي والحسيني»/ مجموعة من الأساتذة. ـ تونس: بيت الحكمة، ١٤١٠هـ، ص ١٥٢.

* فإذا أحسست ـ رحمك الله ـ من صديقك بالحسد فأقْلِلْ ما استطعت من مخالطته، فإنه أعون الأشياء لك على مسالمته.

وحصِّن سرَّك منه تسلم من شرِّه وعوائق ضُرِّه.

وإياك والرغبة في مشاورته، ولا يَغُرَّنك خُدَعُ مَلَقِهِ، وبيانُ ذَلَقه، فإن ذلك من حبائل نفاقه!

ونحن نسأل الله الجليل أن يُصفِّي كدرَ قلوبنا، ويجنِّبنا وإياك دناءة الأخلاق، ويرزقنا وإياك حُسن الإلفة والاتفاق[١].

[٧٨]
الكذاب

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (كلُّ الخلال يطبعُ عليها المؤمن إلاَّ الخيانة والكذب)!

قال ابن حزم رحمه الله: وهل الكفر إلاَّ كذبٌ على الله عزَّ وجَلّ؟

واللهُ الحقُّ، وهو يحبُّ الحقَّ، وبالحقِّ قامت السماوات والأرض؟

وما رأيتُ أخزى من كذّاب. وما هلكت الدول ولا هلكت الممالك ولا سفكت الدماء ظلماً ولا هتكت الأستار بغير النمائم والكذب، ولا أكدت البغضاء والإحن المروية إلاَّ بنمائم لا يحظى صاحبها إلاَّ بالمقت والخزي والذل[٢].

---

(١) «الحاسد والمحسود»، للجاحظ (ضمن رسائل الجاحظ) ٣/٩، ١٥، ١٦، ٢٣.

(٢) «طوق الحمامة»، ص ١٥٢ (تحقيق فاروق سعد).

[٧٩]
اختبر الرجال

● قال ابن أبـي الدنيا رحمه الله: بلغني أن بعض الحكماء سُئل: أيُّ الكنوز خير؟ قال: أما بعد تقوى الله: فالأخ الصالح.

● وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: من خفيتْ علينا بدعتُه فلن تخفى علينا أُلفته.

● وكان سفيان الثوري رحمه الله يتمثَّل:

أَبلِ الرجـال[١] إذا أردتَ إخـاءهم ... وتــوسَّمَــنَّ أمــورهــمْ وتَفَقَّــدِ
فـإذا وجـدتَ أخـا الأمـانـةِ والتُّقـىٰ ... فبـهِ اليديـنِ ـ قريرَ عيـنٍ ـ فاشدُدِ
ودعِ التــذلُّــلَ والتخشُّــعَ تبتغــي ... قـربَ امـرىءٍ إن تَـدْنُ منـه تُبَعَّـدِ[٢]

[٨٠]
طعام

دعـا الإمام الأوزاعيُّ إبراهيمَ بن أدهـم، فقصَّـر في الأكـل، فقـال: لم قصرت؟ قال: رأيتك قصرتَ في الطعام[٣].

تتمته في البداية والنهاية: ثم عمل إبراهيم طعاماً كثيراً ودعا الأوزاعي، فقال الأوزاعي: أما تخاف أن يكون سرفاً؟ فقال: لا، إنما السرف ما كان في معصية الله، فأما ما أنفقه الرجل على إخوانه فهو من الدِّين[٤].

---

(١) أي: اختبرهم وامتحنهم.
(٢) «كتاب الإخوان»، لابن أبـي الدنيا، الأرقام ٦١، ٤٠، ٣٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٣.
(٤) ١٠/ ١٣٨ ـ ١٣٩.

[٨١]
عشرون حماراً !

قال المالكي: حكى لي بعض المشايخ قال:

كان شيخ ــ له أدب وعلم وعقل ــ يأتي إلى «زقاق الفرَّانين» بالقرب من السِّماط الكبير بالقيروان، فيجلس مع قوم أكثرهم من أهل العلم والأدب. فأبطأ عليهم أياماً، فمضوا إليه يتعرَّفون أحواله، فسألوه عما أخَّره عن المجيء إليهم ــ فأعلمهم أن حماره الذي كان يذهب عليه مات، فأصيب به.

فأصبح كل واحد منهم ــ من غير أن يعلم صاحبه ــ قد اشترى حماراً بسرجه ولجامه، وكانوا جماعة، فأصبح على بابه نحو عشرين حماراً!!

* وأضاف المالكي عقب هذه الحكاية قوله: وكان الناس فيما سلف من تعظيم أهل العلم خلافَ ما هم عليه اليوم[1].

[٨٢]
مروءة !

رُؤي العتبي في يوم صايف وهو يتفصَّدُ عرقاً، فسُئل عن حاله فقال:

حوائجُ إخوانٍ أريدُ قضاءها ... كأني إذا لم أقضِهنَّ مريضُ[2]

---

(١) «ورقات عن الحضارة» ٢/ ٣٩٤.

(٢) «معجم السفر»/ أبو طاهر السلفي، رقم ٩١.

[٨٣]

وصف صديق

قال الحسن بن علي:

ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني، وكان رأسُ ما عَظُمَ به في عيني صغَرَ الدنيا في عينه؟!

كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهَّى ما لا يحلُّ، ولا يكنزُ إذا وجد.

وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يمدُّ يداً إلاَّ على ثقة لمنفعة.

كان لا يتشكَّى ولا يتبرَّم.

كان أكثرَ دهره صامتاً، فإذا قال بزَّ القائلين.

كان ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جاء الجِدُّ فهو الليثُ عادياً.

كان إذا جامع العلماء على أن يسمعَ أحرصَ منه على أن يقول.

كان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغْلَب على السكوت.

كان لا يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول.

كان إذا عرضَ له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحقِّ نظر أقربَهما من هواه فخالفه.

كان لا يلومُ أحداً على ما قد يقعُ العذرُ في مثله[١].

---

(١) «عيون الأخبار» ٢/ ٣٥٥.

[٨٤]
غــمّ..

سأل رجل ابن العلاء حاجة فوعده بها، ثم تعذرت عليه. .

فلقيه الرجل وقال: وعدتني وعداً فلم تُنجزه؟

فقال له ابن العلاء: فمن أولى بالغمّ، أنا أو أنت؟

قال الرجل: أنا.

فقال ابن العلاء: بل أنا؛ لأني وعدتك فعدتَ أنت بفرح الوعد وعدتُ أنا بهمّ الإنجاز، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة، فلقيتني مُدِلاً ولقيتك محتشِماً، فصرتُ أولى منك بالغم[1].

[٨٥]
لعن الله هذه المروءة !

قال حجاج بن أرطاة[2]: لا تتم مروءة الرجل حتى يترك الصلاة في جماعة!

ردَّ عليه الإمام الذهبي بقوله: لعن الله هذه المروءة، ما هي إلاَّ الحُمق والكِبْر، كيلا يزاحمه السُّوقة، وكذلك تجد رؤساء وعلماء يصلون في جماعة في غير صف، أو تُبسط له سجادة كبيرة حتى لا يلتصق به مسلم، فإنّا لله[3]!

---

(١) «شهر القرآن»/ محمد كامل حتة، ص ١٢٥.

(٢) قاض من أهل الكوفة، ولي قضاء البصرة. وكان من رواة الحديث وحفاظه، تيّاهاً معجباً! ت ١٤٥هـ.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٧٢.

كما علق عليه في مصدر آخر فقال: هذه كلمة مقيتة، بل لا تتمُّ مروءة الرجل ودينه حتى يلزم الصلاة في جماعة. وهذا كله قاله حجّاج لِما في طباعه من البذخ والرياسة، فإنه يرى أن صلاته في جماعة ومزاحمته للسّوقة في الصفوف ينافي ما فيه من التِّيه والتَّرف، فاللهُ يسامحه. وهو من طبقة أبـي حنيفة الإمام في العلم، لكن رفع الله أبا حنيفة بالورع والعبادة، ولم ينل حجاج بن أرطاة تلك الرِّفعة، فرحمهما الله[1].

[٨٦]
بين الأقران

محمد بن علي بن نصر بن البَلّ الدُّوري، أبو المظفر ابن الحنبلي:

كان واعظاً، شيخاً صالحاً متعبِّداً، وكان في عصر الإمام أبـي الفرج ابن الجوزي.

قال أبو شامة: كان ابن البَلِّ يضاهي أبا الفرج ابن الجوزي، حتى قيل له: أيُّما أعلم، أنت أم أبو الفرج؟

فقال: ما أرضاه يقرأ عليَّ الفاتحة!

فبلغ ذلك ابن الجوزي فقال: ما أقرأ عليه الفاتحة، بل أقرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2]!

قلت: قد يفهم من جواب الإمام ابن الجوزي التواضع، وإطفاء نار الحسد بين الأقران، وتأديب الساعي في نقل الخبر إليه.

---

(١) تاريخ الإسلام: وفيات ١٤١ ــ ١٦٠هـ، ص ١٠٢.

(٢) «ذيل الروضتين» ٨٨، «تاريخ الإسلام للذهبي»، ص ٨٦ (حوادث ووفيات ٦١١ ــ ٦٢٠هـ).

[٨٧]
يشكره.. بعد ذمّه !

كان لعبد الله بن غافق[١] عدو من أهل بلده، فسافر عدوه هذا مرة إلى القيروان، وبدأ يثلبه وينقصه في مجالس أهل العلم.

وبلغ ذلك ابن غافق، فأخذ يرسل التُّحف والهدايا إلى مَنْ خَلَّفه ذلك الرجل في داره من أهله بتونس فأغرقهم بها.

فكتبوا بخبرها إلى ذلك العدو بالقيروان يُعْلِمونه: أن ابن غافق أغدق علينا بالنِّعم.

فاستحيا الرجل الذي يثلبه، وقلبَ لسانه بحمد ابن غافق وشكرِه، وجعل يعتذر إلى كل من حفظ عنه مقالاً سيئاً[٢]!!

[٨٨]
تقبيل يد الأكابر

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله:

تقبيل يد الأكابر والأفاضل جائز مشروع، معهود في السلف المقتدى بهم.

---

(١) عبد الله بن غافق: من علماء مدينة تونس، قرأ على سحنون وأخذ بمصر عن نخبة من أصحاب مالك. وكان موصوفاً بالورع والكرم، ثقة مأموناً. ت ٢٧٥هـ.

(٢) «ورقات عن الحضارة» ٢/ ٣٧٨.

وقد ورد في السنة النبوية المطهرة أن النبي ﷺ قُبِّلَتْ أطرافه الشريفة ــ رأسُه ويداه وركبتاه ورجله ــ من بعض أصحابه، كما تراه في رسالة شيخنا العلامة عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى: «إعلام النبيل بجواز التقبيل»، وجزء الحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المُقْري «الرخصة في تقبيل اليد»، وجزء «القُبَل والمعانقة والمصافحة» للحافظ ابن الأعرابي، وكلها مطبوعة.

وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر في ج ١١/ ٥٦، ٥٧ كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليد، ففيه الوفاء بهذا الموضوع.

وهذا التقبيل لأطراف النبي ﷺ أو لأطراف الصحابة الكرام أو العلماء العظام، إنما كان لمناسبة كريمة عرضت، لم يكن دائماً وديدناً عند كل دخول عليهم وخروج من بين يديهم، وإنما كان في مناسبات تحفزُ على هذا الأدب والتقدير، من الكبير للكبير، أو من الصغير للكبير، لأمرٍ يقتضي تقديم شكر، أو عند تجدُّد نعمةٍ أو تفهيم علم أو فكر، أو صدور منقبة من أهل الصلاح والذكر، وأمثالِ هذا مما يكون بين الآباء والأبناء، أو بين الشيوخ والطلبة، أو بين الصالحين الأخيار ومحبيهم.

وإلى بعض هذه المقتضيات أشار القائل:

كأنني إذ أوالي لَثْمَ راحتهِ

عجزتُ عن شكرهِ حتى سددتُ فمي[1]

---

(١) «العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج»/ عبد الفتاح أبو غدة، ط ٣ ــ حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٦هـ، ص ٤٧ (الهامش).

[٨٩]

السلام على من يظن أنه لا يرد عليه السلام

إذ مرَّ شخص بآخر، وظنَّ أنه لو سلَّم لم يردَّ السلام، فهل يترك السلام عليه لهذا الظن، أو يسلِّم ولا يلتفت لهذا الظن؟

ذكر العلماء: أنه لا ينبغي ترك السلام إذا كان يغلب على ظنه أن المسلَّم عليه لا يرد، وذلك لعموم قول النبي ﷺ: «أفشوا السلام»[١]، ولأنه قد يخطىء في الظن، ولأن المأمورات الشرعية لا تسقط عن المأمور بمثل هذه الخيالات، ولو اطّردنا القاعدة لقلنا بترك إنكار المنكر للظن بأن الفاعل لا ينزجر بقولنا.

يقول الإمام النووي في كتابة الأذكار: وأما قول من لا تحقيق عنده (إن سلام المارِّ سبب لتحصل الإثم في حق الممرور عليه) فهو حالة ظاهرة وغباوة بيِّنة، فإن المأمورات الشرعية لا تسقط عن المأمور بها بمثل هذه الخيالات، ولو نظرنا إلى هذا الخيال الفاسد لتركنا إنكار المنكر على من فعله جاهلاً كونه منكراً وغلب على ظننا أنه لا ينزجر بقولنا... اهـ.

وقد نقل عن بعض العلماء أنه لا ينبغي أن يُسلَّم عليه، لأن توريط المسلم في المعصية أشدُّ من مصلحة السلام عليه وامتثال حديث الأمر بالإفشاء يحصل مع غير هذا. لكن ما سبق يردُّ هذا[٢].

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم وغيرهم، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٦٩.

(٢) «أحكام السلام»/ شريفة التميمي، ص ٢٥٨.

[٩٠]
السلام على الفاسق

حدَّ بعض العلماء الفاسق بأنه من فعل كبيرة، أو أكثر من الصغائر مصرّاً عليها. وما دام حاله كذلك فهل يُسلَّمُ عليه بناء على عموم الأمر بإفشاء السلام، أو لا يُسلَّم عليه؟

اتفق الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله تعالى ـ على أنه لا يُسلَّم على الفاسق ولا على أصحاب العاصي، ومثَّلوا لذلك بمن يسبُّ الناس، ومن ينظر في وجوه النساء، ومن يشرب الخمر، وكالظلمة والمتكبِّرين، والمبتدعة، ويُلحق بهم من يتعاطى خوارم المروءة، ككثرة المزاح، والفحش، ونحو ذلك.

وترك السلام عليهم نوع من الهجر المشروع.

واستثنى النووي من عدم السلام عليه ما لو أدى ترك السلام عليه إلى ترتب مفسدة في دين أو دنيا؛ فإنه يُسلِّم.

جاء في المجموع ٤/ ٤٢٠: فإن اضطرَّ إلى السلام على الظلمة بأن دخل عليهم وخاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلِّم عليهم سلَّمَ عليهم.

ومما يؤكد ذلك قاعدة: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»[١].

---

(١) «أحكام السلام»/ شريفة بنت عبد الله التميمي. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤٢١هـ، ص ٢٨٩، ٢٩٤ (رسالة ماجستير).

[٩١]

الكلام أثناء قضاء الحاجة

أولاً ـ في ذكر الله تعالى:

اختلف العلماء في ذكر الله داخل الخلاء، كأن يجيب المؤذن، أو يحمد الله إذا عطس، ومنه دخول الخلاء بشيء فيه ذكر الله، كورقة كتب فيها اسم من أسماء الله، وكالدراهم المنقوش فيها ذكر الله، ونحو ذلك، على قولين:

فقيل: يكره أن يذكر الله داخل الخلاء.

وهو مذهب الحنفية، وقول في مذهب المالكية، ومذهب الشافعية، والحنابلة.

وقيل: لا مانع من ذكر الله داخل الكنيف، فإذا عطس فليحمد الله ولو كان على حاجته.

وهو قول مالك، ورجحه القرطبي من المالكية.

ونقل الإجماع على جواز ذكر الله في القلب حال قضاء الحاجة.

ثانياً ـ الكلام في غير ذكر الله:

فيه أقوال وتفريعات، ومذهب الجمهور أنه يكره إلا لحاجة... [١].

* * *

(١) ينظر: أحكام الطهارة: آداب الخلاء/ د. بيان بن محمد الدبيان. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ، ص ٧٧ ـ ١٠١.

[٩٢]
كيف تكون الموعظة حسنة؟

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

الحسنة لفظ جامع يشمل جميع المعاني الحسنة والصفات المطلوبة في الموعظة، ومن سماتها:

١ ـ أن تكون قصيرة.

وفي سنن أبي داود «كان رسول الله ﷺ لا يُطيل الموعظة يوم الجمعة، إنَّما هنَّ كلمات يسيرات»[١].

وفي قصرها إعانة على حفظها والانتفاع بها، وفي إطالتها إملال للسامع.

٢ ـ أن تكون بليغة، تحوي الكلمات الجوامع، وليست البلاغة في الإطناب أو ذكر الغريب من الألفاظ أو السجع المتكلف.

٣ ـ أن تكون شاملة.

٤ ـ أن تكون مقنعة.

٥ ـ أن تكون سرية، إذا كانت فردية.

---

(١) سنن أبي داود (١١٠٧) طبعة دار ابن حزم، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/٢٠٦.

قالت أم الدرداء رحمها الله: من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه.

٦ ـ أن يكون الواعظ قريباً ممن يعظه.

قال ﷺ: «احضروا الذكر وادنوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها»[١].

٧ ـ أن تكون مؤثِّرة[٢].

[٩٣]
ثلاث ملاحظات لمن يجلس للوعظ

روي في آثار السلف: أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء: تفقدوا منه ثلاثاً:

ـ فإن كان معتقداً لبدعة فلا تجالسوه، فإنه عن لسان الشيطان ينطق.

ـ وإن كان سيِّءَ الطعمة فعن الهوى ينطق.

ـ وإن لم يكن مكين العقل فإنه يُفْسِد بكلامه أكثر مما يصلح؛ فلا تجالسوه[٣]!.

---

(١) سنن أبي داود (١١٠٨) وحسنه في صحيح أبي داود ١/٢٠٦.

(٢) الوعظ والوعاظ في ضوء الكتاب والسنة/ عبد الله بن إبراهيم اللحيدان. ـ الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢١هـ، ص ٣٧ ـ ٥٠.

(٣) إحياء علوم الدين ٢/١٣٧ (طبعة دار الهادي).

[٩٤]

للعبرة!

● كان نظام الملك مسعود بن علي وزيراً لسلطان خوارزم شاه. قتلته الملاحدة في جمادى الآخرة سنة ٥٩٦هـ.

وكان ديِّناً، حسن السيرة، شافعياً. بنى للشافعية بمرو جامعاً مشرفاً على جامع الحنفية، فتعصَّب شيخ الحنفية بمرو، وجمع الأوباش فأحرقه! فغضب خوارزم شاه، وأحضر هذا الشيخ وصادره(١).

* * *

● الشيخ ظهير الدِّين تمام بن إسماعيل السُّلمي، تفقَّه وبرع في دمشق. كتب لحجَّة الإسلام الغزالي:

قد كنتُ حرّاً والهوى مالكي	فصرتُ عبداً والهوى خادمي
وصرتُ بالوحدة مستأنساً	من دون أولادِ بني آدمِ
يا لائمي في تركهم جاهلاً	عُذري مكتوبٌ على خاتمي

وكان المكتوب على خاتمه ــ رحمه الله ــ قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾(٢) (٣).

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث وفيات ٥٩١ ــ ٦٠٠هـ / الذهبي، ص ٢٧٢.

(٢) الآية ١٠٢ من سورة الأعراف.

(٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٢/ ٢٦٧.

[٩٥]
عبـرة.. وعبرة

● مرَّ قيس بن زهير ببلاد غطفان فرأى ثروةً وجماعات وعدداً، فكره ذلك، فقال له الربيع بن زياد: إنه يسوؤك ما يسرُّ الناس!

فقال لـه: يـا أخي، إنَّك لا تدري! إنَّ مـع الثـروةِ والنعمـةِ التحاسدَ والتخاذل، وإن مع القلَّةِ التحاشدَ والتناصر.

● تنقَّصَ ابنٌ لعامـرِ بنِ عبد الله بنِ الزبيـر عليَّ بنَ أبـي طالب عليـه السلام، فقال لـه أبوه: لا تتنقَّصْـهُ يا بني، فإن بنـي مروان مـا زالوا يشتمونه ستين سنة فلم يزدْهُ اللهُ إلا رفعة، وإن الدِّينَ لم يَبْنِ شيئاً فهدمتْهُ الدنيا، وإن الدنيا لم تبْنِ شيئاً إلاَّ عادت على ما بنت فهدمته[1].

[٩٦]
بين القبور

كان مالك بن دينار يخرج إلى القبور كل خميس على حمار قوطراني ويقول:

ألا حـــيِّ القبــور ومـــن بِهِنَّـــهْ	وجـــوهٌ فـــي القبـــورِ أُحِبُّهنَّـــهْ
فلــو أنَّ القبــورَ سمعــنَ صــوتــي	إذاً لأجَبْنَنـــي مـــن وَجْـــدِهِنَّـــهْ
ولكـــنَّ القبـــور صَمَتْـــنَ عنِّـــي	فــأُبْــتُ بحســرةٍ مــن عِنْـدِ هِنَّـهْ[2]

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ١١، ١٨.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٠٤.

[٩٧]
عبرة.. من ثلاثة قبور

عابد كان بجبل لبنان، اسمه جدٌّ بن قيس. قال رحمه الله:

كان أول عبادتي أني قعدتُ على جبل لبنان، فإذا أنا بثلاثة قبور على ارتفاع من الأرض، فإذا على أحدها مكتوب:

وكيف يلذُّ العيش من كان موقناً ... بـأنَّ إلـه الخلـق لا بـدَّ سـائلُـهْ
فيـأخـذ منـه ظلمَـهُ لعبـادهِ ... ويَجـزيـه بـالخيـر الـذي هـو فـاعلُـهْ

ورأيتُ على القبر الثاني مكتوباً:

وكيف يلـذُّ العيشُ مـن كـان صائراً ... إلـى جـدثٍ تُبلـي الشبـابَ منـازلُـهْ
ويذهبُ رسمُ الوجـه من بعـد حُسنِه ... فـأيـن منـه جسمـهُ ومفـاصلُـهْ

ورأيتُ على القبر الثالث مكتوباً:

وكيف يلذُّ العيشُ من كان موقناً ... بـأن المنـايـا بغتـةً ستعـاجلُـهْ
وتسلبُـهُ مُلكـاً عظيمـاً ونخـوةً ... وتُسكنـه البيـتَ الـذي هـو آهلُـهْ[١]

[٩٨]
هل ينفع هذا الدعاء

إلياس بن إبراهيم الكوراني الكردي (ت ١١٣٨هـ) فقيه شافعي. كان في بلاد الشام. درّس وأفاد، من النسّاك. له كتب عديدة، أما تعاليقه وكتاباته فلا يمكن إحصاؤها كما قال المرادي.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٤.

وكان والي دمشق الوزير رجب باشا ممن يعتقده ويحبه، وزاره مرة وطلب منه الدعاء، فقال له: والله إن دعائي لا يصل إلى السقف. وما ينفعك دعائي والمظلومون في حبسك يدعون عليك[1]؟!

[٩٩]
العبرة.. من الأشياء الصغيرة

هل تستنتج العِبَر من حياتك ومن حولك؟ وهل فكرت بأمور لطيفة جرت بدون تخطيط منك؟ وهل حدثت لك مفاجآت بُني عليها أركان حياتك؟

ـ إن كثيراً من الحوادث الصغيرة يكون فيها حلٌّ لأمور مستعصية، قد لا تفكر فيها، وقد لا تشكر فيها المولى سبحانه الذي قدَّرها، فأنقذك من شرور، أو قدَّر لك الخير وأنت غافل..

ـ هذا نموذج صغير قد لا يؤبه به، ويحدث لكثير من الناس دون اعتبار.. فاعتبر أنت.. لتكون الإنسان المأمول، والمسلم المقبول..

(يروي مؤلف كتاب «الحب والطب والمعجزات» أن ممرضة نزلت إلى سيارتها ذات صباح لتمضي إلى عملها فوجدتها معطلة. مضت لتركب دراجتها فوجدتها تحتاج لإصلاح، فرجعت إلى منزلها.. وإذا بجرس الهاتف من أخيها في نيويورك يقول لأخته: يئستُ من فشلي وسأعود إلى الرفاق والمخدرات.

ونظراً لأنها تحبُّ أخاها ظلت تحدثه نصف ساعة، وانتهت بأن أقنعته بألا يعود إلى المخدرات، وأقبل في اليوم الثاني إلى أخته فوجدت له عملاً مناسباً وشريفاً.

---

(١) الأعلام ٢/٨ (ط ٨).

وكان تعطل السيارة والدراجة قد ساعدا على إنقاذ إنسان.
ولربَّ ضارَّة نافعة)[1].

[١٠٠]
لفت نظر

روي أن الصمَّة ـ رحمه الله ـ كان محاسباً لنفسه، فحسب يوماً عمره فإذا هو ستون سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم، فقال: يا ويلتي، لو لم يكن لي في كل يوم سوى ذنب واحد لكان أمراً عظيماً، فكيف ولي في كل يوم عشرة آلاف ذنب؟

ثم صرخ صرخة وخرَّ مغشياً عليه، فحركوه فإذا هو ميت[2]!

[١٠١]
.. إنه الأجل

حادث فيه عبرة، ذكره الإمام الذهبي في أول حوادث سنة ٦٣٤هـ من تاريخه:

وهو أنه في أول شهر محرم قصد جماعةٌ عيادة مريضٍ ببغداد، فطلعوا وجلسوا عنده على مُشرفة، فانخسفتْ بهم، فماتوا جميعاً سوى المريض، وكانوا سبعة!

---

(١) فطرة الله في خلقه/ عدنان السبيعي. ـ دمشق: دار الفارابي للمعارف، ١٤٢٢هـ، ص ١٢٦.

(٢) «سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان»/ لابن الجوزي؛ تحقيق سهير محمد مختار، آمنة محمد نصير. ـ الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٣٩٠هـ، ص ٨٤.

[١٠٢]
عظة

قال جعفر بن عمران المقرىء:

قرأ قارىء بحضرة الحاكم بمصر يوم السلام: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ ويشير بذلك إليه!

وكان من قُرَّاء المجلس آخرُ يُعْرَفُ بابن المشجَّر، فرفع صوته بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾.

وأرتج المجلس، واصفرَّ وجه الحاكم، فخيفَ عليه من سطوته، فأمر له بمائة دينار، ولم يأمر للقارىء الأول بشيء.

فقيل له: ما نأمنُ عليك سطوته لأنه كثير الاستحالة.

فاستأذنه في الحج.

فأذن له، فغرق في بحر عيذاب...[١].

[١٠٣]
من شعر العظة والحكمة

يقول شاعر الزهد والرقائق محمود الوراق رحمه الله:

دبَّ فـيَّ السَّقـامُ سُفـلاً وعلـوا   وأرانـي أمـوتُ عضـواً فعضـوا

---

(١) معجم السفر رقم ٤٤٥.

ومن قوله:

أراني إذا ما ازددتُ مالاً وثروة ... وخيراً إلى خيرٍ تزيدتُ في الشرِّ

ويقول رحمه الله:

فكرتُ في المالِ وفي جمعه ... فكان ما يبقى هو الفاني

وكان ما أنفقتُ في أوجه الـ ... ـبرِّ بمعروفٍ وإحسانِ

هو الذي يبقى وأُجزى به ... يومَ يُجازى كلُّ إنسانِ

ويقول:

أظهَروا للناسِ ديناً ... وعلى الدينارِ داروا

وله صاموا وصلوا ... وله حجُّوا وزاروا

لو بدا فوق الثريا ... ولهم ريشٌ لطاروا

وله أيضاً:

إن الحريص لمشغولٌ بشقوته ... عن السرور بما يحوي من المال

وقوله:

وسمعَكَ صُنْ عن سماعِ القبيـ ... ـح كصون اللسان عن النطقِ بهْ

فإنك عند استماعِ القبيـ ... ـح شريكٌ لقائله فانتبهْ[1]

[١٠٤]
كلام يحتاج إلى تفسير!

قال العالم الزاهد أبو سليمان الداراني لتلميذه أحمد بن أبي الحواري، رحمهما الله تعالى:

---

(١) جوانب العظة والحكمة في شعر محمود الوراق/ محمد عارف محمود حسين. ـ القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٤٠٨هـ، ص ٤١، ٤٦، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٦٩.

كن كوكباً بالليل، فإن لم تكن كوكباً فكن قمراً، فإن لم تكن قمراً فكن شمساً.

فقلت: يا أبا سليمان، إنَّ الشمس أضوأ من القمر، والقمر أضوأ من الكوكب؟

فقال: يا أحمد، كن مثل الكوكب يطلع من أول الليل إلى الإسفار، فقم من أول الليل إلى آخره.

فإن لم تقوَ على قيام الليل كله فكن مثل القمر يطلع بعض الليل ويغيب بعضاً، فنم بعض الليل وقم بعضه.

فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعصِ الله تعالى بالنهار. وإذا فاتك شيء من تطوع الليل فاقضهِ بالنهار، فهو أجدر أن لا تعود إلى تركه[١].

[١٠٥]
بين القاضي وأمير المؤمنين

في حادثة قضى القاضي إبراهيم بن محمد بن طلحة على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، فكلمه القاضي بكلمة فيها بعض الخرق، إذ قال: الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك!

فقال هشام: لقد هممتُ أن أضرب عنقك ضربة ينتشر منها لحمك عن عظمك!

فردَّ إبراهيم: أما والله لئن فعلتَ لفعلتَهُ بشيخ كبير السن، قريب القرابة، واجب الحق.

(١) الروضة الريا فيمن دُفن بداريا/ عبد الرحمن بن محمد العمادي؛ تحقيق نذير عتمة. ــ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ص ٣٦.

فقال هشام: استرها عليَّ!

قال: لا سترَ الله ذنبي إن سترتُها.

قال: فإني معطيك عليها مائة ألف!

قال إبراهيم: فسترتُها عليه حياتَهُ ثمناً لما أخذتُ، وأذعتُها بعد مماته تزييناً له[1]!

[١٠٦]
وعظ

* قال الشيخ محمد الطيب المريني (ت ١١٤٥هـ): من كثر إيمانه قلَّ عصيانه، ومن قلَّ إيمانه كثر عصيانه، فالطاعة والمعصية على قدر قوة إيمان العبد وضعفه.

* وقال داود الباخلي (ت ٦٣٢هـ): كلمة الحكمة عروس كريمة، فإن لم تجد كفؤاً لها رجعت إلى بيت أبيها.

* وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله: مسكين محبُّ الدنيا، يسقط له درهم فيظلُّ نهاره يقول: إنا للّه وإنَّا إليه راجعون، وينقص عمره ودينه ولا يحزن عليه.

* وقال ابن عطاء الله السكندري: ما بسقتْ أغصان ذلٌ إلاَّ على بذر طمع.

* وقال عيسى عليه السلام: لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قيل: ومن الموتى؟ قال: المحبون للدنيا، الراغبون فيها.

---

(١) طرائف عن القضاة، سليمان محمد ثابت، ص ٣١.

* وقالوا: ما أفلح من أفلح إلاَّ بمخالطة من أفلح، ولا فسد من فسد إلاَّ بمخالطة من فسد[1].

[١٠٧]
حوار.. ذو أبعاد!

عن ميمون بن مهران قال:

جاء رجلٌ إلى سلمان فقال: أوصني.

قال: لا تكلَّمْ.

قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم.

قال: فإن تكلمت فتكلم بحقٍّ أو اسكت.

قال: زدني.

قال: لا تغضب.

قال: إنه ليغشاني ما لا أملكه.

قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

قال: زدني.

قال: لا تلابس الناس.

قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم.

قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث، وأدِّ الأمانة[2].

---

(١) مقتطفات من كتاب «التبصرة الغافل وتذكرة العاقل»/ محمد الطيب المريني، تحقيق بسام محمد بارود. ـ أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤١٩هـ.

(٢) صفوة الصفوة ١/ ٥٤٩.

[١٠٨]
عجبتُ ..!

عجبتُ لمن رزقه الله زوجةً حسناء ثم يبحث عن الحرام القبيح!

عجبت لمن أدركه الموت ولم ينفق ماله في سبيل الله!

عجبت لمن عنده الوجاهة ولا يسعى في قضاء حاجة الناس!

عجبت لمن يملك العمارات والقصور ويضيِّق على الناس في الأجور!

عجبت لمن يصلي ولا يحكم بما أنزل الله!

عجبت لمن تلبس الحجاب في الصلاة وتنزعه أمام الأجانب!

عجبت لمن يأكل الربا ويعلم أن الله يحاربه!

عجبت لمن يسافر في عطلة الصيف كل عام ولم يحجَّ حتى الآن!

عجبت لمن يدافع عن الأقصى ويريد السلام مع اليهود(١)!!

[١٠٩]
صلاة.. ولعنة!

*** من السعداء الذين تصلي عليهم ملائكة الرحمن وتدعو لهم، كما أخبر بذلك ربنا الرحمن ورسوله ﷺ:**

ـ من بات طاهراً، ـ من قعد في انتظار الصلاة، ـ من كان في

---

(١) للعبرة والتاريخ/ أحمد القطان، ط ٢. ـ الكويت: مكتبة السندس، ١٤٠٧هـ، ص ٩.

الصفوف المتقدمة في الصلاة، ــ من كان في ميامن الصفوف في الصلاة، ــ من وصل الصف، ــ من كان في صلاة الجماعة وقت تأمين الملائكة عند قراءة الإمام الفاتحة، ــ من جلس في مصلّاه بعد الصلاة، ــ من صلَّى الفجر والعصر في الجماعة، ــ من صلَّى على النبـي الكريم ﷺ، ــ من دعا له أخوه بظهر الغيب، ــ من دعا لأخيه بظهر الغيب، ــ من أنفق في سبيل الخير، ــ من أكل السحور، ــ من أُكل عنده وهو صائم، ــ من عاد مريضاً، ــ من قال خيراً عند المريض والميت، ــ من علَّم الفاسد الخير، ــ من آمن وتاب واتبع سبيل الله تعالى، ــ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، إمامُ الأنبياء وقائد المرسلين رسولنا الكريم ﷺ.

*** ومن الأشقياء الذين تلعنهم الملائكة أو تدعو عليهم، كما أخبر بذلك ربنا الكريم ورسوله الأمين ﷺ:**

ــ من سبَّ الصحابة رضي الله عنهم، ــ من أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثاً، ــ من ظلم أهل المدينة وأخافهم، ــ من ادَّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، ــ من نقض أمان مسلم، ــ من أمسك ماله «اللّٰهمَّ أعط ممسكاً تلفاً»، ــ من أدرك رمضان فلم يُغفر له، ــ من أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار، ــ من ذُكر عنده النبـي ﷺ فلم يصلِّ عليه، ــ من أشار إلى مسلم بالسلاح، ــ من حال دون الاقتصاص ممن وجب عليه، ــ المرأة الهاجرة فراش زوجها، ــ من كفر ومات على الكفر، ــ من كفر بعد إيمانه وشهادته أن رسول الله ﷺ حق وقد جاء بالبينات[1].

---

(١) «من تُصلّي عليهم الملائكة، ومن تلعنهم»/ فضل إلٰهي، ججرا نواله: إدارة ترجمان الإسلام سي، ١٤٢٠هـ.

[١١٠]
الثري الفقير !

أورد الإمام الذهبي ترجمة موجزة لأحد الأثرياء الذين افتقروا[١].

ولا شك أنه أوردها للعبرة، فليس هو بعالم، ولا أمير، ولا نبيل..

اسمه: محمد ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي.

سمع من والده وآخرين، وتوفي ببغداد سنة ٦٠٠هـ.

وكان خالياً من العلم.

وكان من ذوي الثروة، طحّاناً، فكثرت أمواله وتنعَّم، فقابل النعمة بالكفر.

قال ابن النجَّار: حتى سمعتُ من جماعة أنه كان يأخذ الذهب ويرمي به نحو السماء ويقول: كم تعطيني ذهباً وقد شبعت؟!

ثم ما زال في انحطاط حتى افتقر...

[١١١]
ميل القلب إلى المعاصي

مرض الشهوات، الذي هو ميل القلب إلى المعاصي، مخِلٌّ بقوة القلب العملية، فإن القلب الصحيح لا يريد ولا يميل إلاَّ إلى الخير أو إلى ما أباحه الله له.

فمتى رأيت القلب ميالاً إلى المعاصي سريع الانقياد لها، فهو مريض،

(١) في تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠ هـ، ص ٤٧٦.

وهو سريع الافتتان عند وجود أسباب الفتنة، كما قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[1][2].

[١١٢]
حلاوة الدين الجديد

ـ الدكتور جفري لانغ بروفسور أمريكي في الرياضيات وأستاذ في جامعة سان فرانسيسكو، يقول في كتابه «الصراع من أجل الإيمان ـ انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام»: بعد أن أسلمت كنت أجهد نفسي في حضور الصلوات كي أسمع صوت القراءة، على الرغم من أني كنت أجهل العربية، ولما سئلت عن ذلك أجبت: لماذا يسكن الطفل الرضيع ويرتاح لصوت أمه؟ أتمنى أن أعيش تحت حماية ذلك الصوت إلى الأبد.

ـ ويقول عبد الواحد فانبوميل: قبل الإسلام كنت عبد نفسي، وبعد الإسلام أنا عبد الله.

ـ وتقول الدكتورة آمنة كوكسون الطبيبة البريطانية المتخصصة في الأمراض العصبية: النبي عيسى عليه السلام مقدَّر ومحترم في الدين الإسلامي، وكذلك أمه مريم عليها السلام، وهذا شيء جميل يدل على رحابة الإسلام وشموليته، وعلى أنه خاتم الأديان.

ـ وتقول الكاتبة والشاعرة البريطانية إيفلين كوبلد: لما دخلت المسجد النبوي تولَّتني رعدة عظيمة، وخلعتُ نعلي، ثم أخذت لنفسي مكاناً قصياً صلَّيت فيه صلاة الفجر، وأنا غارقة في عالم هو أقرب إلى الأحلام،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٢) تيسير اللطيف المنان، ص ٤٥٥.

رحمتك اللّٰهمَّ، أيَّ إنسان بعثت به أمةً كاملة، وأرسلت على يديه ألوان الخير إلى الإنسانية؟

ـ ويقول البروفسور تاجات تاجاسون عميد كلية الطب في جامعة شاينج ماي بتايلند: أثمن شيء اكتسبته في حياتي هو «لا إلٰه إلاَّ الله، محمد رسول الله».

ـ ويقول الملاكم العالمي مايك تايسون: اليهود لا يعترفون بالمسيح، والمسيحيون لا يعترفون بالنبي محمد، ولكن المسلمين يعترفون بموسى والمسيح.

ـ ويقول اللورد استانلي أولدرلي: وقع مرة في يدي كتاب الله تعالى، فما فرغت من تلاوته حتى اجتاحني مدد البكاء، فنفضت عن نفسي التعصب الممقوت، وأصبحت من المسلمين.

ـ والإنجليزية كريستين عبد القادر تقول: ما من شيء يدعوني إلى القلق في هذا العالم سوى السنوات التي ضاعت من عمري بلا إسلام.

ـ ومن أقوال سفير ألمانيا في المغرب الدكتور مراد هوفمان، دكتوراه في القانون من جامعة هارفرد: في مدارس ألمانية يُدرَّسُ الإسلامُ مشوَّهاً في (٦٠٠) كتاب بطريقة مرعبة!

ـ في بريطانيا يعتنق الإسلام أكثر من عشرة آلاف بريطاني كل عام!

ـ في بلدة بانجوزيو اعتنق الإسلام أكثر من (٢٥) ألف إنسان على يد قسيسها السابق «بري هارسيو»[(١)].

---

(١) «ربحت محمداً ولم أخسر المسيح»/ عبد المعطي الدالاتي. ـ بيروت: دار الشهاب، ١٤٢٠هـ، ص ٣٤، ٤٠، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٧٠، ٧٧، ٨٠، ٣٠، ٨٢.

[١١٣]
استنتاج عميق

تقول سيدة أسلمت، في تفكير عميق، وتحليل دقيق:

إنني قبل الإسلام قرأت كثيراً عن هذا الدين، ووجدت أن محمداً ﷺ كان يحرسه أصحابه مخافة أن يُعتدىٰ عليه، فأتى يوماً وقال لحرّاسه: اذهبوا عني، فقد تكفَّل الله بحراستي. مصداقاً للآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[1].

فلو أنَّ هذا الرجل يخدع الناس ما خدعَ نفسه في حياته، وما عرَّض نفسه للعدوان عليه.

ولو لم يكن واثقاً من أن الذي قال له هذا الكلام هو الله سبحانه وتعالى ــ وهو قادر على أن يحميه ويعصمه ــ لم يكن ليفعل هذا...[2].

[١١٤]
القوة.. مع الإخلاص

يقول الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله:

الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلصُ بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخْذَل. فمن قام بهما كاملاً فهو صدِّيق، ومن ضعف فلا أقلَّ من التألُّم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلاَّ بالله[3].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) من كتاب: «الشيطان اللعين في القرن العشرين»/ عبد الحميد نعمة. ــ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨هـ، ص ٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٤.

[١١٥]
قاعدة ذهبية

الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف.

* ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحاسن لوجود بعض المساوىء.

كما لا ينبغي أن يدفن المحاسن ويذكر المساوىء لوجود عداوة أو شحناء بينه وبين من يصفه، فالله عز وجل أدبنا بأحسن الأدب وأكمله بقوله: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾(١).

وحين نجد من يذم غيره بذكر مساوئه فقط ويغضُّ النظر عن محاسنه، فإن ذلك يرجع في العادة إلى الحسد والبغضاء، أو إلى الظنون والخلفيات والآراء المسبقة، أو إلى التنافس المذموم.

ولكن المنصفين هم الذين يذكرون المرء بما فيه من خير أو شرّ، ولا يبخسونه حقّه، ولو كان الموصوف مخالفاً لهم في الدين والاعتقاد، أو في المذهب والانتماء.

والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾(٢).

ويدخل ضمن هذه القاعدة العدل في وصف الآخرين، والمقصود به هو العدل في ذكر المساوىء والمحاسن، والموازنة بينهما.

---

(١) سورة هود: الآية ٨٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨.

* يقول ابن تيمية رحمه الله: الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل لا بجهل وظلم كحال أهل البدع[1].

* ومن العلماء الذين برزوا في هذا الشأن الحافظ الذهبي رحمه الله، فمن خلال كتابه النفيس «سير أعلام النبلاء» أنصف من ترجم لهم من الأعلام، فلم يبخس أهل البدع أو أهل الفسق ما لهم من صفات حميدة، بل أنصفهن بذكر ما لهم وما عليهم.

يقول مثلاً عن الأشتر النخعي: أحد الأشراف الأبطال المذكورين، وكان شهماً مطاعاً زعراً [أي سيِّىء الخلق]، ألهب على عثمان وقاتله، وكان ذا فصاحة وبلاغة.

ويقول في ترجمة الحكم بن هشام: وكان من جبابرة الملوك وفساقهم ومتمرديهم، وكان فارساً شجاعاً فاتكاً، ذا دهاء وعتو وظلم ــ تملك سبعاً وعشرين سنة.

ويقول في ترجمة الجاحظ: العلامة المتبحِّر ذو الفنون، وكان أحد الأذكياء، وكان ماجناً قليل الدين، له نوادر.

وقال عن عبد الوارث بن سعيد: وكان عالماً مجوداً، ومن أهل الدين والورع، إلاَّ أنه قدري مبتدع!

وقال أثناء حديثه عن قرَّة بن ثابت: الصابىء الشقي الحراني، فيلسوف عصره، وكان يتوقد ذكاء.

* ومنهج الإمام الذهبي في هذا منهج أهل السنة والجماعة.

---

(١) منهاج السنّة ٤/٣٣٧.

ولذلك ينبغي لكل من رام الإنصاف أن لا يحيد عن هذا المنهج السوي المعتبر، وأن يتقي الله عز وجل في وصف من يترجم لهم، أو يتحدث عنهم من الحكام والقادة والعلماء والفقهاء والإخباريين والمؤرخين وغيرهم، ويتكلم بعدل وإنصاف[١].

[١١٦]
وصايا تربوية للداعية

- الثباتُ على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدَّم،
- وعلى الحقِّ وإن لم يتحقق.
- والتَّبَرُّؤ من الأَثَرة وإن شحَّتْ عليها النفس.
- واحتقارُ الضعف وإن حكَمَ وتسلَّط.
- ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب.
- وحملُ الناس على محضِ الخيرِ وإن رَدُّوا بالشرِّ.
- والعملُ وإن لم يأتِ بشيء.
- والواجبُ وإن لم يكن فيه كبيرُ فائدة.
- وبقاءُ الرجل رجلاً وإن حطَّمَهُ كلُّ مَنْ حوله[٢].

---

(١) منهج دراسة التاريخ الإسلامي/ محمد أمحزون. ـ الرياض: دار طيبة، ١٤١٦هـ، ص ٨٠ ـ ٨٤ مع تقديم وتأخير.

(٢) وحي القلم/ مصطفى صادق الرافعي ٢/ ٢١.

[١١٧]
آه.. لو..

في بحث جامعي علمي ميداني قال باحثه:

«ومما قال بعض أفراد العيِّنة واصفاً قضيته مع كفيله: إنه تقدَّم بدعوى إلى مكتب العمل بالرياض بسبب تأخر دفع أجور راتبه لمدة أربعة أشهر، فانتهت القضية بأن حصل هذا المسلم الجديد على جميع حقوقه كاملة، فكان لذلك أثر عظيم في نفسه، وجاء بخمسة وعشرين من أفراد جنسيته داخلين في الإسلام، وكانوا جميعهم من زملائه في العمل، وهم يعملون في ورشة بالمنطقة الصناعية بالرياض»[١].

وذكر الباحث في نتائج بحثه وجود مضايقات يتعرض لها المسلمون الجدد من قبل بعض أنواع الكفلاء.

قلت: لو كان هناك حسن معاملة مع الوافدين ـ كما يحب الله ويرضى ـ لدخل الناس أفواجاً في الإسلام، من حسن المعاملة فقط، ولا يحتاجون إلى كثير دعوة، والمسلمون منهم يزدادون إيماناً وتمسُّكاً بالإسلام. ولا أعني بلداً معيَّناً.

* * *

(١) «الدعوة إلى الله بين المسلمين الجدد في مدينة الرياض»/ محمد بن قراش الدعجاني. ـ الرياض: جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام، ١٤١٩هـ، ص١١٧ (رسالة ماجستير).

[١١٨]
ما يلحق بمسجد الضرار

قال ابن عطية في تفسيره: رُوي أنَّ مسجد الضرار لمّا هُدِم وأُحْرِق اتُّخِذ مزبلة تُرمى فيها الأقذار والقمامات.

ثم قال: ورُوي أنَّ رسول الله ﷺ لمّا نزلت الآية الكريمة: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾، كان لا يمرُّ بالطريق التي فيها المسجد.

وقال صاحب «عيون التفاسير»: كل مسجد بُني مباهاة ورياء وسُمعة، أو لغرضٍ غير وجه الله، أو بمالٍ غير طيب، فهو لاحقٌ بمسجد الضرار[١].

[١١٩]
الصّبيان والمساجد

كره جمهور أهل العلم دخول الصبيان الذين دون سنِّ التمييز للمسجد، وذلك لورود بعض الآثار وإن كان فيها ضعف، منها قوله ﷺ: «جنِّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم»[٢].

ولكن يعضدُ هذا أنَّ المساجد يجب أن تبقى مصانة محترمة نظيفة،

(١) نقايات من غرر الغرر، لأحمد بن شقرون، ص ٣٢٩.
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٣٦ (٥٧/٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦/٢: فيه العلاء بن كثير الليثي الشامي وهو ضعيف.

فإذا أبيح دخولهم بإطلاق أدّى إلى توسيخ المساجد والعبث واللهو فيها.

أما إذا كان القصد التعليم والإقراء ونحو ذلك فلا بأس[1].

[١٢٠]
جرح.. في الحجر الأسود

في حوادث سنة ٤١٣هـ ذكر ابن الجوزي في كتابه «المنتظم» حادثة ضرب الحجر الأسود بدبوس من قبل رجل فجرحه.. وأنه قُتل.. على اختلاف الروايات من هو، وما موطنه.

وكتب الشيخ محمد بن مانع رحمه الله على هذا الكتاب ـ نسخته ـ أنَّ أول ما دخل الملك عبد العزيز بن سعود سنة ١٣٤٣هـ جاء رجل يقال إنه أفغاني، وأخذ كسرة من الحجر الأسود، فعُلم به، فأخذت ورُدَّت مكانها، وقُتل الأعجمي.



(١) «المشروع والممنوع في المسجد»/ فالح بن محمد الصغير. ـ الرياض: وزارة الأوقاف ١٤١٩هـ، ص ٤٩.

[١٢١]
عندما يكون الأب مصيبة !

من المواقف التي لا تغيب عن الذاكرة: موقف ذلك الشاب الذي أتى أحد الدعاة وهو يقول: حلق أبـي لحيتي وأنا نائم!

(إلى هذه الدرجة يكون الوالد عقبة في طريق صلاح ابنه!!).

فقال له ذلك الداعية: نذهب إلى الشيخ ابن باز.

صلَّوا عند الشيخ، ثم سأله الشاب: ماذا أفعل؟

قـال الشيـخ: اسكـن فـي بيـت آخـر، وزره قليـلاً، ولا تمكِّنـه مـن نفسك[1]!

[١٢٢]
بصمة.. على أطفالنا

سئل الأديب والقاص عبد التوّاب يوسف، رائد الأطفال في العالم العربـي: لقد نلتَ شهرة عبر كتاباتك المتسلسلة عن الرسول ﷺ وشباب آل بيت النبوّة، فما الدافع وراء هذا العمل؟

---

(١) «الالتـزام بـالإسـلام: مـراحـل وعقبـات»/ عبـد الله الخـاطـر. ــ لنـدن: مجلـة المنتدى، ١٤٢٠هـ، ص ١٧.

فأجاب: هذا السؤال يجرُّني إلى مرحلة البدايات.

فقد لاحظت أنَّ كُتّاب الأطفال في كل بلد لهم منهج، وكل طفل يشبُّ وعليه بصمة من فيلسوف أو مفكر يصعب على الكاتب إن أراد أن يتحرَّر منها أن يتحرَّر.

فالطفل الفرنسي عليه بصمة «ديكارت»، والطفل الإنجليزي نجد عليه آثار «فرانسيس بيكون»، أما الطفل الأمريكي فلم يسلم أبداً من «جون ديوي»..

هذا جعلني أطرح دائماً سؤالاً على نفسي: أي بصمةٍ نريد أن تكون على طفلنا العربي؟

فرأيتُ أنَّ رسولنا الكريم ﷺ هو القدوة.. وهو الأسوة الحسنة لكل طفل عربي، نريد أن نتأسَّى به ونمضي في طريقه...[1].

[١٢٣]
الحجاب.. والقلق!

تقدَّمت إحدى الباحثات بدراسة علمية لجامعة عين شمس حصلت فيها على درجة الماجستير حول الآثار النفسية والسمات الشخصية للحجاب، أجرتها على (٢٥٠) طالبة محجبة وغير محجبة تمَّ اختيارهن من سبع كليات مختلفة، وكان من نتائج هذه الدراسة أنَّ غير المحجبات أكثر انفعالية وتوتراً وإحساساً بالقلق، وأنهن أقل اتِّزاناً وجدانيًّا من فئة المحجبات[2].

(١) المجتمع ع ١٣٧٨ (٢٢/٨/١٤٢٠هـ)، ص ٥٢.

(٢) رسالة إلى حواء (الرسالة الخامسة)، ص ٦٧.

[١٢٤]
دراهمه.. وحُليُّها

عن عكرمة: أنَّ امرأةً سألت ابن عباس فقالت: ما يحلُّ لي من بيتِ زوجي؟

فذكر الخبز، والتمر، ونحو ذلك.

قالت: فالدراهم؟

قال ابن عباس: أتحبِّين أن يأخذ حُلِيَّكِ؟

قالت: لا.

قال: فلا تأخذي من دراهمه(١).

[١٢٥]
الحديث عن الزوجات

في كتاب «لطائف المنن» للشعراني ظاهرة جديدة في فن السِّيرة الذاتية لا نجدها في كتب الآخرين، وهي التحدُّث عن زوجاته بطريقة تدهش الباحثين، فالمسلمون قلَّما يتحدثون عن نسائهم في المصنفات.

فهو يذكر أسماء زوجاته الأربع: زينب، وحليمة، وفاطمة، وأم الحسن، وأنَّ الله تعالى قد منَّ عليه بإصلاح أمرهنَّ. . .

ثم يذكر أنَّ من جملة إصلاح زوجاته أنهن لا يجلسن ساعة وهن على جنابة، ولا يُخرجن صلاة عن وقتها إلاَّ لحيض أو نفاس أو نسيان. . .

---

(١) كتاب العيال/ لابن أبي الدنيا؛ تحقيق نجم عبد الرحمن خلف. ـ الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ، ٢/٧١٢، رقم (٥٢٠).

ثم يتحدَّث عن كل واحدة منهن على حدة، فيتحدَّث عن زوجته فاطمة وكيف أنها تحرم خلفه في صلاة الليل، فيقرأ في الركعة الواحدة ربع القرآن ولا تفارقه. . . ثم يصف أمرها في طريق الحج وشدة حيائها، وأنها لم تُبدِ عينها للكحّال (طبيب العيون) حتى لا تنظر إليه، ثم برئت. . ويصف ما دار بينه وبين إحداهنَّ من مزاح. . . إلخ[1].

[١٢٦]
حب المرأة لغير زوجها (التخبيب)

سؤال: شاب كان يعرف بنتاً يحبّها كثيراً، وزوَّجها أبوها شخصاً آخر، ولكنه ظلَّ يتصل بها وأغراها بأن تسيء العلاقة مع زوجها، حتى يطلقها، ثم يتزوجها هو، وقد حدث ذلك فعلاً، فماذا يجب عليه الآن؟

جواب: إن ما وقع فيه ذلك الشاب فعل محرم وذنب كبير، نسأل الله أن يتوب عليه إذا توجه إليه بالتوبة الصادقة، فإنَّ هذا العمل يُسمَّى في الشرع «التخبيب»، وهو أن يفسد الشخص زوجة غيره ليتزوَّجها، وقد تبرَّأ النبي ﷺ ممَّن فعل هذا فقال: **«مَن خَبَّب زوجة امرىء أو مملوكه فليس منّا»** (أخرجه أبو داود ٤/ ٥٠٨)[2].

وأما حكم هذا الفعل فقد نصَّ عليه المالكية، ولو كنت قاضياً لقضيت به، وهو أنَّ النكاح يُفسخ سواء كان قبل الدخول أو بعده، ويُحكم بعودها إلى زوجها الأول إن قبلها وقبلته، فإن طلقها بعد ذلك أو مات عنها جاز له أن يتزوجها.

---

(١) ينظر: «السيرة الذاتية في التراث»/ شوقي محمد العاملي. ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٩هـ، ١٣٥ ـ ١٣٧.

(٢) وصححه في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٢٢٣).

وأما بشأن العقوبة الواجبة على هذا الفعل، فهي عقوبة تعزيرية يقدرها القاضي، وهي هنا السجن بفترة محددة تكفي للنكال به، ولا يخرج إلاَّ إذا عُلِم من حاله التوبة النصوح.

ونضيف أنَّ هذا الفعل يدخل في دائرة الإفساد في الأرض، ومن كان هذا حاله ينبغي أن يُنَظَّف منه المجتمع، ولا شكّ أنَّ التربية البيئية والاجتماعية لها دور في هذا الشأن، كما أنَّ الجانب الإعلامي له دوره الخطير أيضاً[1].

وفصَّل ذلك الشيخ يوسف القرضاوي فقال:

من الحرام البيِّن أن يحب الرجل امرأة متزوجة برجل آخر، فيشغل قلبها وفكرها، ويفسد عليها حياتها مع زوجها، وقد ينتهي بها الأمر إلى الخيانة الزوجية، فإن لم ينته إلى ذلك، انتهى إلى اضطراب الحياة، وانشغال الفكر، وبلبلة الخاطر، وهرب السكينة من الحياة الزوجية. وهذا الإفساد من الجرائم التي برىء النبي ﷺ من فاعلها فقال: **«ليس منّا من خَبَّب ــ أي أفسد ــ امرأة على زوجها»**.

ومثل ذلك: أن تحبّ المرأة رجلاً غير زوجها، تفكر فيه، وتنشغل به، وتعرض عن زوجها وشريك حياتها، وقد يدفعها ذلك إلى ما لا يحل شرعاً من النظر والخلوة، واللمس، وقد يؤدي ذلك كله إلى ما هو أكبر وأخطر، وهو الفاحشة، أو نيّتها، فإن لم يؤدّ إلى شيء من ذلك أدّى إلى تشويش الخاطر، وقلق النفس، وتوتُّر الأعصاب، وتكدير الحياة الزوجية، بلا ضرورة ولا حاجة، إلاّ الميل مع الهوى، والهوى شرّ إله عُبِد في الأرض.

---

(١) من إجابة الدكتور عجيل النشمي في مجلة المجتمع ع ١٥٣٠ (١٠/١٠/١٤٢٣هـ).

إنَّ الحب له مبادىء ومقدّمات، وله نتائج ونهايات، فالمبادىء والمقدّمات يملكها المكلّف ويقدر على التحكُّم فيها. فالنظر والمحادثة والسلام والتزاور والتراسل واللقاء، كلها أمور في مكنة الإنسان أن يفعلها وأن يدعها. . . وهذه بدايات عاطفة الحب ومقدّماتها.

فإذا استرسل في هذا الجانب ولم يفطم نفسه عن هواها، ولم يلجمها بلجام التقوى، ازدادت توغُّلاً في غيّها، واستغراقاً في أمرها، وقديماً قال البوصيري في بردته:

والنفس كالطفل، إن تهمله شبَّ على	حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه	إنَّ الهوى ما تولى يصم أو يصم

وحينما تصل النفس إلى هذه المرحلة من التعلّق بصورة حسية ونحوها يصعب فطامها، فقدت حريتها، وأصبحت أسيرة ما هي فيه.

ولكنها هي المسؤولة عن الوصول إلى هذه النتيجة.

فإذا كان المحب أو العاشق قد انتهى إلى نتيجة لا يملك نفسه إزاءها، فإنه هو الذي ورَّط نفسه هذه الورطة، وأدخلها هذا المضيق باختياره، والذي يرمي بنفسه في النارِ لا يملك أن يمنع النار من إحراقه.

والخلاصة: أنَّ المرأة المتزوجة يجب أن تكتفي بزوجها، وترضى به، وتحرص على ذلك كل الحرص، فلا تمتد عينها إلى رجل غيره، وعليها أن تسدّ على نفسها كل باب يمكن أن تهب منه رياح الفتنة، وخصوصاً إذا لمعت بوادر شيء من ذلك، فعليها أن تبادر بإطفاء الشرارة قبل أن تستحيل إلى حريق مدمّر.

أعني أنها إذا أحست دبيب عاطفة نحو إنسان آخر، فعليها أن تقاومها، بأن تمتنع عن رؤيته، وعن مكالمته، وعن كل ما يؤجج مشاعرها نحوه.

ولقد قيل: إنَّ البعيد عن العين بعيد عن القلب[1].

[١٢٧]
ثلاثة حروف

«العقم»: كلمة من ثلاثة حروف، يصف كل حرف منها حال صاحبها!

فالعين: هي عذاب الحرمان من نعمة الأولاد، زينة الحياة الدنيا.

أما القاف: فهي القتال والصراع على الجبهة الداخلية مع الزوجة، وعلى الجبهة الخارجية لمجتمع ينظر بعضه بعين الإشفاق، وينظر البعض الآخر ولسان حاله يقول: ظلم زوجته معه، ماذا لو تركها لتستمتع بالإنجاب من زوج آخر؟

أما الميم: فهي معاناة البحث عن العلاج والحيرة بين الأطبّاء، ربما لسنوات وسنوات[2].

[١٢٨]
النيّة في العلم

معمر بن راشد الأزدي: شيخ الإسلام، إمام حافظ.

شهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث ونبغ.

روى عنه عبد الرزّاق قوله: كان يقال: إنَّ الرجل يطلب العلم لغير الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله.

---

(١) «من هدي الإسلام»: فتاوى معاصرة/ يوسف القرضاوي ١/ ٥٢٦.

(٢) من مقدمة كتاب: «سيدي الطبيب، زوجي لا ينجب»/ أيمن محمود شكري العدوي. ـ القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤٠٥هـ.

قال الإمام الذهبي: نعم، يطلبه أولاً والحامل له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحبُّ الوظائف، ونحو ذلك. ولم يكن علمَ وجوبَ الإخلاص فيه، ولا صدقَ النية. فإذا علمَ حاسب نفسه، وخاف من وبالِ قصدهِ، فتجيئهُ النية الصالحةُ كلُّها أو بعضها، وقد يتوب من نيّته الفاسدة ويندم، وعلامةُ ذلك أنه يُقْصِرُ من الدعاوى وحبِّ المناظرة، ومِنْ قصدِ التكثُّرِ بعلمه، ويُزري على نفسه. فإنْ تكثَّرَ بعلمه، أو قال: أنا أعلم من فلان، فبعداً له[1].

[١٢٩]
قلّة دين.. وغلبة هوى

ممَّا لوحظ في بعض كتبِ أهل العلم قديماً، بل وحتى الآن، الردّ على مخالفيهم من أهل المذاهب الأخرى إذا استدلّوا بحديث ضعيف، مع أنهم يستشهدون بأحاديث ضعيفة وأضعف منها!

وهذا ما تأسف له الإمام ابن الجوزي في أول كتابه «التحقيق في مسائل الخلاف»[2]، فقال:

وألْوَمُ عندي ممَّن قد لمتهُ من الفقهاء: جماعة من كبار المحدِّثين عرفوا صحيح النقل وسقيمه، وصنَّفوا في ذلك، فإذا جاء حديث ضعيف يخالف مذهبهم بيّنوا وجه الطعن فيه، وإن كان موافقاً لمذهبهم سكتوا عن الطعن فيه. وهذا ينبىء عن قلّة دين وغلبة هوى.

ثم روى عن وكيع قوله: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاّ ما لهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٧.

(٢) ١/ ٣ (بتحقيق) عبد المعطي قلعجي.

[١٣٠]

مقارنة..

عالم لغوي اسمه محمد بن حنبل الحسني (ت ١٣٠٢هـ) من موريتانيا، حثَّ على العلم وتعلُّم العربية، ونفَّر من الجهل بها، فقال:

كل فتى شبَّ بلا إعراب ... فهو عندي مثل الغراب
وإن رأيته لخُودٍ عاشقا ... فقل لها اتقي الغرابَ الناعقا
عارٌ على حسناء ذات منصبِ ... تُرىٰ ببيتٍ فيه غير معربِ
لا انتفتْ بالأكل والشرابِ ... مَنْ آثرتْ مالاً على إعرابِ
حلَى الفتى إعرابهُ لا مالُه ... ولا نجارهُ ولا جمالُه

وله قصيدة في الصراع بين العلم والغنى تداولتها المحاضر جيلاً بعد جيل، وممَّا ورد فيها:

إنَّ خير الزاد يا صاح التُّقى ... فيه المجدَ التمسْ لا بالنسبْ
صاح لا تُلْفَ بجهلٍ راضياً ... فذوو الجهل كأمثال الخشب
لا يزهِّدك أخي في العلم أنْ ... غَمَرَ الجهَّال أرباب الأدب
زبد البحر تراه رابياً ... واللآلي الغرُّ في القعر رسب
أضيع الأشياء حكم بالغ ... بين صمٍّ ونداءٌ لم يُجَبْ[1]

---

(١) «بلاد شنقيط: المنارة والرباط»/ الخليل النحوي. ــ تونس: المنظمة العربية للتربية، ١٤٠٧هـ، ص ٨٦ ــ ٨٧.

[١٣١]
العلم كسبيٌّ ووهبيّ

العلم نوعان: كسبـيٌّ ووهبـيٌّ.

أما الأول: فيكون تحصيله بالاجتهاد والمثابرة والمذاكرة.

وأما الثاني: فطريقه تقوى الله والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾. وهذا العلم يسمى العلم اللَّدُنّي ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾. وهو العلم النافع الذي يهبه الله لمن شاء من عباده المتقين. وإليه أشار الإمام الشافعي بقوله:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ ... ونورُ الله لا يُهدىٰ لعاصي[١]

[١٣٢]
طالب علم جريح!

روى عبد الله بن فرُّوخ الحديث عن الإمام أبـي حنيفة في بغداد، وكتب عنه مسائل كثيرة في الفقه غير مدوَّنة، يذكر أنها نحو العشرة آلاف مسألة!

وقال: كنتُ يوماً عند أبـي حنيفة، فسقطت آجرَّةٌ من أعلى داره على رأسي فأدمتْهُ، فقال لي: اختر: إن شئتَ أَرْشَ الجُرْح[٢]، وإن شئت ثلاثمائة حديث! فقلت: الحديث ــ أصلحك الله ــ خيرٌ لي.

فحدَّثني بها قبل رجوعي[٣].

---

(١) صفوة التفاسير ١/١٧٩.

(٢) الأرش: دية الجراحة.

(٣) ورقات عن الحضارة العربية، ص ٣٣٥ ــ ٣٣٦.

[١٣٣]
تواضع العلماء

قال أيوب بن المتوكل: كان الخليل ـ بن أحمد الفراهيدي ـ إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يُرِه بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراهُ بأنه استفادَ منه.

قال الإمام الذهبي: صار طوائف في زماننا بالعكس[١].

* * *

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣١.

[١٣٤]
أسباب ورود الإبهام في القرآن الكريم

المبهمات هي كل لفظ ورد في القرآن الكريم من ذكرٍ من لم يسمِّهِ اللهُ فيه باسمه العلم، من نبيٍّ أو ولي، أو غيره، من آدمي أو مَلَك، أو جنيّ أو بلد أو كوكب أو شجر، أو حيوان له اسم علم، أو عدد لم يُحدَّد، أو زمن لم يُبيَّن، أو مكان لم يُعرف.

وقد ذكر الزركشي في البرهان في علوم القرآن أسباب وقوع الإبهام في القرآن الكريم، وتبعه في ذلك الإمام السيوطي في الإتقان، وهي:

١ ــ الاستغناء ببيانه في موضع آخر:

مثاله قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[1]، أُبهموا في هذه الآية، ولكنهم بيِّنوا في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾[2].

٢ ــ أن يكون معروفاً لاشتهاره:

كقوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[3]، فلم يصرِّح باسم الزوجة وهي حواء، وذلك لشهرة تعيينها، لأنه ليس له غيرها.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٦.
(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥.

٣ ــ قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه:

كقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾[١]. قيل: هو مالك بن الصيف.

٤ ــ ألاَّ يكون في تعيينه كبير فائدة:

كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[٢].

٥ ــ التنبيه على العموم، وهو غير خاص:

كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٣].

٦ ــ تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم:

كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[٤] والمراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٧ ــ تحقيره بالوصف الناقص:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٥].

ويلحق بها أسباب أخرى من اللطائف والأسرار التي يمكن أن تكون سبباً للإبهام[٦].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.
(٤) سورة الزمر: الآية ٣٣.
(٥) سورة الكوثر: الآية ٣.
(٦) «تفسير مبهمات القرآن»/ محمد بن علي البلنسي؛ تحقيق حنيف القاسمي. ــ بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ ١/ ٣٥ ــ ٣٩ باختصار.

[١٣٥]

محكمات.. ومتشابهات

آيات القرآن قسمان: محكمات ومتشابهات، كما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فإن قيل: كيف يمكن التوفيق بين هذه الآية وبين ما جاء في سورة هود أن القرآن كلَّه محكم ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، وما جاء في الزمر أن القرآن كله متشابه ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾.

فالجواب: أنه لا تعارض بين الآيات، إذ كل آية لها معنى خاص غير ما نحن في صدده.

فقوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بمعنى أنه ليس به عيب، وأنه كلام حق فصيح الألفاظ، صحيح المعاني.

وقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحُسن ويصدق بعضه بعضاً، فلا تعارض بين الآيات(١).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: أحسن ما قيل في المتشابه والمحكم: أن المحكم ما عُرف تأويله وفُهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه ولم يكن لأحد إلى علمه سبيل.

قال بعضهم: وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال، وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور(٢).

---

(١) صفوة التفاسير ١/١٨٦.

(٢) تفسير القرطبي ٤/٩.

[١٣٦]
إعجاز التأثير!

كثيرونَ من علماءِ البلاغة والتفسير والقرآن في القديم والحديث لاحظوا تأثيرَ القرآن في القلوب، وأثَرَه في النفوس، فاعتبروا ذلك التأثيرَ من وُجوه إعجازِ القرآن، وعبَّروا عنه بعباراتٍ متفاوتة.

ولكن أوَّلَ مَن اعتبرَ هذا التأثيرَ القرآني وجْهاً خاصاً من وجوه الإعجاز هو الإمامُ أبو سليمان الخطابي، الذي توفي سنة ٣٨٨هـ، فقد نصَّ عليه نصّاً في رسالته «بيانُ إعْجازِ القرآن» فقال:

«قلْتُ في إعجازِ القرآن وجْهاً آخرَ، ذَهَبَ عنْهُ الناس، فلا يكادُ يعرفُه إلاَّ الشّاذُّ من آحادهم.

وذلك: صنيعُه بالقلوب، وتأثيرُه في النفوس.

فإنك لا تسمعُ كلاماً غيرَ القرآن، منظوماً ولا منثوراً، إذا قَرَعَ السمعَ خلصَ له إلى القلبِ من اللَّذةِ والحلاوةِ في حال، ومن الرَّوْعةِ والمهابةِ في أخرى، ما يخْلُصُ منه إليه.

تستبشِرُ به النفوس، وتنشَرِحُ له الصدور، حتى إذا أخذَتْ حظَّها منه، عادتْ مرتاعة قد عَراها الوَجيب والقَلق، وتَغشّاها الخوف والفَرَق...

تقشعِرُّ منه الجلود، وتنزعجُ له القلوب.

يحولُ بين النفس وبين مضمَراتِها وعقائِدها الراسخة فيها..

فكَمْ من عدوٍّ للرسول ﷺ ــ من رجالِ العرب وفُتّاكها ــ أقبلوا يريدونَ اغتيالَه وقتْله، فسمعوا آياتِ القرآنِ، فلم يلبثوا حينَ وقعتْ في مسامعهم أن يتحوَّلوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه،

وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً»[1].

[١٣٧]
طعم.. وحلاوة.. وذوق

للعالم الجليل يوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ) كتاب بعنوان «هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن» أصله كتاب ابن رجب الحنبلي المسمى «الاستغناء بالقرآن في طلب العلم والإيمان»، عنون الباب الثالث عشر بقوله: «في ذكر ما جاء في طعم القرآن، وحلاوته، وذوقه، ورائحته، ولذَّته، والتنعُّم به، وأن لذَّته من جنس لذّاتِ أهل الجنة».

وأورد أحاديث وآثاراً في ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: ومن هذه اللذَّة كان كثير من السلف يؤثرُ لذَّة القراءة والقيام على لذَّة الأكل والمنام، فكان بعضهم لا يأكل إلاَّ ما يسدُّ به رمقه، وترك كثير منهم النوم، فصلى كثيرٌ منهم صلاة الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة، ومنهم من صلى بذلك أربعين سنة.

وقال بعضهم: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلاَّ طلوع الفجر!

وقال ثابت بن أسلم البناني: كابدتُ قيام الليل عشرين سنة، وتنعَّمتُ به عشرين سنة أخرى!

فهؤلاء كانت لذة القيام وقراءة القرآن ألذَّ وأحلى عندهم من الأكل والشرب والنوم.

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٠، من كتاب: البيان في إعجاز القرآن/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط ٣. ـ عمان: دار عمار، ١٤١٣هـ، ص ٣٥٠.

وقد رأيتُ ذلك في بعض الأحايين، فحصل لي في بعض الليالي لذة رأيت في نفسي أنها أعظم من لذة الدنيا والآخرة!

وقد ذكر الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية عن شيخه الشيخ تقي الدين أنه صلى الفجر يوماً، ثم جلس يذكر ويقرأ ويسبِّح إلى غدوة النهار، ثم قام وقال: هذه غدوتي، ولولاها لسقطتْ قوَّتي(١)!

[١٣٨]
قرآن.. وشعر

حكى العلامة القرطبي عن الأصمعي أنه قال: سمعتُ جارية أعرابية تنشد:

أستغفـر الله لـذنبـي كلـه	قتلـتُ إنسـانـاً بغيـر حلِّـه
مثـل الغـزالِ نـاعمـاً فـي دلِّـه	انتصـف الليـلُ ولـم أصلِّـه

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك!

فقالت: ويحك! أوَ يعدُّ هذا فصاحةً مع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، فقد جمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين(٢)!

---

(١) «هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن»/ ابن عبد الهادي؛ تحقيق محمد أنور صاحب بن محمد عمر. ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٩هـ، ص ٤١١ ـ ٤٢٤ (رسالة دكتوراه).

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٢.

[١٣٩]
يسجد للتلاوة في أي مكان

سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين:

هل يجوز للإنسان وهو في مكان غير المسجد إذا سمع آية فيها سجود تلاوة أن يسجد؟

فأجاب:

سجود التلاوة سنة مؤكدة، مشروع في كل وقت على الصحيح، حتى أوقات النهي؛ لأنه من ذوات الأسباب، ولأنه لا يسمى صلاة شرعاً.

ويجوز السجود في كل مكان، كالأسواق والطرق، ولو لم تكن طاهرة.

كما يجوز أن يسجد بالإيماء إذا كان راكباً أو ماشياً، فيخفض رأسه إشارة إلى السجود، ويدعو فيه بالدعاء، وذلك اغتناماً للفضل، وحرصاً على امتثال الأمر، وحتى لا يتركه مع القدرة عليه.

فإن كان سامعاً للقراءة وهو غير منصت لها فلا سجود عليه.

أما إن كان يستمع له وينصت للقراءة وسجد القارىء، فإنه يسجد.

وهكذا إذا سمع في الإذاعة أو في الأشرطة حيث إنه لا يسجد المذيع، فالمستمع يسجد اغتناماً للفضل[١].

---

(١) «فتاوى لأهل القرآن»/ جمع دخيل الله المطرفي. ــ الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢٢هـ، ص ٥٢.

[١٤٠]
هل للإمام أحمد تفسير؟

ذكر أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أنه لم يكن في الدنيا أحدٌ أروى عن أبيه من عبد الله بن أحمد، لأنه سمع منه المسند، وهو ثلاثون ألفاً، والتفسير، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً. . . إلخ.

لكـن الإمـام الذهبي استبعـد هـذا الأمـر، ورجَّـح أنـه لا يوجـد لـه تفسير.

قال رحمه الله: ما زلنا نسمع بهذا «التفسير» الكبير على ألسنة الطلبة، وعُمدتهم حكاية ابن المنادي هذه، وهو كبيرٌ، قد سمع من جدِّه، وعباس الدوري، ومن عبد الله بن أحمد، لكن ما رأينا أحداً أخبرنا عن وجود هذا التفسير، ولا بعضه، ولا كراسة منه. ولو كان له وجود، إو لشيء منه لنسخوه، ولاعتنى بذلك طلبة العلم، ولحصَّلوا ذلك، ولنُقل إلينا، ولاشتُهر، ولتنافس أعيان البغداديين في تحصيله، ولنقلَ منه ابن جرير فمن بعده في تفاسيرهم. . . وهذا التفسير لا وجود له، وأنا أعتقد أنه لم يكن، فبغداد لم تزل دار الخلفاء، وقبّة الإسلام، ودار الحديث، ومحلَّة السنن، ولم يزل أحمد فيها معظَّماً في سائر الأعصار، وله تلامذة كبار، وأصحاب أصحاب، وهلمَّ جرّاً إلى بالأمس، حين استباحها جيوش المغول، وجرت بها من الدماء سيول. وقد اشتُهر ببغداد تفسير ابن جرير، وتزاحم على تحصيله العلماء، وسارت به الركبان، ولم تعرف مثله في معناه، ولا أُلِّف قبله أكبر منه. . .[١].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٢٢.

[١٤١]

الهيروغليفية تفسّر القرآن الكريم !

هذا عنوان كتاب غريب[١]، عرضه مؤلفه على طائفة من العلماء الأعلام، في تخصصات دينية وتاريخية وآثارية، وكل يعجب ويحتار، فقد قال شيئاً لم يُقَل به قبله، ووصل إلى ما لم يصل إليه غيره. فهو يرى أن الحروف المقطعة في أوائل من سور في القرآن الكريم يمكن تفسيرها بدلالة كل حرف منها حسب دلالتها في اللغة المصرية القديمة!

فالحروف الأولى من سورة الكهف ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ أورد رموزها بالهيروغليفية وترجمتها بالعربية على النحو التالي:

كاف: وتكتب بالمصرية هكذا (. . .)، وتعني: يكشف النقاب عن سر، يفضُّ سرّاً، يظهر حقيقة يقينية.

ها: وتكتب بالمصرية هكذا (. . .) وتعني: انتبه، يتنزل من السماء.

ي: وتكتب بالمصرية هكذا (. . .) وتعني: لهذا، إليك، وتتلو جملة خطاب مباشر.

عين: وتكتب هكذا (. . .) وتعني: عبد صالح، جميل، صادق، حسن.

صاد: وتكتب هكذا (. . .) وتعني: يقول، يتكلم، يحكي، حكاية، قصة.

والمعنى العام لهذه الجملة: سنكشف لك النقاب عن سر من أسرارنا منزل إليك من السماء، أي من عند الله، فانتبه! إليك القصة الحقيقية.

---

(١) ألفه سعد عبد المطلب العدل. ــ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤٢٢هـ، ٢٢٧ ص.

[١٤٢]

لطائف من التفسير

● السرُّ في الاستعاذة قبل قراءة القرآن: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨]:

أنَّ القرآن هو الذِّكْر الحكيم، والحقُّ المُبين.

ولما كان الشيطان يثير الشبهات بوساوسه، ويفسد القلوب بدسائسه؛ أُمر ﷺ بأن يستعيذ بالله ويلتجيء إليه عند تلاوة القرآن، لأن قوة الإنسان تضعف عن دفعه بسهولة، فيحتاج إلى الاستعانة بالله العلي الكبير.

● استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٣] أن النبوة لا تكون إلاَّ في الرجال، وأما النساء فليس فيهن نبيَّة.

وهو استنباط دقيق.

● من دقائق التعبير القرآني العجيبة في سورة الإسراء، تقديمه تعالى رزق الأبناء على رزق الآباء: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الآية ٣١]، وفي سورة الأنعام قدَّم رزق الآباء: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الآية ١٥١].

والسرُّ في ذلك:

أنَّ قتل الأولاد هنا ــ أي في الإسراء ــ كان خشية وقوع الفقر بسببهم، فقدَّم تعالى رزق الأولاد، وفي الأنعام كان قتلهم بسبب فقر الآباء فعلاً، فقدَّم رزق الآباء.

فللَّه دَرُّ التنزيل ما أروع أسراره!

● كثيراً ما يرد في القرآن لفظ ﴿حَبِطَ﴾، وأصل الحبوط هو انتفاخ بطن الدابة حين تأكل نوعاً ساماً من الكلأ ثم تلقىٰ حتفها.

وهذا اللفظ أنسب شيء لوصف الأعمال، فإنها تنتفخ وأصحابها يظنونها صالحة ناجحة رابحة، ثم تنتهي إلى البوار!

● قال العلماء: ما نفع أخ أخاه كما نفع موسى هارون! فقد طلب له من ربه أن يجعله وزيراً له، ويكرمه بالرسالة، فاستجاب الله دعاءه وجعله نبياً مرسلاً.

● سئل كعب عن الملائكة: كيف يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون؟ أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟

فقال للسائل: يا ابن أخي، جُعل لهم التسبيح كما جُعل لكم النَّفَس. ألست تأكل وتشرب، وتقوم وتجلس، وتجيء وتذهب، وأنت تتنفَّس؟ فكذلك جُعل لهم التسبيح.

● فائدة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢].

المُرضع: التي شأنها أن تُرضع.

والمُرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها لطفلها، ولهذا قال: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ ولم يقل: مرضع، ليكون ذلك أعظم في الذهول، إذ تنزع ثديها من فم الصبي أحب الناس إليها.

وذلك غاية في شدة الهول والفزع[1].

---

(١) صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني ٢/١٤٥، ١٢٩، ١٦٢، ٢٠٩، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٨٥.

[١٤٣]

فوائد في التفسير

● لفظ «البَشر» يُطلق على الواحد والجمع.

فمن إطلاقه على الواحد: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾؟

ومن إطلاقه على الجمع: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾، ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

أفاده صاحب الكشاف.

● لماذا بدأ الله في الزنى بالمرأة؟ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾، وفي السرقة بالرجل؟

والجواب: أن الزنى من المرأة أقبح وجرمه أشنع، فبدأ بها. وأما السرقة، فالرجل عليها أجرأ وهو عليها أقدر، ولذلك بدأ به.

● قال بعض المحققين:

- إن يوسف لما رُمي بالفاحشة برّأه الله على لسان صبي في المهد.
- وإن مريم لما رُميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى عليه السلام.
- وإن عائشة لما رُميت بالفاحشة برّأها الله في كتابه العزيز، فما رضي الله لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برّأها الله في القرآن من القذف والبهتان.

وذكر أن قسيساً أراد أن ينال من المسلمين بالطعن في أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، فقال: إن الناس رموها بالإفك، ولا ندري أهي بريئة أم متهمة؟

فأجابه بعض الحاضرين بقوله: اسمع يا هذا، هناك امرأتان اتهمتا

بالزنا وقد برَّأهما القرآن الكريم، إحداهما ليس لها زوج وقد جاءت بولد، والأخرى لها زوج ولم يأتها ولد ـ يقصد مريم وعائشة ـ فأيتهما أحرى بالتهمة؟ فخرس القسيس!

● ذكر أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧]، ثم يبكي وينشد:

نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومٌ والردى لك لازمُ
تُسَرُّ بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سُرَّ باللذّاتِ في النومِ حالمُ
وتسعى إلى ما سوف تكره غبَّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

● قال بعض العلماء: هذه الآية ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ...﴾ [النمل: ١٨] من عجائب القرآن، لأنها بلفظة «يا» نادت، «أيها» نبَّهت، «النمل» عيَّنت، «ادخلوا» أمرت، «مساكنكم» نصَّت، «لا يحطمنكم» حذَّرت، «سليمان» خصَّت، «وجنوده» عمَّت، «وهم لا يشعرون» اعتذرت. فيا لها من نملة ذكية[1]!

[١٤٤]
من بدائع التفسير

● أشارت الآية الكريمة: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] إلى لطيفة، وهي أن الدعوة لا تُثمر إلَّا إذا بدأ الداعي بها في نفسه وأهله. وهذا هو السرُّ في البدء بالحجاب الشرعي بنساء الرسول وبناته.

(١) المصدر السابق ٢/٣١١، ٣٣٠، ٣٣٨ ـ ٣٣٩، ٣٩٩، ٤٠٥.

• قال الزمخشري: أفاد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨] أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا نُقّاداً في الدِّين، يميزون بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها دليلاً، وأبينها أمارة. وألا يكونوا في مذهبهم كما قال القائل: ولا تكن مثل عيرٍ قيد فانقادا.

• المناسبة بين المقسم به وهو النجوم، وبين المقسم عليه وهو القرآن ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ أن النجوم جعلها الله ليهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والضلالة، وتلك ظلمات حسية، وهذه ظلمات معنوية. فالقسم هنا جاء جامعاً بين الهدايتين: الحسية للنجوم، والمعنوية للقرآن. فهذا وجه المناسبة، والله أعلم.

• نبَّه الله تعالى بقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ الآيات، إلى طبائع البشر، فبيَّن أن الإنسان يتسرَّعُ إلى مشتهاه اتباعاً لهواه، وأنه مفرط في الهلع والجزع، فإن مسَّه خيرٌ شحَّت به نفسه، وإن نزل به شرٌّ اشتدَّ له قلقه. ثم استثنى من ذلك الخُلق الذميم أصنافاً من البشر، وهم الذين جمعوا مع الإيمان صالح الأعمال(١).

[١٤٥]

إشارات.. في التفسير

• قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية ٨٣]، ولم يقل: وقولوا لإخوانكم، أو قولوا للمؤمنين حُسناً؛ ليدلَّ على أن الأمر

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٥٤١، ٣/ ٣١٧، ٤٤٨، الكشاف ٤/ ٩٣.

بالإحسان عامٌ لجميع الناس: المؤمن، والكافر، والبرّ، والفاجر.

وفي هذا حضٌّ على مكارم الأخلاق بلين الكلام، وبسط الوجه، والأدب الجميل، والخُلق الكريم.

● لا يُذكر في القرآن الكريم لفظ القتال أو الجهاد إلاَّ ويُقرن بكلمة «سبيل الله»، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الغاية من القتال غاية شريفة نبيلة، هي إعلاء كلمة الله، لا السيطرة أو المغنم أو الاستعلاء في الأرض أو غيرها من الغايات الدنيئة.

● عبَّر بالمسِّ في قوله: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ وبالإصابة في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٢٠] وذلك للإشارة إلى أن الحسنة تسوء الأعداء، وحتى لو كانت بأيسر الأشياء، ولو مسّاً خفيفاً. وأما السيئة فإذا تمكنت الإصابة بها إلى الحد الذي يرثي له الشامت، فإنهم لا يَرْثون، بل يفرحون ويسرون.

وهذا من أسرار بلاغة التنزيل.

قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٤٥]، هذا إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة، وأنه من أجلِّ النِّعم وأجزل القَسْم[١].

[١٤٦]
فائدة لطيفة

في عدة آياتٍ من القرآن إذا ذَكَرَ الله الحكمَ لم ينصَّ على نفس الحكم عليه، بل يذكر من أسمائه الحسنى ما إذا عُلِمَ ذلك الاسمُ وعُلمتْ آثاره، عُلِمَ

(١) المصدر السابق ١/٧٦، ١٢٧، ٢٢٦، الكشاف ٢/١٨.

أن ذلك الحكمَ من آثار ذلك الاسم؛ وهذا إنهاض من الله لعباده أن يعرفوا أسماءه حقَّ المعرفة، وأن يعلموا أنها الأصل في الخلق والأمر، وأن الخلق والأمر من آثار أسمائه الحسنى، وذلك مثل قوله: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾[1].

فيستفاد أن الفيئةَ يحبُّها الله وأنه يغفر لمن فاء ويرحمه، وأن الطلاق كريه إلى الله.

وأما المُؤْلي إذا طلَّق فإن الله تعالى سيجازيه على ما فعل من السبب، وهو الإيلاء، والمسبَّب، وهو ما ترتب عليه، ومثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

أي فإنكم إذا علمتم ذلك رفعتم عنه العقوبة المتعلقة بحق الله، وهذا كثير.

وقد يصرح الله بالحكم ويعلله بذكر الأسماء الحسنى المناسبة له[3].

[١٤٧]
العلم والشجاعة

قوله تعالى في وصف طالوتَ عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٤.

(٣) تيسير اللطيف المنان، ص ٤٥٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

أي القوة والشجاعة في هذه الآية.

على أن المَلِكَ إذا اجتمعتْ فيه هاتان الخصلتان: العلم بالولاية والسياسة وحسن التدبير، والشجاعة والقوة؛ فهو الذي يصلح للولاية والملك، وإن لم يكنْ من بيتِ المُلْكِ ولا ذا مال، فإن العبرة بجميعِ الولايات إمكانُ إقامتها والنهوضِ بها على أكمل الحالات، وولايةُ المُلْكِ لا تتمُّ إلاَّ بالعلمِ والشجاعة القلبية والبدنية[1].

[١٤٨]

من أعجب القصص

قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام من أعجب القصص.

ويمكن استنباط فوائد عظيمة منها، لما فيها من أنواع التنقلات من حال إلى حال، ومن محنةٍ إلى محنة، ومن محنة إلى منحةٍ ومنَّة، ومن ذُلٍّ إلى عَزّ، ومن أَمْن إلى خوف وبالعكس، ومن مُلك إلى رِقٍّ وبالعكس؛ ومن فِرْقةٍ وشَتاتٍ إلى انضمام وائتلاف وبالعكس، ومن سرور إلى حزن وبالعكس، ومن رخاء إلى جَدْبٍ وبالعكس، ومن ضيق إلى سعة وبالعكس، ومن وصول إلى عواقب حميدة.

فتبارك من قصها وجعلها عبرة لأولي الألباب[2].

---

(١) تيسير اللطيف المنان/ عبد الرحمن السعدي، ص ٤٤٩.

(٢) «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ـ عنيزة، السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٨هـ، ص ٤٠٨ (ضمن: المجموعة الكاملة لمؤلفاته، جـ ٨).

[١٤٩]
شؤم الذنوب

مما يستفاد من قصة يوسف عليه السلام:

الحذر من شؤم الذنوب، فكم من ذنب واحد استتبع ذنوباً كثيرة وتسلسلَ الشرُّ المؤسسُ على الذنب الأول.

وانظر إلى جرم إخوة يوسف، فإنهم لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه الذي هو من أعظم الجرائم، احتالوا على ذلك بعدة حيل، وكذَبوا عدة مرات، وزوَّروا على أبيهم في القميصِ والدمِ الذي فيه، وفي صفةِ حالهم حين أتوا عشاءً يبكون.

ولا بد أن الكلام في هذه القضية تسلسلَ وتشعَّب، بل ربما إنه اتصل إلى حين الاجتماع بيوسف، وكلما بُحِثَ في هذا الموضوع فهو بحثُ كذبٍ وزُور، مع استمرار أثر المصيبة على يعقوب، بل وعلى يوسف.

فليحذر العبد من الذنوب، خصوصاً الذنوب المتسلسلة. وضدُّ ذلك بعض الطاعات تكون طاعة واحدة، ولكن يتسلسل نفعها وبركتها حتى تستتبعَ طاعاتٍ من الفاعل وغيرِه، وهذا من أعظم آثار بركةِ الله للعبد في علمه وعمله(١).

[١٥٠]
قولوا التي هي أحسن

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

---

(١) المصدر السابق ص ٤١١.

يقـول الشـهيـد سيـد قطب رحمـه الله : إن قولـه تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ هـو عـلى وجـه الإطـلاق وفي كـل مجـال، فيختـاروا أحسـن مـا يُقـال ليقولـوه. . بذلـك يتَّقـون أن يُفسِـد الشيطانُ مـا بينهم من مودَّة.

فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها، فإذا جوُّ الودِّ والمحبَّة والوفاقِ مشوبٌ بالخلاف، ثم بالجفوة، ثم بالعداء.

والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، تندِّي جفافها، وتجمعها على الودِّ الكريم.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ يتلمَّسُ سقطات فمه وعثرات لسانه، فيُغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه.

والكلمة الطيبة تسدُّ عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرمَ الأخوة آمناً من نزغاته ونفثاته(١).

[١٥١]
الفساد في البحر.. كيف؟

قوله تعالى في سورة الروم: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾.

بيِّن أن الشرك وسائر المعاصي سبب ظهور الفساد في البر والبحر، وذلك لقلة المنافع وكثرة المضار ومحق البركات من كل شيء.

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٣٤.

وفسَّره ابن عباس بإجداب البرِّ وانقطاع مادَّة البحر وتموُّجه[1]. وأورد السيوطي قوله: نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا.

وأورد قول آخرين: إن الفساد يعني قحوط المطر، ولما ذكر أن ذلك لا يضرُّ البحر قيل: إذا قلَّ المطر قلَّ الغوص، وذكر آخر أنه إذا لم يمطر عميت دواب البحر.

وقال بعضهم: البرُّ قد عرفناه، فما بال البحر؟ قال: إنَّ العرب تسمِّي الأمصار: البحر، وفيه قول عكرمة أيضاً: البر: الفيافي التي ليس فيها شيء، والبحر: القرى.

وقال آخر: فساد البر: قتلُ ابن آدم أخاه، والبحر: أخذ الملكِ السفنَ غصباً.

وذكر السدي أن البر كل قرية نائية عن البحر، والبحر كل قرية على البحر[2].

[١٥٢]
تطفيف المُناظر!

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي تفسير بعنوان «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، هو تفسير وعظ وعقيدة ومعان، لا تكاد تجد فيه حديثاً، أو أقوال أحد من السلف! لكن له إشارات لطيفة في مواضع، منها قوله عند تفسير أوائل آيات سورة المطففين:

---

(١) قاله النيسابوري في «غرائب القرآن» عند تفسير الآية ٤١ من السورة. وقريب منه في روح المعاني عند تفسير الآية المذكورة.

(٢) الدر المنثور ٥/٣٠١ (طبعة دار الكتب العلمية).

ودلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات. بل يدخل في عموم هذا: الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو.

وفي هذا الموضع يُعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه. نسأل الله التوفيق لكل خير.

[١٥٣]
هل يغلب يسرٌ عسرَين؟

قوله تعالى في سورة الانشراح: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

قال العلامة النيسابوري في «تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان»: روى مقاتل عن النبي ﷺ أنه خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول: «لن يغلب عسر يسرين»[1] فقال الفراء والزجاج: العسر مذكور بالألف واللام وليس هناك معهود سابق، فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر في الموضعين شيئاً واحد، وأما اليسر فإنه مذكور على سبيل التنكير، فكان أحدهما غير الآخر.

---

(١) أورد ابن جرير الطبري في تفسيره عدة طرق لهذا الحديث كلها عن الحسن البصري رفعه، وهو مرسل، ولذلك ضعفه الألباني في ضعيف الجامع. وهذه رواية أخرى للحديث أوردها المفسر النيسابوري عن مقاتل رفعه، ومقاتل ليس صحابياً (ت ١٥٠هـ)، وقد كذّبه المحدّثون وهجروه، كما ذكره الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب. والله أعلم.

وزيَّفه الجرجاني بأنه من المعلوم أن القائل إذا قال: «إن مع الفارس سيفاً، إن مع الفارس سيفاً»، لم يلزم منه أن يكون هناك فارس واحد معه سيفان.

وأقول: إذا كان المراد بالعسر الجنس لا العهد، لزم اتحاد العسر في الصورتين، وأما اليسر فمنكر.

فإن حُمل الكلام الثاني على التكرار مثل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ونحوه، كان اليسران واحداً.

وإن حمل على أنه جملة مستأنفة لزم أن يكون اليسر الثاني غير الأول، وإلاَّ كان تكراراً، والمفروض خلافه.

وإن كان المراد العسر المعهود، فإن كان المعهود واحداً وكان الثاني تكراراً كان اليسران أيضاً واحداً، وإن كان مستأنفاً كانا اثنين، وإلا لزم خلاف المفروض.

وإن كان المعهود اثنين فالظاهر اختلاف اليسرين، وإلا لزم أو حَسُنَ أن يعاد اليسر الثاني معرَّفاً بلام العهد، فهو واحد والكلام الثاني تكرير للأول لتقريره في النفوس، إلاَّ أنه يحسن أن يجعل فيه مغايراً للأول لعدم لامِ العهد. ولعل هذا معنى الحديث ــ إن ثبت ــ والله أعلم ورسوله.

وإذا عرفت هذه الاحتمالات، فإن لم يثبت صحة الحديث أمكن حمل الآية على جميعها، وإن ثبت صحته وجب حملها على وجه يلزم منه اتحاد العسر واختلاف اليسر، وحينئذ يكون فيه قوة الرجاء ومزيد الاستظهار برحمة الكريم.

وأما اليسران ــ على تقدير اختلافهما، فقيل: يسر الدنيا ويسر الآخرة، أي: إن مع العسر الذي أنتم فيه يسر العاجل، إن مع العسر الذي أنتم فيه يسرُ الآجل...[1].

---

(١) تفسير النيسابوري (الذي بهامش تفسير الطبري) عند تفسير سورة الانشراح.

[١٥٤]
أسانيد «حلوة»

كتاب نـادر للإمام السيـوطي سمـاه «الفانيـد في حلاوة الأسانيد»[1]، جمع فيه أحاديث نبوية شريفة مما في إسنادها لطائف فرائد، من اتصال سند أهل الإسلام بنبـي الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، واجتماع صحابة أربعة أو خمسة في سند واحد يروي بعضهم عن بعض، في أحدها رواية عثمان عن عمر عن أبـي بكر عن بلال عـن رسول الله ﷺ! وكذلـك اجتمـاع أربـع صحـابيـات فـي إسنـاد، وروايـة صحـابـي عـن تـابعـي عـن صحابـي، ورواية أئمة الفقه المجتهدين أحمد بن حنبل عن الشافعي عن مالك... أو أبـي حنيفة عن مالك، أو الشافعي عن محمد بن الحسن عن أبـي يوسف، أو الشافعي عن مسلم عن ابن جريج عن الثوري عن مالك، وروايـة أئمـة اللغـة المـازنـي عـن سيبـويـه عـن الخليـل بـن أحمـد فـي الحـديـث... ومـن اجتمـع فـي إسنـاده جمـاعـة مـن الشعـراء أو الكتّـاب أو الخلفاء.

و «الفانيد» نوع من الحلواء يعمل بالنشاء.

وقد نعت الإمام السيوطي كتابه بهذا الاسم تشبيهاً لأسانيده الفريدة بها.

---

(١) صدر بتحقيق رمزي سعد الدِّين دمشقيَّة رحمه الله تعالى. ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ٧٢ص.

[١٥٥]
تراجم رواة

«زوائد رجال صحيح ابن حبان على الكتب الستة» من تأليف الباحث يحيى بن عبد الله الشهري.

عرَّف فيه بنحو خمسين وسبعمائة راوٍ ممن يصعب الوقوف على تراجمهم ومعرفة أحوالهم على كثير من الباحثين، وهم عدا رجال الكتب الستة الذين ترجم لهم الحافظ المزي في كتابه «تهذيب الكمال».

كما خرَّج فيه نحو ستين وثمانمائة حديث مع بيان درجتها صحة وضعفاً، وما في بعضها من غرابة أو نكارة أو شذوذ.

وقد صدر الكتاب في ستة مجلدات آخرها كشافات علمية. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ.

وأصله رسالة دكتوراه نالها الباحث بتقدير ممتاز من جامعة الإمام بالرياض عام ١٤٢١هـ.

[١٥٦]
بين ابن التركماني والبيهقي

لابن التركماني علي بن عثمان (ت ٧٥٠هـ) تعقبات على الإمام البيهقي في السنن الكبرى، نقده فيها، وجمعها في كتاب بعنوان: «الجوهر النقي في الرد على البيهقي». فهل كان مصيباً في نقده؟

تتبع باحث معاصر طائفة كبيرة من هذه التعقبات في دراسة علمية وصناعة حديثية[١] وتوصل فيها إلى نتائج طيبة، منها قوله:

---

(١) وهي رسالة دكتوراه بعنوان: «دراسة تعقبات ابن التركماني في الجوهر النقي على=

ـ إن معظم هذه التعقبات التي أوردها ابن التركماني الصوابُ فيها مع البيهقي، وإن كان ابن التركماني له لفتات علمية تدل على علمه ومكانته، ولذلك فقد أجاد وأصاب في بعضها.

ـ معظم هذه التعقبات في مسائل فقهية هي موضع الخلاف بين الحنفية والشافعية، وهذا مما يدل على أن الأصل في ذلك الخلاف المذهبي والانتصار له.

ـ هذه التعقبات لا تنقص من مكانة السنن الكبرى للبيهقي، فما هي إلاَّ جزء يسير من هذه الموسوعة الضخمة التي حوت كثيراً من الأحاديث والآثار والفوائد والجرح والتعديل وأقوال أهل العلم التي يندر أن توجد مجموعة في كتاب واحد.

ـ ابن التركماني لا يقارنه بالبيهقي في علمه وفقهه ومعرفته بالصناعة الحديثية، ويتضح ذلك من خلال بعض تعقباته التي لم يأتِ فيها بشيء يكون حجة صحيحة على البيهقي.

[١٥٧]
يدخل الجنة وهو يضحك

عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله قال:

كان رجلٌ يُكثر الضحك، فذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ، فقال ﷺ:

«أمَا إنَّهُ سيدخلُ الجنةَ وهو يضحك»[1]!

= السنن الكبرى للبيهقي: من أول الكتاب إلى نهاية كتاب الحيض»/ إعداد حسين بن شريف العبدلي الفيفي. ـ المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٢١هـ.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» رقم (١٣٥) وقال محققه: مرسل جيد.

[١٥٨]
الناس يُدْعَوْنَ بآبائهم لا بأمهاتهم

قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الغادر يُرْفَعُ له لواءٌ يوم القيامة، يُقال: هذه غَدْرَة فُلانِ بن فلان»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فتضمَّن الحديث أنه يُنسب إلى أبيه في الموقف الأعظم... وقال ابن بطال: في هذا الحديث ردٌّ لقولِ من زعم أنهم لا يُدْعَوْنَ يوم القيامة إلاَّ بأمهاتهم ستراً على آبائهم.

قلت: هو حديث أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس وسنده ضعيف جداً.

وأخرج ابن عدي من حديث أنس مثله وقال: منكر، أورده في ترجمة إسحاق بن إبراهيم الطبري.

قال ابن بطّال: والدعاء بالآباء أشدُّ في التعريف وأبلغ في التمييز.

قلت: وهذا يقتضي حملَ الآباء على من كان يُنْسَبُ إليه في الدنيا لا على ما هو في نفس الأمر، وهو المعتمد[٢].

[١٥٩]
ماذا تفعل بين المغرب والعشاء

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال:

صلينا مع رسولِ الله ﷺ المغرب، فرجعَ مَنْ رجع، وعَقَّبَ من عَقَّب[٣]..

---

(١) رواه البخاري في صحيح، كتاب الأدب (٦١٧٧).

(٢) فتح الباري ١٢/ ٢٠٢ (طبعة دار الفكر).

(٣) عقب من عقب: التعقيب في الصلاة الجلوس بعد أن يقضيها؛ لدعاء أو مسألة، وقال السيوطي: التعقيب في المساجد انتظار الصلاة بعد الصلاة.

فجاء رسولُ اللهِ ﷺ مسرعاً، قد حَفَزَهُ النَّفَس[1]، وقد حَسر عن ركبتيه[2]، فقال:

«أبشروا! هذا ربُّكم قد فتح باباً من أبواب السماء، يُباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قد قَضَوا فريضة، وهم ينتظرون أخرى»[3].

[١٦٠]
فكّر في هذا

عن حذيفة قال: قام فينا رسولُ الله مقاماً، فحدَّثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظهُ من حفظه، ونسيهُ من نسيه[4].

قال الإمام الذهبي: قد كان ﷺ يرتِّل كلامَهُ ويفسِّره، فلعلَّه قال في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزء؛ فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكرَ أكثر ما هو كائن في الوجود لما تهيّأ أن يقوله في سنته، بل ولا في أعوام، ففكِّر في هذا[5].

---

(١) حفزه النَّفَس: أعجله.

(٢) حسر: كشف.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة ١/ ٢٦٢ رقم (٨٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، ومسلم برقم (٢٨٩١/ ٢٣).

(٥) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٥ ــ ٣٦٦.

[١٦١]
عامٌ شرٌّ من الذي قبله.. كيف؟

قوله ﷺ: «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلاَّ والذي بعده أشرُّ منه، حتى تلقَوْا ربَّكم»، أخرجه البخاري في صحيحه[١].

قال الحافظ ابن حجر ما ملخصه: استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشرِّ دون التي قبلها، ولو لم يكن ذلك إلاَّ زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير.

قال: وقد حمَله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال: لا بدَّ للناس من تنفيس!

وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل تفضيلُ مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خيرٌ من الزمان الذي بعده. . .

قال الحافظ: ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول:

«لا يأتي عليكم يوم إلاَّ وهو شرٌّ من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلاَّ هو أقل علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون».

---

(١) كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلاَّ الذي بعده شر منه رقم (٧٠٦٨).

ومن طريق الشعبي عن مسروق، عنه قال: «لا يأتي عليكم زمان إلاَّ هو أشرُّ مما كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خَلَفاً، ويجيء قوم يفتون برأيهم»(١).

[١٦٢]
يومان مشهودان لكل مسلم

قال رسول الله ﷺ:

«تُفتح أبوابُ الجنة يومَ الاثنينِ ويومَ الخميس، فيُغْفَرُ لكلِّ عبدٍ مسلم لا يُشرك بالله، إلاَّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا، أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا»(٢).

[١٦٣]
حديث قدسي عظيم

عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ عن النبي ﷺ قال:

«قال الله تعالى: من علمَ أني ذو قدرةٍ على مغفرةِ الذنوبِ غفرتُ له ولا أبالي، ما لم يُشركْ بي شيئاً»(٣).

---

(١) فتح الباري ١٤/ ٥١٢ ــ ٥١٤ (طبعة دار الفكر).

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٠٨ رقم (١٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٤١١، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٠.

(٣) حديث حسن، صحيح الجامع الصغير ٤٣٣٠.

[١٦٤]

الرجل المناسب

يقول القائد العسكري المسلم محمود شيت خطاب رحمه الله في مقدمة كتابه «قادة النبي ﷺ»[(١)]:

وطالما ردَّدتُ والألم يعتصر فؤادي ما لا يُعدُّ ولا يُحصى من المرات... وردَّد معي العرب والمسلمون: كيف استطاع النبي ﷺ توحيد هؤلاء العرب الذين عقدوا العزم ــ كما يبدو ــ على ألاَّ يتحدوا ؟

إنه اختار الرجل المناسب للعمل المناسب، فحكم الأمةَ أفضلُ أبنائها عقيدةً واقتداراً، فتوحدت بنعمة الله وفضله، وفتحت وسادات بالتوحيد والوحدة.

وأصحاب العقائد الراسخة والكفاياتِ العالية لا يختلفون؛ لأنهم يبنون ولا يهدمون، ويُصلحون ولا يُفسدون.

أما الذين لا عقيدة لهم ولا كفاية فيختلفون، فهم يهدمون لأنهم لا يدرون كيف يبنون، ويفسدون لأنهم يجهلون كيف يصلحون.

فهل يكون النبي ﷺ قدوة حسنة للعرب والمسلمين في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب؟

* * *

(١) ص ٤٤، طبعة دار القلم بدمشق ١٤١٥هـ.

[١٦٥]
أمُّ اللاّت؟

عن محمد بن عبّاد المخزومي، أن قريشاً قالت: قيِّضوا لأبـي بكر رجلاً يأخذه.

فقيَّضوا له طلحة بن عبيد الله.

فأتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر، قم إليَّ.

قال: إلامَ تدعوني؟

قال: أدعوك إلى عبادة اللاّتِ والعُزّى.

قال أبو بكر: من اللاّت؟

قال: بناتُ الله.

قال: فمن أمُّهم!

فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيبوا صاحبكم.

فسكتوا.

فقال طلحة: قم يا أبا بكر، فإني أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبـي ﷺ[١].

---

(١) عيون الأخبار ٢/١٩٨ ـ ١٩٩.

[١٦٦]
سبُّ الدِّين !

سؤال: ما الحكم الشرعي فيمن يسبُّ الدِّين؟

الجواب: شتمُ الدِّين، أو الخالق، أو أيٍّ من الرُّسل والأنبياء، أو السخرية من أي من أركان الإسلام، يُخرج صاحب القول أو السخرية من الإسلام إلى الكفر. فإذا لم يُبادر إلى الاستغفار ولم يجدِّد إسلامه ومات على هذه الحالة مات كافراً، ولم يَجُزْ غسله ولا الصلاة عليه ولا دفنه في مقابر المسلمين، وتفسخ العلاقة الزوجية بينه وبين زوجته إن استمرَّ على كفره إلى مرور ثلاثة أشهر من لحظة نطقه بكلمة الكفر، وهي عدَّة الطلاق.

* والغريب أنَّ كلمات الكفر هذه تشيع في مجتمعنا السوري أكثر من أي بلد أو مجتمع آخر. ففي الوقت الذي يستعظم الناس في سائر البلاد العربية كلمات الكفر، وتستثير ذهولهم وغضبهم لدى سماعها، تكاد تُعَدُّ أمراً مألوفاً، لكثرتها في بلادنا السورية[١]!

[١٦٧]
شاءت الظروف؟

سؤال: ما حكم قول: «شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا»، و «شاءت الأقدار كذا وكذا»؟

الجواب: قول «شاءت الأقدار» و «شاءت الظروف» ألفاظ منكرة؛ لأن الظروف جمع ظرف، وهو الأزمان، والزمن لا مشيئة له.

---

(١) «مع الناس»/ محمد سعيد البوطي ص ١٩٥.

وكذا الأقدار جمع قدر، والقدر لا مشيئة له، وإنما الذي يشاء هو الله عزّ وجلّ.

نعم لو قال الإنسان: اقتضى قدر الله كذا وكذا، فلا بأس به.

أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار؛ لأن المشيئة هي الإرادة، ولا إرادة للوصف، إنما الإرادة للموصوف(١).

[١٦٨]
ليته حصل.. وليته لم يحصل

سئل الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عن حكم القول للشيء: ليته لم يحصل، أو ليته حصل كذا وكذا...؟

فأجاب: قول: «ليته حصل كذا أو لم يحصل»، إن كان القصد منه الندم على فوات فعل الخير فلا بأس به؛ لأنه يحمل على الاستدراك لفعل الخير في المستقبل، والنبي ﷺ قال لأصحابه: **«لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم»**، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

أما إن كان القصد من الندم على الفائت الجزع من القدر وعدم الرضا عمّا قدَّر الله، فهو لا يجوز.

وقد حثَّ النبيّ ﷺ على فعل الأسباب النافعة، ونهى عن الإهمال والكسل، ثم بعد فعل الأسباب إذا فات المقصود.

---

(١) من إجابة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، مجلة التوحيد (مصر) ع ٣ (١٤٢٣هـ) ص ٥١.

فقد نهى النبي ﷺ عن قول: «لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا»، وأمر المسلم أن يقول: «قدَّر الله وما شاء فعل»[1].

[١٦٩]
خَلقُ الله

قالت العامة والجهلة: ما يضيِّعُ الله مَنْ خلق.

وهذا لفظ لم يرد في الشرع، وبقي المعنى فاسداً أيضاً، فإنهم يعنون به ما يترك الله أحداً دون رزق. وجميع أهل السنة على أن الله تعالى لا يجب عليه شيء. فلا يجب عليه أن يرزق، ولا أن يحرم، ولا أن يبتلي، ولا أن يعافي، وإنما يفعل في ملكه ما يريد، وإلا فكم من نفس تموت جوعاً وعطشاً ومرضاً وسيفاً وحرقاً وهم من خلق الله، فأين قول الجاهلية[2]؟

[١٧٠]
ملاحظة مهمة

قال العالم المتكلم أبو عبد الله السكوني:

قال شيخي[3] رحمه الله: حضرت جنازة «حفيلة»، فقام المنذر على القبر يخطب، فقال في جملة كلامه: «سبحان من لم يزل موجوداً،

---

(١) الفتاوى/ صالح الفوزان. ـ الرياض: مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، ١٤١٥هـ، ٣/ ٢٥.

(٢) «أربعون مسألة في أصول الدين/ أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني؛ دراسة وتحقيق يوسف احنانا. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ، ص ٧٢.

(٣) غالب الظن أنه أبو بكر بن عبد الرحمن الفخار.

وسبحان من لم يزل معبوداً».

قال: فسمعت شيخي يقول سراً: «آمنت بالأولى، وكفرتُ بالثانية»!

فلما افترق الجمع سألته عن ذلك فقال لي: أما «لم يزل موجوداً» فنعم، وأما «لم يزل معبوداً» فقِدَمُ العالم، وذلك كفر[1]!

[١٧١]
تعبيرات خاطئة في جنب الله تعالى

هذا عنوان مقال طويل كتبه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في مجلة «الأمة»[2] ركز فيه على عبارتين:

الأولى: لا يجوز أن يقال عن الله تعالى أنه «قوة عليا» أو «قوة خفية» أو «قوة مدبِّرة» وأمثال هذا. لأن «القوة» صفة لا تستقلُّ بنفسها، وإنما تقوم بغيرها، مثل «العلم» و «الجدال» و «الإكرام» و «العِزَّة»، فإن هذه الصفات لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بذات تتصف بها..

وإنما يقال: ذو القوة... وذو الجلال...

ولا يجوز أن يسمى الله «مهندس الكون» ولا «مبرمج المخلوقات»، فلا يوصف الله سبحانه إلاَّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

والعبارة الثانية: لا يجوز أن يقال في الله تعالى «معصوم» أو «له العصمة» أو «لا عصمة إلا لله ولرسوله» ونحو هذه التعابير الخاطئة في جنب الله تعالى، فإن «العصمة» إنما يوصف بها من يمكن أن يتأتى منه الخطأ أو المخالفة لولا أن الله منَّ عليه بها فيما عصمه منه.

---

(١) أربعون مسألة في أصول الدين ص ٦٢.

(٢) العدد ٥٣ (١٤٠٥هـ).

فالعصمة إنما تكون من الله لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، يعصمهم الله ويحفظهم من الوقوع في المعصية والذنب.. فالله تعالى هو العاصم، والمعصوم هم الرسل والأنبياء...

[١٧٢]
لفظ «المعجزة»

لفظ «المعجزة» لم يرد في الكتاب ولا في السنة! وإنما فيهما تسمية الخارق الذي يجري لنبي من الأنبياء آية، أو بيِّنة، أو برهاناً. قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(١)، ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾(٢)، ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾(٣).

وقد جرى عرف من صنف في معجزات النبي ﷺ على تسمية مصنفاتهم فيها باسم «دلائل النبوة» ولم يسموها معجزات.

وأطلق لفظ المعجزة والإعجاز في ذكر آيات الأنبياء في أواخر القرن الثالث، وكان ربما يقرن بلفظ الدلائل ولفظ الأعلام.

وكان لفظ «المعجزة»، يطلق على كل خارق، سواء ظهر لنبي أو لوليّ غير نبي، لا فرق في ذلك عندهم. لكن استقرَّ الاصطلاح عند المتأخرين على قصر اسم «المعجزة» على خارق النبي، وسمَّوا خارق الولي «كرامة»(٤).

---

(١) سورة الرعد، الآية ٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٧٣،
(٣) سورة القصص، الآية ٣٢.
(٤) تقييدات في إعجاز القرآن/ محمد بن عبد الرحمن الشظيفي. ــ الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٨هـ، ص ٩ ــ ١٦.

[١٧٣]
عندما حزن ملك الموت !

عن جابر بن زيد قال:

إن مَلَكَ الموتِ كان يتوفَّى الناسَ أين ما لقيهم بغيرِ مرض، فكان الناسُ يسبُّونه! فاشتكى إلى الله ما يدعونَ عليه، فقيل له: ارجعْ يا ملكَ الموت.

فوضع الأوجاع، ونُسيَ ملكُ الموت. فلا يموتُ أحدٌ إلاَّ قيل: مات بكذا وكذا، ونسي ملك الموت[1]!

[١٧٤]
من يسأل الرجعة بعد الموت

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مالٌ يبلغه حجَّ بيتِ ربِّه، أو تجبُ فيه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعةَ عند الموت.

فقال رجل: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفّار.

فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآناً: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2] [سورة المنافقون، الآية ١٠].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الأهوال رقم (١٣٣) وقال محققه: رجاله موثوقون. وذكر أنه لم يجد هذا الخبر عند غير ابن أبي الدنيا.

(٢) صفوة التفاسير ٣/ ٣٨٩.

[١٧٥]
ابن قتيبة.. في مذهبه العقدي

هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. من أئمة الأدب. ومن المصنفين المكثرين. سكن الكوفة وولي قضاء دينور، وهو صاحب الكتاب المشهور «عيون الأخبار» و«تأويل مختلف الحديث» و«مشكل القرآن» وغيرها.

وقد اختلف العلماء اختلافاً بينا في ناحية ابن قتيبة الدينية، فقال ابن تيمية: إنه من أهل السنة، وذكره في كتابه تفسير سورة الإخلاص (ص ٨٦) بقوله: «وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعدّدة». ثم قال «ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة». وقال في الكتاب نفسه (ص ٩٥) ما نصه: «وابن الأنباري من أكثر الناس كلاماً في معاني الآي المتشابهات، يذكر فيها من الأقوال ما لم ينقل عن أحد من السلف، ويحتج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة، وقصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة، وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث وأتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك، وإن كان ابن الأنباري من أحفظ الناس للغة، لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ اللغة».

ونقل ابن تيمية في هذا الكتاب (ص ٨٦) عن صاحب كتاب «التحديث بمناقب أهل الحديث» قوله: «وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، وأجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصراً لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة. ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه».

وقال الخطيب في تاريخ بغداد، ونقله عنه جلال الدين السيوطي في «البغية» ومحمد بن أحمد الداودي في طبقات المفسرين: «وكان ثقة ديِّناً فاضلاً».

ونسبه البيهقيّ إلى فرقة الكرّامية، وهم أصحاب أبي عبد الله محمد ابن كرّام، وكان ممن يثبت الصفات إلاَّ أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه؛ وهم طوائف يبلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة.

وقال الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» (ج ٢ ص ٧٧ طبع مصر): «ورأيت في مرآة الزمان أن الدارقطني قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرفاً عن العترة، وكلامه يدل عليه». واستبعد ذلك الجلال السيوطي والداودي بأن له كتاباً في الرد على المشبّهة[1]. هذا وقد ذكرهم ابن قتيبة في كتابه «تأويل مختلف الحديث» ونسبهم إلى الافتراء على الله تعالى في أحاديث التشبيه[2].

ونقل السيوطي والداودي عن الحاكم قوله: «أجمعت الأمة على أنه كذاب»، ثم نقلا قول الحافظ الذهبي: «ما علمت أحداً اتهم القتيبي في نقله مع أن الخطيب قد وثّقه، وما أعلم الأمة أجمعت إلاَّ على كذبِ الدجال ومسيلمة». وقال الحافظ الذهبي ردّاً على قول الحاكم: «إن هذه مجازفة قبيحة وكلام مَنْ لم يخف الله»[3]ا.

---

(١) المشبهة صنفان: صنف شبه ذات الباري بذات غيره، وصنف آخر شبه صفاته بصفات غيره، وكلا الصنفين يفترق إلى فرق شتى، وقد تكلم عليهم بإسهاب عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق (ص ٢١٤ ــ ٢١٩ طبع مصر).

(٢) انظر (ص ٧ ــ ١٣ من كتابه تأويل مختلف الحديث، طبع مصر).

(٣) من مقدمة محققي «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٤/ ١٦ ــ ١٧) طبعة الهيئة المصرية، لسان الميزان ٣/ ٣٥٧.

[١٧٦]
ابن تيمية.. وابن قدامة

* قال ابن تيمية رحمه الله: ومن ظنَّ بأبـي حنيفة أو غيره من أئمة المسلمين أنهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياسٍ أو غيره، فقد أخطأ وتكلَّم إما بظنٍّ وإما بهوى(١).

* كان عبد الله بن قدامة المقدسي رحمه الله (ت٦٢٠هـ) كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره، لا يرى إطلاق ما لم يُؤْثَر من العبادات، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات، من غير تفسيرٍ ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تأويل، ولا تعطيل(٢).

[١٧٧]
رؤيا.. وتعبيرها

الشيخ الصالح أحمد بن الشهاب محمد المقدسي الحنبلي ثم الشافعي كان إماماً ورعاً، ذا سمت ووقار وتعبد، وفاته سنة ٦٣٨هـ.

ذكر أنه رأى النبـي ﷺ في المنام بضعاً وأربعين مرة!

قال: ورأيته فسمعته عليه السلام يقول: ليس أحداً أقرب إليَّ من مؤمن آل فرعون! . فحكيته للشيخ نجم الدِّين الكُبري فقال: المرادُ بمؤمن آل فرعون الذي يقول الحق، ويُظهرهُ عند غلبةِ الباطلِ وظهورِ الكفر، كما فعل مؤمن من آل فرعون(٣).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢٠/ ٣٠٤.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٩.
(٣) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦٣١ ــ ٦٤٠هـ، للذهبي، ص ٣٦٢.

[١٧٨]
فرق بين عداوتين

يقول ابن بنت الميلق رحمه الله:

عداوة الكافرين بالباطن والظاهر.

وعداوة عصاة المؤمنين ينبغي أن تكون بالظاهر، وأن لا تكون منها في الباطن إلاَّ كراهةُ عصيانهم، وقبائحُ أفعالهم، ومساوىءُ آدابهم، ونحو ذلك، دون كراهة ذواتهم، والتعقيد في عداوتهم، بل يكون في الباطن لهم شيءٌ من الموالاةِ، بسبب إيمانهم، مع الحنوِّ عليهم، وتطلُّب الصلاحِ لهم، والدعاء لهم بالهداية، وما أشبه ذلك[١].

[١٧٩]
الخواطر والوساوس المنافية للدِّين

سؤال: هل يُحاسب الإنسان على الخواطر والوساوس والصور المنافية للدِّين؟

الجواب: الخواطر والوساوس أو الصور المنافية لمقتضى الدين وعقائده، يتعرَّض لها كل إنسان مهما كانت درجته في التمسُّك والالتزام. وهي لا تدخل في الاختيارات الإنسانية التي يحاسب الله المسلم عليها، بل هي انفعالات قسرية لا يتعلق بها التكليف.

وقد صرَّح رسول الله ﷺ بأن الله لا يحاسب الإنسان عليها ما دام أنها تهجم على فكره دون اختيار، وما دام أنه يشمئز منها ويضيق ذرعاً بها،

---

(١) موارد الاختصاص إلى مقاصد سورة الإخلاص ص ٢١٩ (لم ينشر بعد).

فقال في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «**إنَّ الله تجاوز لأمتي عمَّا حدَّثت به نفسها، ما لم تقل أو تفعل**»[1].

[١٨٠]
العشق.. دينياً

سئل الإمام الجليل سلطان العلماء العزُّ بن عبد السلام: هل يجوز للإنسان أن يقول: أنا عاشق لله تعالى، وإن الله تعالى عاشق لي..؟

فأجاب رحمه الله: لا يجوز أن يُنسبَ إلى الله تعالى أنه يَعْشق ويُعشق؛ لأن العشق فسادٌ في الطبع محيل لما لا وجود له.

قال الأطباء: هو مرض سوداوي ووسواس يجلبه صاحبه إلى نفسه بالفكر في حسن الصور والشمائل.

فمن أطلق هذا على محبَّته لله عُزِّر. وإطلاقه على محبَّةِ الله إياه أقبح وأعظم، فيعزَّر تعزيراً أعظم من تعزير من أطلق هذا اللفظ على محبَّتِهِ لربِّه، إذ لا يوصف الإله إلاَّ بأوصاف الكمال ونعوتِ الجلال التي ورد استعمالها في الشرع، فقال بعضهم: لا يُعَبَّرُ عن ذاته ولا عن صفاته إلاَّ بما عبَّرَ به عنها.

وقال آخرون: بل يجوز ذلك إذا لم يثبت المنع في كتاب ولا سنة. ومثال ذلك أن يقول: الله يعرف ويدري، مكان «الله يعلم»[2].

---

(١) مع الناس/ محمد سعيد البوطي، ص ١٧٥.

(٢) الفتاوى/ للعز بن عبد السلام؛ خرَّج أحاديثه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد الفتّاح. ــ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ، ص ٧١ ــ ٧٢.

[١٨١]
سيّد.. وسيّدنا

في بحث رائع جمع له مؤلفه الأدلة والنصوص ورتبه ونسقه مع إجادةٍ وفقهٍ في الموضوع، كتب الأستاذ زين العابدين العبيد محمد:

«الإفادة في حكم السيادة»[١].

ويعني حكم إطلاق لفظ «السيد» على الله سبحانه أو على نبيه أو أحد من خلقه.

فأورد معناه من جوانب، وحكم إطلاقه على ما ذكر، وعلى الكافر والمنافق، وآراء المجيزين والمانعين ومناقشتهم جميعاً.

وتوصل إلى أن السيادة جائزة للخالق جل ثناؤه وتقدست أسماؤه.

وأنها يجوز إطلاقها بالنسبة للمخلوق بجميع معانيها: لغوية أو عرفية أو شرعية، سواء كان في جانب النبي ﷺ أو في غيره.

إلَّا أنه توقف في جانب العبادة، مثل الصلاة على النبي ﷺ عقب التشهد، وفي الأذان، والإقامة.

فإنَّ بعض العلماء فضَّل ترك السيادة، وبعضهم جوَّز إطلاقها، بل فضله على الترك، وكل منهما له دليله.

قال: فإن نظرنا إلى الاحتياط في جانب العبادة نقول بجواز الترك، وإن نظرنا إلى جانب الأدب وتوقيره نقول بالذكر.

قال: ويمكننا أن نقول برجحان الترك لو كانت الصلاة والأذان

---

(١) نشرته دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي عام ١٤٢٢هـ.

والإقامة الخالية من السيادة مثل التي تُذكر فيها، فنقول: المتفق عليه خير من المختلف فيه.

لكن من يرى السيادة في العبادة يرى أن المتروك منها ذلك دون التي ذكر فيها السيادة، لتعبيره بالأفضلية للسيادة في جانب المذكور فيها السيادة.

أما من منع السيادة بالنسبة للمخلوق وأطلق في ذلك فلا دليل له إلا قوله ﷺ: «إنما السيد الله»، وما روي من قوله ﷺ: «لا تسيّدوني».

أما الأول فلا يصح دليلاً في هذه المسألة وإن صحَّ في نفسه، وذلك لأنه يتعيَّن أن يكون المنهي عنه بطريقة المفهوم في الحديث هو المعنى الذي يليق بجلال الله وعظمته، جمعاً بينه وبين قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

ومن المعلوم أن من أجاز إطلاقها على البشر لا يريد هذا المعنى، وإنما يريد معنى يليق بالبشر.

وأما الحديث الثاني فقد قال فيه السيوطي: إنه موضوع[1].

[١٨٢]
التشاؤم من المنزل

سؤال: شخص سكن في دار فأصابته الأمراض وكثير من المصائب، مما جعله يتشاءم هو وأهله من هذه الدار، فهل يجوز له تركها لهذا السبب؟

أجاب الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

ربما يكون بعض المنازل أو بعض المركوبات أو بعض الزوجات مشؤوماً يجعل الله بحكمته مع مصاحبته إما ضرراً أو فوات منفعة أو نحو

---

(١) ص ١١٤ ــ ١٦٦ من المصدر المذكور.

ذلك. وعلى هذا فلا بأس ببيع هذا البيت والانتقال إلى بيت غيره، ولعل الله أن يجعل الخير فيما ينتقل إليه. وقد ورد عن النبـي ﷺ أنه قال: «**الشؤم في ثلاث: الدار، والمرأة، والفرس**». رواه البخاري ومسلم.

فبعض المركوبات يكون فيها شؤم، وبعض الزوجات يكون فيهن شؤم، وبعض البيوت يكون فيها شؤم، فإذا رأى الإنسان ذلك فليعلم أنه بتقدير الله عزَّ وجلّ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى بحكمته قدَّر ذلك لينتقل الإنسان إلى محلٍّ آخر. والله أعلم[1].

[١٨٣]
الـواقفيـة

هي فرقة شيعية، ابتُدِعت في عصر الأئمة من الشيعة ـ لشبهات اعترت بعض الرواة ـ وهم يرون الوقوف على إمام دون تجاوزه إلى الاثني عشر.

قال المحققون منهم: الوقف العام هو كل وقف على إمام من الأئمة من قبل الناس الآخرين. والوقف الخاص هو الوقف على الإمام موسى بن جعفر الكاظم، وهم الذين لم يؤمنوا بامتداد الإمامة إلى من بعده من الأئمة.

* واعتبرَت الإمامية هذه الفرقة «خطرة» ودرست أفكارها ورجالها وجرحهم حديثياً في كتاب يقع في مجلدين بعنوان:

الواقفية: دراسة تحليلية، رياض محمد حبيب الناصري. ـ مشهد، إيران، المؤتمر العالمي للإمام الرضا، ١٤٠٩ ـ ١٤١١هـ، ٢مج.

---

(١) الفتاوى الاجتماعية، إعداد خالد الجريسي ١٢/ ٣٠.
قلت: رقم الحديث في صحيح البخاري (٥٠٩٣)، وللألباني رحمه الله تأويل آخر للحديث.

[١٨٤]
روافـض

ـ السبب في دخول بعض القبائل بالمدينة المنورة في الرفض والتشيع، أن أهل البادية كانوا إذا أقبلوا على المدينة في أيام الدولة العثمانية أول ما يستقبلهم النخاولة، فيتعاملون معهم في البيع والشراء ويدعونهم إلى الرفض والتشيع.

ـ مضى القرن السابع والثامن ولا يوجد في المدينة إلاَّ الروافض، وكذلك مكة، ذكر ذلك ابن تيمية والذهبـي والسخاوي! . . .

ـ إنَّ الرفض أتى من قبل العجم، أما العرب فلم يكونوا روافض، ولكن بعد أن اختلط العجم بالعرب أصبح فيهم روافض.

وبسبب انتشار الجهل في القرن السابع والثامن والتاسع والعاشر في العرب ضاع العرب، وأصبحوا لقمة سهلة في يد من يريد، ولكن عندما كانوا منشغلين بالعلم لم يستطع أحد أن يفرِّقهم ويتغلب عليهم[١].

[١٨٥]
الأزهر يوصي بمنع تداول مجلة «تراثنا»

أوصى الأزهر في مصر بمنع تداول مجلة فقهية تصدر في إيران.

وجاءت توصية الأزهر بناء على رفض مجمع البحوث (أعلى هيئة فتوى بالأزهر) التصريح بالموافقة على توزيع وتداول مجلة «تراثنا» التي

---

(١) «المجموع في ترجمة العلاَّمة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري» / عبد الأوّل الأنصاري، ٢/ ٦٩٧، ٧٠٥ (وما كتب من أقواله رحمه الله).

تصدرها مؤسسة آل البيت لإحياء التراث في إيران؛ لاحتوائها على عدد من الموضوعات التي اعتبرها الأزهر «تتجافى مع روح الإسلام».

وأكّد تقرير اللجنة التي شكّلها المجمع لفحص هذه المطبوعة أنها «تحتوي على نصوص بعض الآيات القرآنية وتأويلها تأويلاً خاطئاً».

وأضاف التقرير أن «المطبوعة بها مغالطات كبيرة، حيث زعمت أن أهل السنة أسقطوا أو أوَّلوا بعض الآيات التي نزلت في فضل أهل البيت».

وأشار التقرير إلى أن «الأفكار التي تتضمنها المطبوعة تتعارض مع ما يعتقده أهل السنة من أن مفهوم الإمامة ليست وظيفة أو وراثة، كما أنها ليست حقاً دينياً أو شرفاً أو وصاية، وأنه ليس للإمام أيّ عصمة أو انتماء أسري».

وقال التقرير: إن «المطبوعة تشكك في عدالة الصحابة وتسبُّهم، وذلك يتعارض مع ما جاء في صحيح الحديث عن النبي ﷺ محذراً من سبِّ صحابته: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»»[١].

[١٨٦]
الحروفية.. والنقطوية!

الفرقة «النقطوية» مِن أخطر الفرق التي نشأت في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري، نشأت على يد محمد البسيخواني، الذي كان شغوفاً بالسفر، واستقرّ به المقام في إستراباد الإيرانية.

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ع ٨٦٣٤ (٩/ ٥/ ١٤٢٣هـ). والحديث صحيح رواه مسلم وغيره.

وهناك تتلمذ على يد فضل الله الإسترآبادي، مؤسس الفرقة الحروفية في إيران، وهي فرقة شيعية، تقوم على فكرة أن الكون أبدي.. ولهم اعتقادات في الحروف وعددها وكيفية استخدامها...

ثم نشب خلاف بين الشيخ وتلميذه، فطُرد التلميذ، وعرف بمحمود المطرود والمردود، فكوَّن لنفسه فرقة جديدة في قصة عجيبة مرَّ بها، حيث ساء ظنه بالله، فاختار طريق الإلحاد والزندقة، فادَّعى المهدية، ثم النبوة. ولم يتزوج.

وسُمِّيت «النقطوية» بهذا الاسم لأن مؤسسها يرى أن كل شيء تمَّ خلقه من الطين، والمراد من «النقطة» هو الطين. أو لأنه استعان بعدد الحروف والنقاط لتفسير القرآن الكريم حسب أهوائه الشخصية للاستدلال على آرائه وعقائده...

ويمثل القرن العاشر الهجري أحلك الفترات وأظلمها في حياة الهند المسلمة، لا سيما الحقبة التي ملك فيها أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر (٩٦٣ ـ ١٠١٤هـ)، حيث كانت فتنة مذهبه الذي عُرف بالمذهب الأكبري.

كما اضطلعت «العقيدة الألفية» بأخبث دور قامت به في العمل على نشأة وتعدد الفرق الضالة المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري[1].

---

(١) «فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة»، محمد كبير أحمد شودري، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ، ١/ ٣١، ٢/ ٥٩١ (رسالة دكتوراه).

[١٨٧]
الحركة الخاكسارية (المتواضعية أو الطائفية)

هذه إحدى الحركات المعادية للإسلام، وقد قامت على يد رجل اسمه «عناية الله المشرقي»[1] بولاية البنجاب في شبه القارة الهندية، وقد أطلق على جماعته هذه «خاكسار» أي «جماعة المتواضعين»!

وكانت هذه الجماعة تتخذ لنفسها مظهراً دينياً، وتدعي أنها قامت لإعلاء كلمة الله، ورفع منار الإسلام. فاستجاب الناس لدعوتها، وأقبلوا عليها بصدق وحماس. وكانوا يتخذون من صلاة جماعتهم فرصة للتشاور فيما بينهم، وفرصة للمؤامرات المستترة.

وكان من بين أعضاء هذه الجماعة المارقة فرقة فدائية، ويعمدون عند مبايعة «المشرقي» إلى إحداث جرح في أجسامهم، وكتابة وثيقة الولاء والطاعة له بالدماء التي تنزف من هذا الجرح. وكانوا يدينون له بكل ما في نفوسهم من إخلاص وثقة. وأراد أحد أعضاء هذه الفرقة الفدائية قتل القائد الباكستاني محمد علي جناح، وقبض عليه، وعفا عنه القائد.

لكن الشعب المسلم أنكر عليهم سوء صنيعهم هذا بكل شدة، حتى تشتت شملهم، وتمزق جميعهم، وانتهى أمرهم.

وقد كتب «المشرقي» كتابات مليئة بالإلحاد والزندقة والضلال، وتدلُّ كتاباته على أن الصلاة والصوم والزكاة والحج والنطق بالشهادتين ليس من أمر الإسلام الذي تريده الحركة الخاكسارية، وأن الغرب هم

---

(١) عاش ما بين ١٣٠٥ ــ ١٣٧٩هـ. درس في جامعة بنجاب (باكستان)، وفي جامعة كيمبرج (بريطانيا). انحرف عن الإسلام، ورفض الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وأنكر أركان الإسلام الخمسة، ونشر الإلحاد والزندقة.

المؤمنون أصلاً، وهم من عباد الله الصالحين.. حسب المعتقدات الخاكسارية[1]!!.

[١٨٨]
التبشير بالنصرانية.. أم بنبيّنا ﷺ؟

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني:

أخبرني أحد الشباب الذي بدأ يبحث بجدٍّ في البشارات في الكتب الإسلامية[2]، قال: والله لقد رأيت عجباً! قال: أتدري لماذا كان يسمَّى المبشِّرون بالمبشِّرين؟ قلت له: لماذا؟ إنهم يبشرون بالنصرانية، قال: لا، لقد تتبعتُ هذه المسألة في كتبهم، وجمعتُ الأناجيل المطبوعة باللغة العربية والإنجليزية، وجمعت نسخاً متعددة، وأردت أن أعرف لماذا يسمَّى هؤلاء المبشِّرون بهذا الإسم؟ قال: فوجدتُ أن سبب الاسم أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يقول لهم: «اذهبوا وبشِّروا». قال: فتتبعتُ موضوع البشارة هذا، فوجدتُ أنهم أُمروا أن يبشِّروا بما بشَّرَ به هو. قال: فتتبعت في الكتب تلك ما أُمر هو أن يبشِّر به، فإذا به أُمر أن يبشِّر بالنبي الذي يأتي من بعده، وبصفاته، وبزمنه، وبصفات أصحابه، وبصفات البلد الذي يكون فيه، وجمعتُ ذلك. ثم قال: وأنت إذا جمعت هذه النصوص فإنك تراها تنطبق على محمد ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[3].

---

(١) «الشيخ ثناء الله الأمرتسري» وجهوده الدعوية/ محمد مرتضى بن عائش محمد. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٧هـ، ص ١١٩ (رسالة ماجستير).

(٢) لعلها: «السماوية».

(٣) سورة الصف، الآية ٦. من كتاب: يا أبناء الإسلام دينكم دين الحق/ عبد المجيد الزنداني. ـ القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤١٣هـ، ص ٥٥.

[١٨٩]

مسلمون.. يعتنقون الكاثوليكية !

زعم تقرير صحفي فرنسي أن هناك موجة من «الازدهار» لاعتناق المسلمين المسيحية في فرنسا خلال السنوات الماضية.

وادَّعى التقرير الذي نشرته صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية في عدد نهاية الأسبوع (السبت، الأحد) ٤ ــ ٥ آذار (مارس) ٢٠٠٠ م أن المئات من المسلمين يدخلون في الديانة الكاثوليكية كل عام.

وأشار التقرير الموسع الذي نشر تحت عنوان «من الرسول إلى المسيح» إلى أن (٥٠٠) مسلم في الأراضي الفرنسية ينخرطون في الكنيسة الكاثوليكية سنوياً.

وذكر ــ استناداً إلى أوساط كنسية وثيقة الاطلاع ــ أن معظم المسلمين الداخلين إلى الكاثوليكية في فرنسا هم من المغرب العربي وإفريقيا وجنوب الصحراء وتركيا والشرق الأوسط والمحيط الهندي وآسيا[١].

[١٩٠]

الفرق بين الأناجيل والعهد الجديد

يذهب كتَّاب النصارى إلى أن الإنجيل يُطلق ويراد به كل سفر يتضمن أعمال المسيح وتعاليمه أو ترجمة حياته، كما في بشائر أناجيل متَّى ومرقس ولوقا ويوحنا.

وإذا ضُمَّ إليها سفر أعمال الرسل ورسائل بولس الأربع عشرة ورسالة

---

(١) مجلة الإصلاح (الإمارات) ع ٤٢٥ (٢٦/ ١٢/ ١٤٢٠هـ) ص ٣٥.

يعقوب ثم رسالتان لبطرس الرسول ورسائل يوحنّا الثلاث، وأخيراً سفر يسمُّونه بالسفر النبوي هو رؤيا يوحنّا اللاهوتي، إذا ضُمّت هذه الرسائل إلى الأناجيل المذكورة يطلقون على الجميع اسم «العهد الجديد».

وذلك في مقابلة ما يطلق عليه اليهود اسم «العهد القديم» ويعنون به أسفار التوراة الخمسة وسائر كتب أنبياء بني إسرائيل[1].

[١٩١]
الإله لا يُخرج فضلات الطعام !

زار العلامة أحمد ديدات أستراليا، وقابل بعض السكان الأصليين للقارة الذين يعيشون حتى اليوم في قبائل بدائية في أماكن منعزلة من القارة الأسترالية، ووجد لديهم مقياساً عجيباً ومدهشاً لاختبار فكرة الألوهية، هذا المقياس هو أن «الله لا ينبغي له أن يُخرج فضلات طعام»، أي أن «الله يجب أن يكون آتناتو» في لغتهم ATNATO.

ولو قلت لهم: «عيسى إلّه» فإنهم يسألون: هل يُخرج فضلات الطعام؟ ولو قلت لهم: نعم إنه يخرج فضلات الطعام، فإنهم يقولون لك: لا، إن عيسى هذا لا يصلح أن يكون لنا إلّهاً، لأنه كما نقول: كان يخرج فضلات الطعام.

وأعجبت هذه الفكرة العلاّمة أحمد ديدات، وأعجبه هذا المقياس للألوهية[2] عند إحدى القبائل البدائية للسكان الأصليين بقارة أستراليا،

---

(١) «تحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها»/ محمد أبو الغيط الفرت. ـ الرياض: جامعة الإمام، المقدمة.

(٢) قلت: هو أحد المقاييس وليس كلها.. تحرزاً عما يقع لبدائيين من عبادة أصنام وما إليها.

وضمَّن هذه الفكرة واحداً من كتبه الصغيرة الحجم بعنوان: «ما اسمه جلَّ جلاله»[1]؟

[١٩٢]
يهـود الهنـد

في الهند ما يقرب من ١٥ ألف يهودي.

وقد عمدوا إلى تقليد الهنادكة في التنظيم الطبقي، فوضعوا لأنفسهم ثلاث طبقات: اليهود البيض، واليهود السمر، واليهود السود.

وقد ظلَّ هذا النظام معمولاً به عندهم حتى عهد قريب، ولم يحصل تزاوج بين الألوان الثلاثة إلاَّ بضغط الحاجة والضرورة الماسة.

والمعتقد أن اليهود الأوائل قدموا إلى ساحل ملابار من دولة كيرالا سنة ٩٧٣ق. م...

وينخرط يهود الهند في ثلاث جماعات أو منظمات هي: المجلس اليهودي في بمبي، والجمعية اليهودية في كلكتا، وجمعية يهود جنوب الهند. لكل واحدة من هذه الجماعات كُنُسها الخاصة، ومدارسها ومؤسساتها الخيرية. وهاجر كثير منهم إلى الكيان الصهيوني..[2]

---

(١) «مناظرة العصر بين العلاَّمة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروش بقاعة ألبرت بلندن»؛ نقله إلى العربية علي الجوهري.. القاهرة: دار الفضيلة، ١٤١٢هـ، ص ١٧.

(٢) الحلف الدنس: التعاون الهندي الإسرائيلي ضد العالم الإسلامي/ محمد حامد؛ ترجمه م ـ أ. صفا. إسلام آباد: مجلس شؤون المسلمين في العالم، ١٤٠٠هـ، ص ١٦٧.

[١٩٣]

هندوك

في رحلة إلى جزيرة «بالي» المسمَّاة عند الغربيين بـ «جزيرة الأحلام»، التابعة لأندونيسيا، يذكر الرحالة المسلم محمد بن ناصر العبودي أنَّ الذي يعيبها عندنا هو أنَّ أكثرية السكَّان فيها من الهندوكيين، على اختلاف مذاهبهم في تلك الديانات، وكثرة الفروق ما بينهم فيها، حتى إنَّ بعضهم يكفِّر بعضاً.

ومن أقرب ذلك وأظهره أن (راون) الذي يزعم أهل جنوب الهند أنه إلَههم، أو كبير آلهتهم، يزعمه أهل وسط الهند فضلاً عن شمالها شيطاناً من الشياطين، لكونه آذى إلَههم أو كبير آلهتهم (رام)، فاختطف زوجته الجميلة (سيتا)، وهرب بها إلى جزيرة (لنكا) التي هي سيلان، المسمَّاة الآن (سريلنكا)، ولم تُعِدْها إليه إلاَّ شهامة القرد (هانومان) الذي أخذ بذنبه ناراً واجتاز البرزخ البحري الذي يفصل بين الهند وسريلنكا فأحرق الجزيرة بتلك النار التي معه، وأعاد (سيتا) إلى زوجها (رام).

قال: ولذلك رأيت بنفسي أهل مدينة (أندور) في ولاية (مدهي برديش) ــ بمعنى الولاية الوسطى لكونها واقعة في وسط الهند ــ، يقيمون لـ (راون) تماثيل من أعوادٍ وخشب، ويلبسونها الخيش، ثم يحرقونها بين صراخهم وزعيقهم، يزعمون بذلك أنهم يحرقون (راون) خصم إلَههم (رام) وغريمه.

ولذلك عبدوا القرد (هانومان)، وشيدوا له معابد متعددة ظاهرة في أنحاء الهند الوسطى والشمالية، وخصصوا يوماً في السنة يسمُّونه: عيد هانومان، أو (هانومان داي)، تعطل فيه المدارس والشركات والمؤسسات أعمالها.

قال: وقد صادف أن كنت في مدينة (لكنهو) عاصمة ولاية (أترا برديش) بمعنى الولاية الشمالية، وهي أكثر الولايات الهندية سكاناً، إذ يبلغ عددهم الآن (١٣٩) مليوناً.

فحلَّ عيد هانومان وأنا فيها، فرأيت كيف يتجمعون حول معبد القرد الذي تتصدره صورة ضخمة له، وشاهدت كيف يتعبدون له، ويتقرَّبون إليه بأن يزحف الواحد منهم على صدره فوق رصيف الشارع حتى يصل إلى المعبد، وكلما بعد موضع ابتداء زحف المرء منهم إليه عظم أجره من هانومان، لأنه صار مقرباً إليه أكثر!!!

والحمد لله على نعمة العقل والدِّين[١].

* * *

(١) «بالي جزيرة الأحلام»/ محمد بن ناصر العبودي. ـ مكة المكرمة: المؤلف، ١٤٢١هـ، ص ١٥ ـ ١٧.

[١٩٤]
أفـضــل ..

أفضل العبادات بعد الإيمان:

الصلاة.

وأفضل الأذكار بعد القرآن:

«لا إلـه إلاَّ الله».

ومعناها: لا معبودَ بحقٍّ في الوجودِ إلاَّ الله.

وأفضل الثناء على الله تعالى:

«سبحانك لا نُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك».

وأفضل المحامد:

«الحمدُ لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده».

وأفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ:

«اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمَّد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنّك حميد مجيد»[١].

---

(١) «المقاصد النووية»/ بعناية بسام عبد الوهاب الجابي. ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٣هـ، ص ١٩.

[١٩٥]

فائدة الاستعاذة

حُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سَّول لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده.

قال: إنَّ هذا يطول. أرأيت لو مررت بغنمٍ فنبحك كلبها ومنعك من العبور، ماذا تصنع؟ قال: أكابده وأردُّه جهدي.

قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك.

فهذه فائدة الاستعاذة ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) [سورة الأعراف، الآية ٢٠٠].

[١٩٦]

من دعاء الصالحين

ـ كان مطرِّف يقول:

اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من شرِّ السلطان، ومن شرِّ ما تجري به أقلامهم، وأعوذ بك أن أقول قولاً حقاً فيه رضاك ألتمسُ به أحداً سواك، وأعوذُ بك أن أتزيَّن للناس بشيءٍ يَشينني، وأعوذ بك أن أكون عبرةً لأحدٍ من خلقك، وأعوذ بك أن يكون أحدٌ من خلقك أسعد بما علمتني منِّي، وأعوذ بك أن أستغيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرٍّ يصيبني.

---

(١) صفوة التفاسير ١/ ٤٩٠.

ـ ومن دعاء عمرو بن عبيد:

اللَّهُمَّ أغنني بالافتقار إليك، ولا تُغنني بالاستغناء عنك.

ـ ومن دعاء بعض الصالحين:

اللَّهُمَّ اقطع حوائجي من الدنيا بالشوق إلى لقائك، واجعل قرَّة عيني في عبادتك، وارزقني غمَّ خوفِ الوعيد، وشوق رجاءِ الموعود، اللَّهُمَّ إنك تعلم ما يُصلحني في دنياي وآخرتي، فكن بي حفيًّا[١].

[١٩٧]

عقب الصلاة.. وعندما تعصف الريح

ـ كان سعدٌ يعلِّم بنيهِ هؤلاء الكلماتِ كما يعلِّمُ الغِلْمانَ الكتابة، ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذُ منهنَّ دُبُرَ الصلاة:

«اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من الجُبْنِ، وأعوذُ بكَ أن أُرَدَّ إلى أرذلِ العمر، وأعوذُ بك من فتنةِ الدنيا، وأعوذُ بكَ من عذابِ القبر»[٢].

ـ كان النبيُّ ﷺ إذا عصفتِ الرِّيح قال:

«اللَّهُمَّ إني أسألكَ خيرَها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرسلتْ به، وأعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أرسلت به»[٣].

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوَّذ من الجبن ٣/ ٢٠٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم (٨٩٩).

[١٩٨]

أدعية في ثلاث مناسبات

ـ ماذا تقول إذا رأيت ما يسرُّك أو ما يسوؤك؟

تقول عائشة رضي الله عنها:

كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحبُّ قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات**»، وإذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كلِّ حال**»(١).

ـ وماذا تقول عندما يقع ما لا تختار؟

يقول رسول الله ﷺ: «... **وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ الله، وما شاء فعل**»(٢).

ـ وماذا تقول عند الاستنصار؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان النبي ﷺ يدعو يقول: «**ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانْصُرْني ولا تَنْصُرْ عليَّ، وامكُرْ لي ولا تَمْكُرْ عليَّ، واهْدِني ويسِّر الهدى إلَيّ، وانصرني على مَنْ بغى عليَّ**»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين (٣٨٠٣)، وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، الحديث الأخير رقم (٣٤) من الكتاب.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ (٣٥٥١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[١٩٩]

أدعية «جديدة»

قد يوفقك الله فتدعو بهذه الدعوات المباركات:

ـ اللَّهُمَّ اجعل صحتي وراحتي قوة لي على طاعتك وتقواك.

ـ اللَّهُمَّ يسّر لي أعمالاً جليلة أخدم بها كتابك ودينك.

ـ اللَّهُمَّ اجعل لي شأناً يُرضيك.

ـ اللَّهُمَّ فرّحني بفضلك وبرحمتك.

ـ اللَّهُمَّ إني أسألك هدايتك، وتوفيقك، ورحمتك، وفضلك، وعفوك، ومعافاتك، ومغفرتك.

ـ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الغيبة والنميمة والغرور والكبرياء والحسد والبغض والحقد والكذب والرياء وكل ما لا يليق بأخلاق المؤمن.

ـ اللَّهُمَّ انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللَّهُمَّ اكفهم وآوهم، واحفظ نساءهم وأطفالهم، واهزم عدوك وعدوهم بجند من عندك لا يعلمهم إلاَّ أنت، واكتب لنا المشاركة في الجهاد بما تيسّره لنا.

ـ اللَّهُمَّ كفّ عنّا شرّ المنصّرين، واجعل تدبيرهم تدميراً عليهم.

ـ اللَّهُمَّ إني أسألك رحمتك وبركاتك علي وعلى أهل بيتي يا حميد يا مجيد.

[٢٠٠]
أدعية قصيرة

ومما قرأته من دعاءٍ بعضهم:

ـ اللَّهُمَّ إني أسألك خَيْرَ ما تُسأل، فأعطني أفضل ما تعطي.

ـ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الذلِّ إلاَّ لك، ومن الفقر إلا إليك.

ـ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من ذُلِّ الفقرِ وبَطَرِ الغنى.

ـ اللَّهُمَّ إني أشهدُ لك بما شهدت به على نفسك.

[٢٠١]
استجاب الله دعاءه

قال جعفر بن عبد الله المصري (من الإسكندرية): تزوجتُ، فدخلَ عليَّ أبو محمد التونسي الفقيه أستاذي يهنئني، وحمل إليَّ ديناراً، وقال عند قيامه:

رزقك اللهُ تعالى وُدَّها، وأطعمكَ كدَّها، وأبقاك بعدها.

فاستجاب اللهُ دعاءه، ورزقتُ ودَّها، وطعمتُ كدَّها، وبقيتُ بعدها[1]!

* * *

(١) معجم السفر رقم ١٢٢٧.

[٢٠٢]
حوار بين الفقه وأصوله

قال الشيخ ابن محلي الموصلي في «طوالع النجوم في مفاخرة العلوم»، الذي ضمَّنه المفاضلة بين ثلاثة وسبعين علماً من العلوم:

إنها لما تفاوضت بلسان الحال وتخاطبت، وتحاورت في دعوى الشرف وتجاوبت، **قال «علم الفقه»**:

بـي تتميز معالم الأحكام، ويتبيَّن الواجب من المندوب، والمباح والمكروه والحرام، ويتعرَّف ما يتقرَّب به إلى الله تعالى من العبادات، وسائر أنواع التكاليف الشرعية العلمية، مما تدعو إليه الضرورات، وتجري به العادات.

فأنا إمام العلوم الذي بـي يقتدى، وعميدها الذي عليه يعتمد، ونجمها الذي به يهتدى، فلولا إرشادي لضلَّ سعي المكلفين، ولمشوا في دجناء مدلهمة، وأصبحوا عن ركائب الخير مخلفين.

فقال «علم أصول الفقه»:

إن مقامك لعال، وإن جيدك لحال، غير أني أنا المتكفل بتقرير أصولك، وتوجيه المسائل الواقعة في خلال أبوابك وفصولك.

بـي تُعرف مطالب الأحكام الشرعية العملية وطرق استنباطها، وموادُّ حججها واستخراجها بدقيق النظر وتحقيق مناطها.

فبأصولي فروعك مقرَّرة، وبمحاسن استدلالي حججك منقحة محررة، قد مهدتُ طرقي حتى زال عنها الإلباس، وبنيت على أعظم الأصول فروعك، فأسندتها للكتاب والسنة والإجماع والقياس[1].

[٢٠٣]

.. بالتساوي !

أبو نصر محمد بن محمد بن سلاَّم البلخي من علماء المذهب الحنفي، وكان من أقران أبي حفص الكبير. ت ٣٠٥هـ.

روى عن يحيى بن نصير البلخي: قلت لأحمد بن حنبل: ما الذي نقمتم على هذا الرجل؟ يعني أبا حنيفة.

قال: الرأي.

قال: فقلت له: هذا مالك بن أنس، ألم يتكلم بالرأي؟

قال: نعم، ولكنَّ رأي أبي حنيفة خُلِّدَ في الكتب.

فقلت: قد خُلِّدَ رأي مالكٍ في الكتب.

قال: أبو حنيفة أكثرُ رأياً منه.

فقلت له: فهلاَّ تكلمتم في هذا بحصَّته، وفي هذا بحصَّته.

قال: فسكت[2].

---

(١) «مجموع متون أصولية»، لأشهر مشاهير علماء المذاهب الأربعة. ـ دمشق: المكتبة الهاشمية، د. ت، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣/ ٣٢٦.

[٢٠٤]
فقه التبرير

فقه التبرير وفقه الموازنات: كلمات محدثة لم يعرف لها أصل في تاريخنا الأغر، ولا في فقهنا الإسلامي الشامخ.

وقد صدر مثل هذه الكلمات عن كثيرين من المعاصرين، منهم من حسنت مقاصدهم، ومنهم من ساءت مقاصدهم، و «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى». فمن حسنت نياته أراد بها معنى صحيحاً، ومن ساءت نيته أراد بها الانحراف عن جادَّة الصواب.

فمن أحسنوا النية قالوا: المراد بها المعادلة بين المصالح والمفاسد في الأحكام، فما غلبت فيه المصلحة أدخلناه في المأذون به، وما غلبت فيه المفسدة أدخلناه في الممنوع منه، كالخمرة غلبت مفاسدها على منافعها فدخلت في الممنوع...

وما غلبت المصلحة فيه أدخلناه في المأذون به، كالطعام الحلال والشراب الحلال والزينة الحلال.. فوق الحدّ الضروري للحياة، على ما في ذلك من إنفاق للمال وإهدار له، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ولا بد من الانتباه هنا أن ما ورد فيه النص من الشارع يوقف فيه عند النص دون موازنة، وما لم يرد فيه النص فهو الذي تجري فيه الموازنة.

ومن أساؤوا النية قالوا: الموازنة تعني أن نُعمل عقولنا ونحكِّم

مصالحنا دون نظر إلى النصوص، وإن كانت نصوص القرآن؛ لأن المصلحة هي أمارة الشرع، ولأن النصوص أنزلت في زمن قديم تغيَّرت بعده مصالح الناس، والناس أعرف بمصالحهم!

وبذلك نسفوا أسس الإسلام باسم تحقيق المصالح ودفع المفاسد.

فيقولون بإلغاء الحجاب للمرأة المسلمة، لأنَّ المصلحة منه كانت حمايتها من الاعتداء عليها والآن في زمن (الديمقراطية) لم تعد بحاجة إلى حماية! أو ربما ألغوا وجوب الصَّلاة في حقِّ مَن ادَّعوا أنَّ سلوكهم صالح ومستقيم...

وإنّا لله وإنا إليه راجعون[1].

[٢٠٥]
الفروق الفقهية وكتب الفروق

تعتبر «الفروق الفقهية» من الفنون التابعة للأشباه والنظائر، وتمثل ضرباً من ضروب القواعد الفقهية التي كان السلف يدركون أهميتها منذ صدر الإسلام.

فمما جاء في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله عنهما في القضاء، قوله:

اعرف الأمثال والأشباه، ثم قِس الأمور عندك، فاعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى.

(١) بحوث وفتاوى فقهية معاصرة/ أحمد الحجي الكردي، ص ٤٤٥.

ولاحظ الإمام السيوطي أن هذه النصيحة صريحة في الأمر بتتبع النظائر وحفظها ليقاس عليها ما ليس بمنقول، وأن فيها إشارة إلى أن من النظائر ما يخالف نظائره في الحكم لمدرك خاص به، وهو الفن المسمى بالفروق، الذي يذكر فيه الفروق بين النظائر المتحدة تصويراً ومعنى، المختلفة حكماً وعلة.

وفكرة التفريق بين المعاني لم تنحصر في مجال الفقه الإسلامي، بل ظهرت في سائر العلوم، للتمييز بين الفصل ومزيد البيان.

ففي اللغة ألف أبو هلال العسكري كتاباً شهيراً في الفروق لما أدرك ضرورة إبراز الفروق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها.

وألَّف أبو العباس أحمد بن محمد السرخسي كتاب الفرق بين النحو والمنطق.

وفي العقائد ألَّف الباقلاني كتاب تصرف العباد والفرق بين الخلق والاكتساب.

وفي الطب ألَّف أحمد بن إبراهيم الجزار كتاب الفرق بين العلل التي تشتبه أسبابها وتختلف أغراضها.

وفي أصول الفقه ألَّف البلقيني رسالة في الفرق بين الحكم بالصحة والحكم بالموجب..[1].

---

(١) من مقدمة كتاب: الفروق الفقهية/ مسلم بن علي الدمشقي. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٣هـ.

[٢٠٦]

الفرق بين الهبة والهدية والعطية والصدقة

من أئمة المذهب من يسوِّي بين الهدية والهبة والصدقة والعطية، ومنهم من يفرِّق بينها، على النحو التالي:

ــ يطلق الحنفية والمالكية الهبة على الهدية دون الصدقة، فيُلاحَظُ في الهبة خاطر الموهوب له، وفي الصدقة وجه الله تعالى.

ــ ويرى الشافعية أن الهبة لفظ عام يطلق على الهدية والصدقة والعطية إذا قُصد بها إكرام الموهوب وثواب الآخرة.

وللهبة معنى خاص ــ يقال له الهبة ذات الأركان ــ إذا لم يُقصد بها الثواب أو الإكرام، فيشترط فيها الإيجاب والقبول، دون المعنى الأول.

ــ وعند الحنابلة أن الهدية والهبة والصدقة والعطية بمعنى واحد، فكلها تمليك في الحياة بلا عوض، إلاَّ أنها تختلف بالنية، فإن قصد ثواب الآخرة فقط كانت صدقة، وإن قصد التودد والمكافأة كانت هدية، وإن لم يقصد بها شيئاً كانت هبة وعطية.

قال في المجموع: والهبة والعطية والصدقة معانيها متقاربة، وكلها تمليك في الحياة بغير عوض. واسم العطية شامل لجميعها. وكذلك الهبة والصدقة والهدية متغايرة.

وكان النبي ﷺ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة.

قال باحث معاصر: والمتأمل لهذه الأقوال لا يجد بينها خلافاً في الظاهر، فمدار الأمر فيها على النية. ولكن الصدقة تعطى للمحتاج، ويبتغي بها وجه الله تعالى، والهدية تعطى للفقير والغني ــ ويُقصد بها التحبب والمكافأة عليها، وقد يقصد بها وجه الله أيضاً، فيجتمع فيها الأمران.

أما الهبة والعطية فلم أجد بينهما تفرقة، وقد يقصد بها إكرام الموهوب أو المعطى له فقط لمزية أو لسبب من الأسباب. وقد يصحب هذا المعنى أيضاً الثواب الأخروي وقد لا يصبحه[1].

[٢٠٧]
«السقوط» عند الفقهاء

يستخدم الفقهاء كلمة «السقوط» في معان متعددة:

(أ) بمعنى رفع التكليف عن المكلف، مثل سقوط التكليف عن المجنون، وسقوط التكليف بالصلاة عن الحائض.

(ب) وبمعنى إنهاء المطالبة بالحق، وهو أن الشخص يكون مطالباً بالحق، ولسبب من الأسباب تنتهي هذه المطالبة، مثال ذلك سقوط القسامة عن أهل المحلة إذ ادُّعي على واحد منهم من غيرهم.

(ج) بمعنى عدم الوجوب، أي عدم المطالبة بالحكم أصلاً، مثاله سقوط الزكاة عن الإبل غير السائمة.

(د) بمعنى زوال الاستحقاق، أي أن الشخص كان مستحقاً للشيء، ولسبب من الأسباب سقط هذا الاستحقاق، مثاله: سقوط حضانة الأم لابنها لسفرها أو زواجها[2].

---

(١) «الهدية بين الحلال والحرام»/ أحمد بن أحمد الطويل. ــ ط ٢. ــ الرياض: دار المسلم، ١٤١٩هـ، ص ١١ ــ ١٣.

(٢) «نظرية السقوط في الفقه الإسلامي»/ فوزية بنت حسن الجماز. ــ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ، ص ١٦ ــ ١٧ (رسالة ماجستير).

[٢٠٨]
أنواع الخرس

ذكر باحث حديث في رسالته العلمية «أحكام الأخرس في الفقه الإسلامي»[١] أنه من خلال تطرق الفقهاء ــ رحمهم الله ــ لأحكام الأخرس، تبين له أن الأخرس عندهم ثلاثة أنواع:

النَّوع الأوَّل: أخرس يكتب وله إشارة مفهومة، فهذا النوع هو أفضل أنواع الخرسىٰ، ويعمل بكتابته وإشارته المفهومة، على حد سواء، وتقوم كتابته أو إشارته مقام نطقه المفقود.

النَّوع الثَّاني: أخرس لا يكتب وله إشارة مفهومة، فهذا يعمل بإشارته المفهومة، وتقوم إشارته مقام نطقه الذاهب.

النَّوع الثَّالث: أخرس لا يكتب وليست له إشارة مفهومة، فهذا النوع لا يصح شيء من تصرُّفاته، وذلك لبعد الوقوف على ما يريده.

* * *

(١) إعداد صالح بن علي العقل. ــ الرياض: جامعة الإمام، كلية الشريعة، قسم الفقه، ١٤٠٥هـ (رسالة ماجستير) ص ٢٦.

قلت: ليس هذا على إطلاقه، فقد أورد الباحث ــ مثلاً ــ مسألة إقراره بالزنا إشارة، واختلاف الفقهاء إقامة الحد عليه، فقد تكون هناك شبهة تسقط عنه الحد، ولا يعرفها، ولا يتمكن من النطق بها.

[٢٠٩]
تغطية الرأس عند قضاء الحاجة

استحب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة تغطية الرأس عند قضاء الحاجة.

ودليل الاستحباب: ما رواه البيهقي عن حبيب بن صالح قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء لبس حذاءه وغطى رأسه».

إسناده ضعيف مع إرساله.

وعن عروة بن الزبير عن أبيه:

أنَّ أبا بكر الصدِّيق قال وهو يخطب الناس:

«يا معشر المسلمين، استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطٍّ رأسي استحياء من ربي».

رواه أبو بكر بن أبي بكر بن أبي شيبة في المصنف ١/ ١٠٠ ورجاله ثقات.

وقال البيهقي في السنن الكبرى ١/ ٩٦: وروي عن أبي بكر، وهو عنه صحيح[١].

---

(١) أحكام الطهارة: آداب الخلاء/ دبيان بن محمد الدبيان ص ١٠٧ ــ ١٠٩.

[٢١٠]

حكم بول وروث السمك

* الأصح عند الشافعية نجاسة بول وروث السمك قياساً على غيرها.

وبذلك قطع العراقيون وجماعات من الخراسانيين.

ولأنَّ النبي ﷺ أُتي بحجرين وروثة، فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال: «هذا رِكْس»(١).

* وذهب الحنابلة إلى طهارة بول وروث السمك.

وهو قول المالكية أيضاً.

لأن الحيوان البحري لا ينجس بموته.

وخلاف عند الحنفية(٢).

[٢١١]

النهي عن الإيطان

الإيطان هو أن يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد لا يصلي إلاَّ فيه، كالبعير لا يأوي من عطنه إلاَّ إلى مبرك رمث قد أوطنه.

والإيطان مكروه عند عامة أهل العلم(٣)، وذلك لنهيه ﷺ عنه، كما في

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) إسعاف أهل العصر بأحكام البحر (أحكام العبادات)/ عبد الله بن ياسين الحوالي، ص ١٢١.

(٣) انظر شرح فتح القدير لابن الهمام ١/ ٤٢٢، الفروع لابن مفلح ١/ ٢٦٨، مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/ ١٩٥ وغيرها.

حديث عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ **«نهى عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطن المكان كإيطان البعير»**. وفي بعض ألفاظه: **«وأن يواطن الرجل بالمكان في المسجد كإيطان البعير»**[1]. ولما في لزوم مكان بعينه من آثار غير محمودة في الجانب النفسي وغيره.

قال ابن الهمام في تعليل الكراهة: لأن العبادة تصير له طبعاً فيه وتثقل في غيره، والعبادة إذا صارت طبعاً فسبيلها الترك، ولذا كره صوم الأبد.

وقال ابن حجر: وحكمته أن ذلك يؤدي إلى الشهرة والرياء والسمعة والتقيد بالعادات، والحظوظ والشهوات، وكل هذه آفات أيُّ آفات، فتعيَّن البعد عما أدى إليها ما أمكن.

وقد ذكر بعض الفقهاء احتمال عدم الكراهية بالنسبة للأماكن الفاضلة، وأيده بأن سلمة رضي الله عنه كان يتحرى الصلاة عند الأسطوانة التي عندها المصحف، وقال: **رأيت النبي ﷺ يتحرَّى الصلاة عندها**[2]، وهذا صحيح.

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: وفي هذا أنه لا بأس بإدامة الصلاة في موضع واحد إذا كان فيه فضل. وأما النهي عن إيطان الرجل موضعاً من المسجد يلازمه فهو فيما لا فضل فيه ولا حاجة إليه[3].

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك وقال: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. [قلت: وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي ١/ ٣٦٠].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب دنو المصلي من السترة رقم ٥٠٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٢٢٦.

ينظر هذا في: التشبيه المنهي عنه في الفقه الإسلامي/ جميل بن حبيب اللويحق. ـ جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤١٩هـ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٤.

[٢١٢]
المرور بين يدي المصلي داخل المسجد الحرام

في بحث طويل أصدره في كتاب قال فقيه معاصر في خاتمته:

١ ـ يجوز في حال الضرورة المرور بين يدي المصلي مطلقاً.

أما في حال الحاجة فالصحيح أنه إن كانت الحاجة ملحة جاز المرور بين يدي المصلي، وإن كانت غير ملحة حرم المرور حينئذ.

٢ ـ الصحيح جواز المرور بين أيدي المأمومين [يعني أثناء أداء الصلاة جماعة] داخل المسجد الحرام في جميع الأحوال.

٣ ـ الصحيح تحريم المرور بين يدي الإمام والمنفرد داخل المسجد الحرام في غير حال الضرورة أو الحاجة(١).

[٢١٣]
الصلاة داخل الكعبة

كتاب لطيف صدر بعنوان «حكم الصلاة داخل الكعبة المشرفة»(٢) توصل فيه المؤلف إلى ما يلي:

ـ أن الصحيح جواز صلاة الفريضة في جوف الكعبة.

ـ جواز صلاة النافلة أيضاً داخل الكعبة، وأن القول بعدم صحتها فيها قول ضعيف جدّاً لمخالفته السنة الثابتة عن النبي ﷺ.

---

(١) «حكم المرور بين يدي المصلي داخل المسجد الحرام»/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين. ـ مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤١٨هـ.

(٢) تأليف عبد الله بن عبد العزيز الجبرين. ـ مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤١٨هـ، ٧٩ ص.

والقول بصحة الفريضة هو رأي الشافعية والحنفية وبعض المالكية وبعض الظاهرية، ورواية عن أحمد.

وبصحة النافلة قول جمهور أهل العلم.

[٢١٤]
حكم استقبال القِبلة للملاّح

استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة، ولا تصح الصلاة إلاَّ به.

لكن بالنسبة لملاح السفينة قد يدخل وقت الصلاة وهو قابض بكفيه على دفة السفينة ليتحكم فيها من ريح أو موج شديد، وقد يخرج الوقت والحال كذلك، وفيه حالتان:

* أنه يستطيع التوقُّف دون مشقة، فهنا يلزمه شرط استقبال القبلة.

ويدخل في المشقة: فوات الرفقة إذا كانت عدة سفن تسير كقافلة واحدة.

* أنه لا يستطيع التوقُّف، وفيه صورتان:

(أ) أنه يجد من يوكله للقيام بالمهمة، كمساعده مثلاً، فهنا يلزمه ذلك التوكيل؛ ليؤدي شرط الاستقبال.

(ب) أنه لا يجد من يوكله، فهنا يصلي حسب حاله، ويسقط عنه من شروط الصلاة ومن أركانها ما لا يستطيع الإتيان به.

* وقد أسقط بعض العلماء شرط الاستقبال للملاح وذلك لحاجته لتسيير السفينة ولانفراده بتدبيرها...[١]

---

(١) «إسعاف أهل العصر بأحكام البحر: أحكام العبادات»/ عبد الله بن ياسين الحوالي، ص ١٨٢.

[٢١٥]
خطأ الاجتهاد في القبلة

إذا خفيت القبلة على المصلي وكان من أهل الاجتهاد، فاجتهد وصلى إلى الجهة التي أداه إليها اجتهاده، ثم طرأ الشكُّ في أثناء صلاته بخطأ اجتهاده، فإنه لا يلتفت إليه، ويتمُّ صلاتَهُ إلى الجهة التي أداه إليها اجتهاده. وهذا باتفاق العلماء. وذلك لأن الاجتهاد ظاهر فلا يزول عنه بالشك، ولأنه دخل باجتهاد ولم يتبيَّن خطأه.

وإذا طرأ عليه اليقين في أثناء صلاته بخطأ اجتهاده، فإن كان الانحراف يسيراً فإنه يبني باتفاق العلماء، وإن كان الانحراف كثيراً، كمن شرَّق أو غرَّب، فقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أنه يستدير إلى الجهة الصحيحة، ويبني على ما مضى من صلاته. وهذا قول الحنفية، والشافعي في القديم، ومذهب الحنابلة، وبه قال ابن حزم.

القول الثاني: أنه يستأنف الصلاة من جديد، ولا يدور فيها إلى القبلة. وهذا قول المالكية، والشافعي في الجديد[١].

[٢١٦]
الجمع في غير سفر ولا مطر

ورد أن النبي ﷺ جمع في غير سفر ولا مطر، فسئل في ذلك ابن عباس فقال: أراد ألاّ يحرج أمته. والحديث في صحيح مسلم.

---

(١) «أثر الطوارىء في الصلاة»/ فهد بن عبد الله السلمي. ــ الرياض: جامعة الإمام، كلية الشريعة، ١٤١٩هـ، ص ١١٨ ــ ١٢١.

فإذا كان هناك حرج في بعض الأحيان من صلاة كل فرض في وقته فيمكن الجمع، على ألاَّ يتخذ الإنسان ذلك ديدناً وعادة، كل يومين أو ثلاثة... وكلما أراد الخروج إلى مناسبة من المناسبات الكثيرة المتقاربة في الزمن. إنما جواز ذلك في حالات الندرة، وعلى قلة؛ لرفع الحرج والمشقة التي يواجهها الإنسان.

فمثلاً شرطي المرور إذا كانت نوبته قبل المغرب إلى ما بعد العشاء فله أن يجمع المغرب مع العشاء جمع تقديم أو تأخير، على حسب استطاعته.

أو طبيب يجري عملية لمريض، ولا يستطيع تركها، يمكنه في هذه الحالة أن يجمع جمع تقديم أو تأخير، وذلك مما شرع تيسيراً من الإسلام لأهله، ورفعاً للحرج عنهم[1].

[٢١٧]
تحريك الشفتين في الصلاة

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: هل يلزم تحريك الشفتين في الصلاة في الأذكار والقراءة، أم يكفي أن يقرأها بدون تحريك الشفتين؟

فأجاب: لا بدَّ من تحريك الشفتين في قراءة القرآن في الصلاة، وكذلك في قراءة الأذكار الواجبة، كالتكبير والتسميع والتحميد والتشهد. لأنه لا يسمى قولاً إلاَّ ما كان منطوقاً به، ولا نطق إلاَّ بتحريك الشفتين

---

(١) من فتوى للشيخ يوسف القرضاوي في كتابه: من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة. ــ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢١هـ، ١/ ٢٥١.

واللسان. ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يعلمون قراءة النبي ﷺ باضطراب لحيته، أي بتحركها.

لكن اختلف العلماء: هل يجب أن يُسمع نفسه، أو يكفي أن ينطق بالحروف؟

فمنهم من قال: لا بد أن يُسمع نفسه، أي لا بدَّ أن يكون له صوت يسمعه هو بنفسه، ومنهم من قال: يكفي إذا أظهر الحروف، وهذا هو الصحيح[1].

[٢١٨]
القراءة من المصحف في القيام

سئل الأستاذ عجيل النشحي ـ عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت ـ أن كثيراً من الأئمة يقرأون في صلاة القيام [يعني قيام الليل، التراويح] من المصحف، فما حكم ذلك:

فأجاب: تجوز القراءة من المصاحف في صلاة القيام عند الشافعية والحنابلة، ولعل هذا هو الراجح.

وقد سُئل الإمام الزهري عن رجل يقرأ في رمضان في المصحف فقال: كان خيارنا يقرأون في المصاحف.

والمالكية كرهوا ذلك، لأنه يشغل الإمام في تقليب الصفحات وغيره، ومفهوم مذهبهم أنه إن كانت القراءة بطريقة لا تشغله فلا بأس.

---

(١) لقاء الباب المفتوح/ لابن عثيمين، جـ ٢٠ ص ١٢ (ونقلته من: فتاوى تتعلق بجماعة المسجد، جمع وترتيب دخيل الله المطرفي. ـ الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢١هـ، ص ٣٤).

لكن الحنفية أبطلوا الصلاة إن قرأ من المصحف، لأنه في هذه الحال يتلقن وهو في الصلاة، ولذلك لو كان حافظاً وقرأ من المصحف فالصلاة صحيحة، لأنه اعتمد على حفظه، والقراءة من المصحف مضافة لحفظه لا إلى تلقنه وتعلمه[1].

[٢١٩]
حول قراءة القرآن في الركوع والسجود

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «نهاني النبيُّ ﷺ عن التختُّم بالذهب، وعن لباس القَسِّيِّ[2]، وعن القراءة في الركوع والسجود[3]، وعن لباسِ المُعَصْفَر»[4]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[5].

كما ورد في صحيح مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ما يفيد النهي عما ذُكر.

قال الإمام النووي: فيه النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وإنما وظيفة الركوع التسبيح، ووظيفة السجود التسبيح والدعاء، فلو قرأ في ركوع أو سجود غير الفاتحة كره ولم تبطل صلاته، وإن قرأ الفاتحة ففيه

---

(١) المجتمع ع ١٣٣٣ (١٨/٩/١٤١٩هـ) ص ٦١.
(٢) القسّي ثياب مضلّعة أو مخططة بالحرير، وكانت تأتي من بلد يقال لها «القسّي» بالقرب من دمياط على ساحل البحر الأبيض في مصر.
(٣) تعظيماً لكلام الله تعالى من أن يقرأ في وضع ذُلّ. كذا فسّره ابن تيمية على ما أذكر.
(٤) عصفر الثوب: صبغة بالعصفر، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر يُصبغ به الحرير ونحوه.
(٥) سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في كراهية خاتم الذهب ٤/ ٢٢٦ رقم ١٧٣٧.

وجهان لأصحابنا: أصحّهما: أنه كغير الفاتحة، فيكره ولا تبطل صلاته. والثاني: يحرم وتبطل صلاته، هذا إذا كان عمداً، فإن قرأ سهواً لم يُكره. وسواء قرأ عمداً أو سهواً يسجد للسهو عند الشافعي رحمه الله تعالى[1].

[٢٢٠]
الدعاء في السجود بأمور الدنيا

سئل الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي السعودية: هل يجوز الدعاء في السجود بأمور الدنيا؟

فأجاب: السُّنَّة أن يبدأ المصلي في سجوده بالأذكار الواردة عن النبي ﷺ؛ فيبدأ بقول: سبحان ربي الأعلى، يقولها عشر مرات، هذا هو الكمال، قال العلماء: وأدنى الكمال في ذلك تكرارها ثلاث مرات، والمُجزىء منها مرة واحدة.

ودليل هذا ما جاء عند الخمسة إلاَّ الترمذي، عن حذيفة رضي الله عنه في حديث صلاته مع النبي ﷺ: فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربِّي الأعلى...» الحديث. وفي حديث عقبة بن عامر قال: لما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى]، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم».

ودليل كون الكمال عشراً: ما رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي عن سعيد بن جبير، عن أنس قال: «ما صلَّيت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى ــ يعني عمر بن عبد العزيز ــ قال: فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات، وفي سجوده عشر تسبيحات».

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٩٦ ــ ١٩٧.

ثم إذا زاد العبد بعد ذلك دعاءً مأثوراً أو ذكراً يشرع في السجود فحسن، ومن ذلك قول: سبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائكةِ والروح.

ومثل أن يقول: سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، اللَّهُمَّ اغفر لي.

ومثل أن يقول العبد: اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي كله، دقَّه وجلَّه، وأوَّله وآخره وسرَّه وعلانيته.

ولا بأس أن يدعو العبد ربّه بما شاء من حوائجه؛ فإن الطلب من الله والتذلل له مقتضى الألوهية والتعبد لله عز وجل، وإجابة الداعي من مقتضى ربوبية الله سبحانه لجميع خلقه، ومتى استشعر العبد ذلك عظم في قلبه نور التوحيد والإيمان، وفزع إلى ربه في كل ما يهمه من أمور دينه ودنياه، ومن كانت هذه حالة فليستبشر وليؤمل خيراً.

والسجود موضع من المواضع التي يرجى فيها الإجابة، فإن النبي ﷺ يقول: «وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فقمِن أن يستجاب لكم»[1].

[٢٢١]
الضحك والتبسم في الصلاة

إذا ضحك المصلي في صلاته فإنها تبطل، وذلك باتفاق العلماء.

أما التبسُّم فقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أنه لا يُبطل الصلاة، وهذا قول الجمهور.

---

(١) جريدة العالم الإسلامي ع (١٧١٠) ٢٧/ ٥/ ١٤٢٢هـ، ص ١٢.

القول الثاني: أنه يبطل الصلاة، وهو قول المالكية فيما إذا كثر أو توسَّط، أما القليل فمكروه، وهو قول ابن سيرين وابن حزم.

وسبب الخلاف: هو تردُّدُ والتبسُّم بين أن يُلحق بالضحك أو لا يلحق[1].

[٢٢٢]
حكم من سقط خمارها في الصلاة

سئل الشيخ عبد الله بن جبرين: المرأة كانت تصلي ثم سقط خمارها الذي على رأسها (طرْحَتُها) فانكشف شعرها ثم أعادته، وكان هذا في الركعة الثانية، فما حكم صلاتها؟

فأجاب: إذا سقط خمار المرأة فتناولته بيدها ثم سترت به رأسها في الحال فإن ذلك يجزىء عنها ولا يلزمها استئناف الصلاة، ولا تبطل الصلاة لمثل هذا.

وكذا الرجلُ لو انكشف بعض عورته، كما لو رفعته الريح أو انحسر الإزار عن بعض عورته فستره في الحال ولم تطل المدة فلا بأس أن يبني على صلاته[2].

وذلك لأن هذا يحدث بغير اختيار المصلي ولم يفرِّط، ولأنه تلافىٰ هذا الانكشاف وستر العورَة في الحال، فاغتُفر ذلك[3].

---

(١) أثر الطوارىء في الصلاة، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥.

(٢) أي: يتمُّها.

(٣) أحكام تخص المسلمات في الصلاة ص ٧٦.

[٢٢٣]
قطع الصلاة إجابةً للوالدين

هل يجب على الولد طاعة والديه إذا طلبا منه تأخير الصلاة المكتوبة، أو الخروج منها؟

أجاب الإمام أحمد بأنه يؤخرها.

وبالنسبة للخروج من الصلاة المفروضة إذا دعياه: ذهب فقهاء الحنفية والشافعية إلى وجوب إجابة الوالدين، واشترط بعض الحنفية والشافعية ألاَّ يترتب على إجابتهما فوات الوقت. وقال ابن حجر: وإن كانت فرضاً وضاق الوقت لم تجب، وإن لم يضق وجب عند إمام الحرمين.

وقال المالكية: إذا كان المنادي له من أبويه ليس أعمى ولا أصم، أو كان يصلي الفرض: فليخفِّف ويسلم ويكلمه، إلاَّ إذا كان لإحياء نفس أو لإنقاذ مال من شديد أذى وهلاك فله القطع، سواء ضاق الوقت أو اتسع، وهذا الاستثناء عموماً للوالدين وغيرهما.

وذهب الحنابلة إلى عدم وجوب إجابة الوالدين في صلاة الفرض.

أما في صلاة النافلة فإن الوالدين إذا طلبا الولد لحاجة فإنه يجب عليه الخروج من الصلاة وإجابتهما، وإليه ذهب جمهور العلماء[١].

---

(١) أحكام الأبوين في الفقه الإسلامي/ محمد بن عبد الله الغدير. ـ الرياض، جامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية، ١٤١٩هـ، ص ١٣٦ ـ ١٣٩. (رسالة ماجستير).

ولخص ذلك باحث واستدلَّ له فقال:

إذا نادى أحد الوالدين ابنهما وهو في الصلاة، فإن كانت الصلاة فريضة فإنه يسبِّح، ويخفِّف الصلاة ثم يجيبه بعدما يسلِّم.

وإن كان في نافلة، فإن أمكنه المبادرة بالتسبيح ورفع صوته به وتخفيف ما هو فيه: فَعَلَه. وإن لم يمكنه ذلك ألبتة، فيتعارض حينئذ واجبان يُقَدَّمُ أوكدهما.

ولا شك أن إجابة الوالدين آكد؛ لوجوبه بالإجماع، وللخلاف في وجوب إتمام النافلة. ويدلُّ لذلك قصة جريج العابد لمَّا نادته أمه وهو في الصلاة، فقال: «اللَّهُمَّ أمي وصلاتي».

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٠٥: فيه أنه آثر الصلاة على إجابتها فدعَتْ عليه فاستجاب الله لها.

قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها؛ لأنه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرُّها واجب وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته[1].

[٢٢٤]
قطع الصلاة لجرس الباب أو الهاتف

* سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: إذا كنتُ أصلي ودقَّ جرس الباب ولا يوجد في البيت غيري فماذا أفعل؟

فأجاب: إذا كنت في صلاة نافلة فالأمر فيها واسع، لا مانع من قطعها ومعرفة من يطرق الباب. وأما في الفريضة فلا ينبغي التعجل إلاَّ إذا كان هناك

(١) أثر الطوارىء في الصلاة ص ٢٩٠ ــ ٢٩١.

شيء مهم يخشى فواته، وإذا أمكن التنبيه بالتسبيح من الرجل أو بالتصفيق من المرأة حتى يعلم الذي عند الباب أن الذي بداخل البيت مشغول بالصلاة كفى ذلك... فإذا كان لا ينفع للبُعد وعدم سماعه فلا بأس أن يقطعها للحاجة خاصة النافلة، وأما الفرض فإذا كان يخشى أن الطارق لشيء مهم فلا بأس أيضاً بالقطع، ثم يعيدها من أولها.

* كما سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية أنهم كانوا يصلون في البيت وأخذ منبه التليفون يرن وأشغلهم بالرنين مدة طويلة، فهل يجوز في مثل هذه الحالة أن يتقدَّم المصلِّي أو يتأخَّر ويرفع سماعة التليفون ويكبر أو يرفع صوته بالقراءة ليعلم صاحب التليفون أنه يصلي، قياساً على فتح الباب للطارق أو رفع الصوت له؟

فأجابت: ... جاز له أن يرفع السماعة، ولو تقدم قليلاً أو تأخر كذلك أو أخذ عن يمينه أو شماله، بشرط أن يكون مستقبل القبلة، وأن يقول «سبحان الله» تنبيهاً للمتكلم بالتليفون، لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حاملٌ أمامة بنت ابنته، فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها.

وفي رواية مسلم: وهو يؤم الناس في المسجد.

ولما روى أحمد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي في البيت والباب عليه مغلق، فجئت، فمشى حتى فتح لي، ثم رجع إلى مقامه. ووصفت أن الباب في القبلة.

وما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من نابَهُ شيء في صلاته فليسبِّح الرجال وليصفق النساء»[1].

---

(١) أحكام تخص المسلمات في الصلاة/ جمع وترتيب نبيل بن محمد محمود. ـ الرياض: دار القاسم، ١٤٢١هـ، ص ٢٥، ٥٦.

[٢٢٥]
الصلاة على الجنازة في المقبرة

الأولى في مكان الصلاة على الجنازة أن يكون في مصلى الجنائز، وتلك سنة النبي ﷺ وهديه وعادته.

ومصلى الجنائز هو المكان المعدُّ للصلاة عليها. وقد قيل إنه كان لاصقاً بمسجد النبي ﷺ من ناحية جهة المشرق.

وتجوز الصلاة على الجنازة أيضاً في المسجد، وفي كل مكان تجوز فيه الصلاة.

واختلف أهل العلم في حكم الصلاة على الجنازة في المقبرة، ولهم في ذلك قولان:

الأول: أن الصلاة في المقبرة مكروهة، وإليه ذهب جماعة من الحنفية والمالكية، وهو مذهب الشافعية، ورواية في مذهب الحنابلة.

الثاني: أن الصلاة على الجنازة في المقبرة جائزة، وهذا قول عند الحنفية والمالكية، وهذا المذهب عند الحنابلة، وإليه ذهب الظاهرية[١].

[٢٢٦]
لمن فاته بعض صلاة الجنازة

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: إذا فات الإنسان بعض صلاة الجنازة، فهل يقضيها؟ وما صفة قضائها؟

فأجاب رحمه الله: السنّة لمن فاته بعض تكبيرات صلاة الجنازة أن

(١) أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية، ٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨.

يقضي ذلك؛ لعموم قول النبي ﷺ: «إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتمُّوا».

وصفة القضاء أن يعتبر ما أدركه هو أول صلاته، وما يقضيه هو آخرها... فإذا أدرك الإمام في التكبيرة الثالثة كبَّر وقرأ الفاتحة، وإذا كبَّر الإمام الرابعة كبَّر بعده وصلى على النبي ﷺ، فإذا سلَّم الإمام كبَّر المأموم المسبوق ودعا للميت دعاء موجزاً، ثم يكبِّر الرابعة ويسلم[1].

[٢٢٧]
فتاوى.. في الاستخارة

ـ إذا احتاجت الحائض والنفساء إلى الاستخارة في أمر من الأمور المهمة فإنها تستقبل القبلة وترفع يديها وتدعو بدعاء الاستخارة. وتردد ذلك وتلح في الدعاء وتظهر صدق الرغبة وشدة الحاجة.. ويجوز لها أن توكل من أقاربها من يستخير لها الاستخارة المشروعة بعد الصلاة المندوب إليها.

ـ يستخار لأكثر من أمر في صلاة واحدة.

ـ ويجوز له إذا استخار ولم يجد في نفسه ترجحاً لأحد الأمرين أن يكرر الصلاة والدعاء.

ـ وله أن يصلي ركعتين ناوياً بهما صلاة الاستخارة وسنة الوضوء وتحية المسجد[2].

* * *

(١) المجلة العربية ع ٢٦٧ (ربيع الآخر ١٤٢٠هـ) ص ٢٢.

(٢) من: فتاوى في صلاة الاستخارة/ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين. ـ الرياض: دار إشبيليا، ١٤٢١هـ.

[٢٢٨]
صيام الصغار

الصيام عبادة وفريضة كالصلاة.

والواجب أن يدرب عليها الأولاد، ولكن من أي سن؟

ليس من الضروري لسبع! لأن الصيام أشق من الصلاة، إنما يرجع الأمر إلى طاقة الصبي.

فكلما رأى الوالد أو رأى ولي أمر الطفل أنه يطيق الصيام ولو أياماً معينة في كل شهر، فليدربه على ذلك.

يدرِّبه على الصيام سنة بعد سنة، سنة يصوم ثلاثة أيام، وأخرى يصوم أسبوعاً، والتي بعدها يصوم أسبوعين، والتي بعدها يصوم الشهر كله.

فإذا جاء وقت البلوغ ـ وهو وقت التكليف ـ كان قد زاول ومارس عملية الصيام، فلا تشق عليه.

فهذه هي التربية الإسلامية، أن يؤخذ الصبي من صغره، ومنذ نعومة أظفاره بآداب الإسلام وفرائضه حتى يتعود عليها[1].

---

(١) من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة/ يوسف القرضاوي ١/ ٣٤٦.

[٢٢٩]
الاكتحال والتوسعة على العيال في عاشوراء

لم يصح عن رسول الله ﷺ في يوم عاشوراء شيء غير الصوم.

أما التوسعة على العيال، ففيها حديث تكلموا فيه كثيراً: «من وسع على عياله في يوم عاشوراء، وسع الله عليه السنة كلها». رواه الطبراني والبيهقي وقال: أسانيده كلها معلولة. وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وحسَّنه العراقي، ورمز له السيوطي في «الجامع الصغير» بعلامة التصحيح، والسيوطي قد يتساهل في مثل هذه الأحاديث.

وأما الاكتحال فقد روى الحاكم فيه حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس: «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبداً»، وقال الحاكم: إنه منكر، وقال السخاوي: بل هو موضوع. وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات».

قال الحاكم: والاكتحال يوم عاشوراء لم يرد عن النبي ﷺ فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين رضي الله عنه.

ولا بد من معرفة الظروف التاريخية التي ولدت فيها هذه المرويات، فهي تلقي ضوءاً كاشفاً على هذه الأقاويل وقيمتها. فقد قتل الحسين رضي الله عنه في اليوم العاشر من المحرم، فجعل منه كثير من شيعته يوم حزن مستمر، بل جعلوا الشهر كله مأتماً وحداداً، وحرموا على أنفسهم كل مظاهر الفرح والزينة والاستمتاع بالحياة. وكان رد الفعل عند المتطرفين من خصوم الشيعة على هذا الغلو أن جعلوا الفرح والتزيُّن في هذا اليوم عبادة وقربة إلى الله، وعزَّزوا ذلك بآثار وأحاديث وضعوها. وكان الأجدر بالفريقين أن يقفوا عند حدود الله، ويتخلَّصوا من التعصُّب المصم المعمي

الذي فرَّقهم شيعاً وأحزاباً. . .[1].

[٢٣٠]
زكاة السمك

اختلف الفقهاء ـ رحمهم الله في زكاة السمك على قولين:

القول الأول: تجب الزكاة في السمك إذا بلغ نصاباً. وإلى هذا القول ذهب الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز، وهو رواية عن الإمام أحمد، وممن اختاره من المعاصرين يوسف القرضاوي.

القول الثاني: لا يجب في السمك شيء من الزكاة، وإلى هذا ذهب الحنفية، وهو مفهوم كلام المالكية، وبه قال الشافعية، وهو الصحيح عند الحنابلة[2].

[٢٣١]
الطواف عن الصبي وحامله معاً

إذا عجز الصبي عن الطواف بنفسه طيف به محمولاً، أو راكباً. فإذا كان حامله ممن عليه الطواف لنفسه فهل يصح طوافه عنه وعن الصبي إذا نواهما جميعاً؟

اختلف أهل العلم في ذلك.

---

(١) من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة/ يوسف القرضاوي ١/ ٤٢٤.
(٢) أحكام البحر في الفقه الإسلامي/ عبد الرحمن بن أحمد عسيري. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٩هـ، ص ١٢٠ (رسالة دكتوراه).

ـ القول الأول: أنه يقع عنهما، ذهب إليه الحنفية، والشافعية في قول، وهو احتمال في مذهب الحنابلة...

ـ الثاني: أنه يقع للحامل، ذهب إليه المالكية في المشهور، والشافعية في الأصح، والحنابلة في قول.

ـ الثالث: أنه يقع للمحمول، ذهب إليه المالكية والشافعية، والحنابلة في قول.

قال باحث معاصر: لعل الراجح هو القول الأول، لقوة ما بني عليه من استدلال، ولحديث «**إنما الأعمال بالنيات**» (رواه البخاري ومسلم)، وقد توافرت النية لكل منهما، وصدق على كل منهما أنه طاف بالبيت، ولأن الحامل ازداد كلفة ومشقة، ولأنه فعلٌ اشتهر ولم ينقل عنه ﷺ ولا أصحابه ولا أحد ممن يقتدى به من السلف أمره من مع الصبيان بإفراده بطواف يخصه، وتيسيراً على من تحمل مشقة الحج أو الاعتمار بهم[1].

[٢٣٢]
إعداد القبر قبل الدفن

صرح أكثر الفقهاء بجواز إعداد الكفن قبل الموت، واستدلوا على ذلك بالحديث الذي رواه سهل بن سعد الساعدي وأخرجه البخاري وغيره، وفيه أن امرأة نسجت بُردة بيديها وأهدتها للنبي ﷺ، ثم قام صحابي فطلبها من رسول الله ﷺ فأهداها إليه، فلما لامه الصحابة على هذا الفعل وأن النبي ﷺ لا يردُّ، قال: إني والله ما سألتها لألبسها، إنما سألتها لتكون كفني...

---

(١) مناسك الصبيان/ صالح بن عبد الله اللاحم. ـ بريدة: دار أصداء المجتمع، ١٤١٨هـ، ص ٩٣ ـ ٩٨ (باختصار).

وذكر فقهاء الحنابلة أنه لا بأس للإنسان بشراء موضع القبر قبل الموت، وللإنسان أن يوصي بدفنه فيه، واستدلوا على ذلك بفعل عثمان وعائشة رضي الله عنهما وعمر بن عبد العزيز رحمه الله.

واختلف أهل العلم في حكم حفر القبر قبل الموت، فمنهم من جوَّزه مطلقاً، ويشمل ذلك ما لو كان الحفر في ملكه أو في المقبرة المسبلة..

ومنهم من لم يجوِّزه، وذهب إلى هذا بعض المالكية، والشافعية.

وقول ثالث: أنه يكره أن يحفر قبراً لنفسه، لأن الحاجة إليه غير محققة، فهو لا يدري أين يموت.

وقول رابع: فصَّلوا وفرَّقوا...[1].

* * *

---

(١) أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية/ عبد الله بن عمر السحيباني. ـ الرياض: جامعة الإمام، كلية الشريعة، ١٤١٨ هـ، ص ١١ ـ ١٤ (رسالة ماجستير).

[٢٢٣]
ضابط القرعة في الفقه

اتفق العلماء على مشروعية الاحتجاج بالقرعة في كل أمر لا يترتب عليه إثبات حق، بحيث يجوز فعله بلا قرعة إذا حصل التراضي بين الطرفين، مثل القرعة لتعيين السهام في القسمة، والقرعة بين النساء عند إرادة السفر، والقرعة بين الخصوم لتعيين مستحق الابتداء بالخصومة. . . إلخ.

واختلفوا في حجية القرعة التي يترتب عليها حق على قولين.

ومذهب جمهور العلماء حجيتها واعتبارها طريقاً شرعيّاً لتمييز الحقوق وتعيينها عند اشتباهها.

ويكاد جمهور الفقهاء القائلين بحجية القرعة يتفقون في الجملة على ضابط يحدِّد مواضعها، ويتلخص في أمرين:

الأول: أنها تستعمل في تمييز المستحق إذا ثبت الحق ابتداء لغير معين، وإنما لفئة معينة، عند التساوي والتنازع.

الثاني: أنها تستعمل لتعيين الحق عند إبهامه أو اشتباهه والعجز عن الاطلاع عليه أو تعيينه بأي حجة شرعية غير القرعة[1].

---

(١) «القرعة ومجالات تطبيقها في الفقه الإسلامي»/ عبد الله بن موسى العمار. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤٠٧هـ. ـ (رسالة دكتوراه) ١/ ٥٨، ٦١، ١٢٩.

[٢٣٤]
الحلُّ في الإسلام...

في أحد شهور عام [١٤١١هـ] نشر التلفاز الهندي حديثاً لسيدة تشتغل محامية في المحكمة العليا. وكانت الأسئلة متنوعة، وخاصة الأسئلة الخاصة بالنساء. فتجيب عليها في ضوء القوانين الهندية، وتشرح هذه القـوانين وأوضاعها أيضاً.

ومن ضمن الأسئلة الكثيرة التي وجهت إليها سؤال ملخّصه: أنَّ الأب إذا سخط على أولاده بسبب، فوهب جميع ممتلكاتـه لمؤسسـة أو لشخص أجنبي، فإنه بهذا يحرم أولاده كليّاً من الميراث؟.

قالت السيدة المحامية: نعم، السؤال جدٌّ خطير، وهو يتكرر في مجتمعنا حيناً بعد آخر، وسبق أن ذهبت قبل نحو سنتَين إلى باريس فرأيت هناك أن القانون الفرنسي قد أوجد للوضع المذكور حلاً سليماً جداً، وهو أن تنفيذ الوصية في الصورة المذكورة لا يكون إلاَّ في ثلث الملكية فقط، فعلينا أيضاً أن نستفيد من هذا التعديل.

أقول: إن أبعاد القضية التي اتضحت للمحامية الفاضلة بعد الذهاب إلى باريس سبق أن حلّها رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرناً بكلمة يسيرة، [وهي قوله ﷺ: «**الثلث والثلث كثير**»]، ولكن العصبية وضيق النظر لم يترك لكم فرصة دراسة الفقه الإسلامي والبحث عن أحكامه وتوجيهاته التي تضمن الخير والسعادة للمجتمعات البشرية كلها[1].

---

(١) «أهمية السيرة الطيبة لعالم البشرية»/ نثار أحمد الفاروقي. ــ بنارس، الهند، الجامعة السلفية، ١٤١٢هـ، ص ٤٥ ــ ٤٦.

[٢٣٥]

بيع الوقف

ـ الحنفية لا يجيزون بيع الوقف وإنهاءه وعوده إلى الملكية إلاَّ في أحوال.

فأبو يوسف قد رويت عنه رواية أنه كان يجيز الوقف مؤقتاً بالشرط، أو عند ذكر جهة تنقطع وعوده إلى الملك، وهو يجيز بيع الوقف وعوده إلى ملك صاحبه عند الاشتراط على هذه الرواية. . .

ـ والشافعية منعوا بيع الوقف وعوده إلى الملك، فلم يجز شيء من ذلك في مذهبهم، إلاَّ إذا كان الموقوف شجرة فجفت ولم يمكن الانتفاع بها إلاَّ باستهلاكها، فقد قيل إنها تصير ملكاً للموقوف عليه، ولكنها لا تباع ولا توهب، بل ينتفع بعينها.

ـ الحنبلية شددوا كالشافعية، ولكنهم أباحوا بيع المسجد، وأجازوا بيع بعض الموقوف الخراب لإصلاح باقيه، فإن كان الموقوف عينين اتحد واقفهما واتحدت جهة الوقف وهما خراب جاز بيع إحداهما لإصلاح الأخرى.

ـ وينتهي الوقف عند مالك:

١ ـ إذا جعله الواقف مؤقتاً بمدة أو بجيل من الأجيال، فإنه بعد انتهاء هذا الجيل أو مضي تلك المدة يعود ملكاً لمن جعله الواقف له، أو للواقف إن كان حياً، ولورثته إن كان ميتاً.

٢ ـ إذا كان الموقوف عليهم في حاجة شديدة ليس عندهم ما يسدون حاجتهم والغلة لا تكفيهم، جاز بيع الحبس وإن لم يشترط الواقف ذلك. . .

٣ ــ إذا كثر الموقوف عليهم. . .[(١)].

[٢٣٦]
أحكام في الصناعة

ــ حكم الصناعة فرض على الكفاية ما لم يقم بها أحد، فتكون فرض عين على من يحسنها ويتقنها.

ــ الرجوع إلى أجرة المثل عند الاختلاف في الأجرة.

ــ صحة منح غير المسلم الاستثمار الصناعي في البلاد الاسلامية، وهو ما يسمى بالاستثمار الأجنبي، وبشروط وضوابط يراها ولي الأمر أو الجهة المانحة لهذا العقد.

ــ منع الأضرار الناشئة عن الصناعات، فلا يصح بناء المصانع في الطرق العامة أو بين الأملاك والمنازل السكنية، وينبغي تجنب التلوث الناشىء عن المصانع، ومراقبة أصحاب الصناعات في ذلك..

ــ ثوب الصانع وبدنه وآلات صنعته طاهرة.

ــ طهارة الفخار المشوي بالنجاسة.

ــ وجوب الزكاة في أسهم الشركات الصناعية باعتبارها من عروض التجارة.

ــ جواز بيع ما استحال من النجس بسبب الصناعة، ومن ذلك السماد المصنوع والجلود المدبوغة.

---

(١) قانون الوقف الذري ومصادره الشرعية في لبنان/ زهدي يكن، ط ٢. ــ بيروت: دار الثقافة، ١٣٨٣هـ، ص ٦١.

ـ عدم جواز تأجير المسلم نفسه للذمي في الصناعات التي فيها إهانة له، وجواز ذلك إذا لم يكن له إهانة فيها.

ـ اعتبار الصناعة من شروط الكفاءة في النكاح، وصحة تعليم الرجل للمرأة صناعة تكون لها مهراً.

ـ لا حضانة للأم الصانعة إذا تضرَّر الطفل بصنعتها.

ـ ثبوت الضمان بالمثل أو القيمة على من تعدَّى على الأطراف الصناعية.

ـ لا قطع في سرقة المصنوعات المحرّمة...

ـ قبول شهادة أصحاب الصنائع غير الدنيئة، وكذا شهادة أصحاب الصنائع الدنيئة على الراجح، ورد شهادة أصحاب الصنائع المحرمة[1].

[٢٣٧]
المعاوضة على الحيوانات المحنطة

التحنيط هو وضع مواد تحفظ ظاهر جسد الحيوان من التعفن بعد إخراج ما في بطنه منه.

قال باحث في الفقه:

* المعاوضة على التحنيط فرع عن الدافع عليه، فإن كان الدافع على التحنيط الزينة، فالظاهر أنه لا يجوز، لأن الميتة نجسة ولا يتزين بها.

---

(١) «أحكام الصناعة في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة»/ إعداد محمد بن منصور المدخلي. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٩هـ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٣. (رسالة دكتوراه).

* وإن كان لوضعه في المتاحف للتعرف على أشكال الحيوانات، فالظاهر أن هذا حكمه يختلف باختلاف مدى أهمية هذا الدافع، فإن كان لمصلحة راجحة فيباح، أما إن كان لمجرد اللهو فلا يظهر لي في ذلك الجواز.

* قال: وبناء على ما سبق: فالمعاوضة على المحنط من الحيوان بحسب المنفعة وشرعيتها، ولا يظهر لي كبير فائدة فيه، ولا سيما وفيه شبه تشبه بالمشركين.

* وقال: أما الصلاة في الغرف التي بها حيوانات محنطة، فالظاهر أنه لا يشمله النهي عن الصلاة في القبور، لكن لا يستقبل المحنط؛ لدخوله في عموم النهي عن استقبال الصورة في الصلاة لأجل الالتهاء بها[1].

---

(١) «الأحكام المالية المتعلقة بالحيوانات في المعاملات في الفقه الإسلامي»/ عبد الله بن حسين الموجان. ـ القاهرة: جامعة الأزهر، ١٤٢١هـ. ـ (دكتوراه) ص ٢٦٧.

[٢٣٨]
توهم في زواج الأقارب

* يذكر الدكتور الطبيب والباحث الإسلامي محمد علي البار أن إيهام الناس بأن زواج الأقارب هو السبب المباشر للأمراض الوراثية غير صحيح على إطلاقه.

فنسبة الأمراض الوراثية والعيوب الخلقية التي تكتشف عند الولادة في المجتمعات التي يندر فيها زواج الأقارب لا تقل عن ٢ ٪ وتزداد إلى ٥ ٪ عندما يتم فحص الأطفال في سن الخامسة.

وفي مجتمعاتنا فإن زواج الأقارب من الدرجة الأولى (أي أبناء العمومة أو العمات أو الخالات) تصل إلى ما بين ٣٠ ٪ و ٤٠ ٪.

وفي الأردن التي تصل نسبة زواج الأقارب فيها إلى ٣٦ ٪ ذكرت دراسة طبية أن احتمال زيادة الأمراض الوراثية وتشوه الأجنة تزداد إلى ما يقارب ٤ ٪، بينما هي في المجتمع بدون زواج أقارب في حدود ٢ ٪ إلى ٣ ٪ من جملة المواليد سنوياً.

* وفي بحث بعنوان «زواج الأقارب إيجابياته وسلبياته» المنشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي ع ١١ س ١٤١٩هـ، ص ١٧١ ــ ١٨٦ فيه دراسة عن عائلة كبيرة من مكة المكرمة على مدى أربعة أجيال عدد أفرادها (١٠٢٥) شخصاً، والذين استوفوا شروط الدراسة (٩٨٤) فرداً.

وقد كان زواج الأقارب في الطبقتين الأولى والثانية (أبناء عمومة وخؤولة) بنسبة ٧٩ ٪، أما الطبقتان الثالثة والرابعة فقد انخفضت إلى ٥٦ ٪.

وعلى الرغم من ذلك فإن زواج الأقارب قد أنتج نسلاً حسناً تفوق على المستوى العادي في المجتمع.

ولم يكن هناك أمي في جميع أفراد هذه العائلة الكبيرة.

وكان منهم علماء وأدباء ودبلوماسيون وشعراء وأطباء ومهندسون وتجار.

واللافت للنظر أنه لم يكن هناك انحرافات إجرامية أو إدمان على المخدرات، أو حتى تشوهات خلقية أو تخلُّف عقلي.

ووجدت أربع حالات طلاق فقط في الدراسة كلها، وتم زواجهن ثانية من داخل الأسرة الأصلية.

ثم يذكر الدكتور: أنه مع ذلك، فإن الانغلاق على زواج الأقارب قد يؤدي إلى ظهور بعض الأمراض الوراثية المتنحية (على وجه الخصوص).

ولا ينبغي أن ينحصر الزواج في الأقارب، وخاصة من الدرجة الأولى، ويتكرر في الأسرة، لأن ذلك أدعى لظهور مثل هذه الأمراض...[1].

---

(١) «الفحص قبل الزواج والاستشارة الوراثية: نظرة فاحصة للفحوصات الطبية الجينية»/ محمد علي البار ـ الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٢٠هـ، ص ٣١ ـ ٣٣.

[٢٣٩]
مسألة العزل

حكم العزل عن الزوجة الحرة للفقهاء فيه قولان في الجملة.

القول الأول: يجوز العزل عن الزوجة الحرّة، وبالتفصيل التالي:

١ ــ يجوز العزل عن الزوجة الحرة مطلقاً بإذنها.

وهو المذهب عند الحنفية والمالكية.

٢ ــ يجوز العزل عن الزوجة الحرة بإذنها مع الكراهة.

وهو المذهب عند الشافعية والحنابلة.

٣ ــ يجوز العزل عن الحرة بغير إذنها.

وهو الفتيا عند متأخري الحنفية، ووجه للشافعية مصحح عند المتأخرين، ورواية مرجوحة عند الحنابلة.

القول الثاني: يحرم العزل عن الزوجة الحرة. وفيه التفصيل التالي:

١ ــ يحرم العزل عن الزوجة الحرّة مطلقاً، سواء رضيت أو لم ترض.

وهو مذهب ابن حزم الظاهري، ورواية مرجوحة عند الحنابلة.

٢ ــ يحرم العزل عن الزوجة الحرة بغير إذنها.

وهو وجه عند الشافعية[١].

---

(١) «الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء في الفقه الإسلامي»/ محمد خالد منصور، ص ١٣٢.

[٢٤٠]

صحة جنسية

إن الممارسة الجنسية في فترة الحيض، وفي الأسابيع الأولى بعد الولادة، تؤدي أحياناً إلى إصابة المرأة بأمراض خطيرة؛ بسبب انتشار الجراثيم بسهولة في المسالك التناسلية؛ مما يسبب لها عقماً أكيداً! لأن شرايين الرحم بعد الولادة وفي فترة الطمث تكون منتفخة ومفتوحة، ويتدفق منها الدم إلى الخارج مما يسهل دخول الجراثيم بسهولة عن طريقها إلى الرحم وملحقاته، خاصة إذا كانت الاتصالات الجنسية ملوثة أو مشبوهة[١].

* * *

(١) المصدر السابق، ص ٧٥.

[٢٤١]
كفارة القتل في حوادث المرور

في رسالة علمية[١]، نبَّه باحث إلى التهاون وإهمال كثير ممن يشتركون في حوادث السيارات في أداء كفارة القتل والوفاء بها، ويكتفون بالدية عنها.

وذكر أن القتل الموجب للكفارة في حوادث المرور هو كل قتل نتج عن خطأ ارتكبه المتسبب في الحادث المروري، سواء كان سائقاً أو ماشياً أو غيرهما؛ باشر فعل القتل بنفسه أم لم يباشره.

وسرد أمثلة لذلك:

منها: لو قام أحد المشاة بقطع الطريق فجأة أمام سيارة تسير مع الطريق بالسرعة النظامية، مما اضطر السائق لتلافي الحادث بالانحراف يميناً أو شمالاً، فانقلبت السيارة من جراء ذلك، ومات سائقها، فإن على الماشي كفارة في ماله؛ لتسببه في وقوع الحادث المروري وقتل السائق أو أحد الركاب معه.

ثم ذكر أوجهاً أخرى.. كتعدد الحوادث والقتلى، وقتل الكافر المضمون.. وأن القاتل بالخطأ إذا لم يقدر على الصوم أطعم...

---

(١) بعنوان: «أحكام حوادث السيارات في الفقه الإسلامي»/ علي بن سعود السهلي ــ تونس: جامعة الزيتونة، ١٤٢٠هـ (رسالة دكتوراه).

[٢٤٢]
الموت في الزحام.. والموت جوعاً؟

من أنواع القتل بالتسبُّب موتُ شخص في الزحام نتيجة لضغط الناس عليه.

وقد ذهبت طائفة من فقهاء المسلمين إلى وجوب ديته على جميع من حضر.

ومن هذا النوع في نظر الإسلام أن يموت إنسان جوعاً في بلد إسلامي.

فقد ذهبت طائفة من فقهاء المسلمين على رأسها العلامة ابن حزم إلى مسؤولية البلد الذي يموت أحد أفراده جوعاً، فيؤدي أهله جميعاً الدية متضامنين كأنهم شركاء في موته.

وذلك لأن الإسلام يوجب على أهل كل حي وبلد أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تكافل وتعاضد، يرقُّ غنيُّهم لفقيرهم، ويسدُّ شبعانهم حاجة جائعهم، ويعطف كل جار على جاره.

وقد أوصى القرآن الكريم في أكثر من موضع بالجار القريب والجار البعيد، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾[1]،[2].

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) «غرائب النظم والتقاليد والعادات»/ علي عبد الواحد وافي ــ القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د. ت، ١/١٣٥.

[٢٤٣]
بين الميسر، والقمار، والرهان

* الميسر أعم، والقمار أخص؛ لأن الميسر يشمل ما كان اللعب فيه بغير مال، بأن كان لقصد اللهو والتسلية، ويشمل كذلك ما كان اللعب فيه بمال وهو القمار.

أما القمار فهو خاص بما كان فيه مخاطرة بالمال في غير سبق شرعي.

فكلُّ قمار ميسر، ولا عكس. ولذا قال الإمام مالك: الميسر ميسران: ميسر اللهو، وميسر القمار، فمن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهي كلها. وميسر القمار ما يتخاطر الناس عليه.

* ويتفق كل من الرهان والقمار في أن حق المتعاقد يتوقف على واقعة غير محققة، وهي أن يصدق قول المتراهن في الرهان، وأن يكسب المقامر اللعب في المقامرة. ولكن الرهان يفارق المقامرة في أن المقامر يقوم بدور إيجابي في محاولة تحقيق الواقعة غير المحققة. أما المراهن فلا يقوم بدور في تحقيق صدق قوله.

* والخلاف لفظي، لا يترتب عليه اختلاف في الحكم، لأن كلاً من عقد الرهان والقمار محرم شرعاً، وقد ثبتت حرمتهما بالكتاب والسنة والإجماع.

يقول العلامة الجصاص: لا خلاف بين أهل العلم في تحريم القمار، وأن المخاطرة ـ أي المراهنة ـ من القمار.

ثم قال: قال ابن عباس: إن المخاطرة قمار[1].

---

(١) «موقف الشريعة الإسلامية من الميسر والمسابقات الرياضية»/ رمضان حافظ عبد الرحمن ـ الطائف: دار الطرفية، ١٤١٠هـ، ص ٢٤، ١٥٧.

[٢٤٤]
عشر خصال مذمومة للخمر

قال ابن الجوزي رحمه الله مبيناً مضار الخمرة:

اعلم أنَّ في شربها عشرَ خصالٍ مذمومة:

أوَّلُها: أنَّها تُذهِبُ عقل شاربها حتَّى يصيرَ مضحكةً للصِّبيان ومهزأةً، كما روي عن ابن أبي الدُّنيا أنَّه قال: رأيتُ سكرانَ يبولُ ويمسحُ وجهَه ببَوْلِهِ، وهو يقول: اللَّـهُمَّ اجعلني مِنَ التَّوَّابين، واجعلني مِنَ المتطهِّرين.

ورأى سكرانَ قد تقيَّأ والكلبُ يلحسُ فاهُ، والسَّكرانُ يقول: أكرمَكَ اللهُ يا سيِّدي كرامةَ أوليائِه.

والثَّانية: أنَّها تُتلِفُ المالَ وتُفسده، وتُعْقِبُ الفقرَ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: اللَّـهُمَّ أَرِنَا في الخمرِ فإنَّها مُتْلِفَةٌ للمال، مذهِبَةٌ للعقل[1].

والثالثة: أنَّها تُوقِعُ العداوةَ والبغضاءَ. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١] ويريد: انتهوا عنهما. قال عمر: انتهيت يا ربِّ انتهيت.

والرابعة: يُحْرَمُ صاحبُها لذَّةَ الطَّعام وصواب الكلام.

والخامسة: أنَّها تَحْرُمُ عليه زوجتُه، فتكون معه على الزِّنى، وذلك أنَّ أكثر كلامِه بالطَّلاقِ، فرُبَّما حنِثَ ولم يشعر، فيكون معها زانياً، فإنَّه رُوِيَ عن بعض الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين: مَنْ أنكح كريمتَه شاربَ الخمرِ، فقد ساقه للزِّنى.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٤٩)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والحاكم ١٤٣/٤ (المحقق).

والسادسة: أنَّها مفتاحُ كلِّ شرٍّ توقعه في جميع المعاصي، كما رُوِيَ عن عثمانَ بن عفّان رضي الله تعالى عنه أنَّه قال في خطبته: أيُّها الناس، اتقوا شرب الخمرِ، فإنَّها أم الخبائث[1].

والسابعة: أنها تؤذي حفظَتَه بإدخالها في مجلسِ الفُسوقِ والفجور والرَّوائحِ الكريهةِ.

والثامنة: أنَّه أوجبَ على نفسه الحدَّ ثمانينَ جلدةً، فإنْ لم يُضرَبْهَا في الدُّنيا ضُرِبَ في الآخرة على رؤوس الأشهادِ.

والتاسعة: أنها تُسَدُّ دونه أبوابُ السَّماءِ، فلا يُرْفَعُ له عملٌ ولا دعاءٌ أربعينَ يوماً.

والعاشرة: أنَّه خاطَرَ بنفسه ودينه، فيُخَاف عليه أن يُنزَعَ منه الإيمانُ عندَ الموتِ[2].

[٢٤٥]
ضمان ما أتلفه الحيوان

* اتفق الأئمة على أن ما أتلفته البهائم في المزارعِ ليلاً فمضمون من مالكها، لأن العادة جرت الحفظ ليلاً، والمزارع خالية ليلاً من أهلها.

وكذلك عند الأئمة باتفاق بعدم الضمان نهاراً، إلاَّ أن يكون معها راع، فالضمان على الراعي.

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف (١٧٠٦٠)، والنسائي ٨/ ٣١٥، عن عثمان موقوفاً، ورواه بعضهم مرفوعاً، والموقوف أصح (المحقق).

(٢) بحر الدموع ص ١٨٣.

* وما نفحت برجلها أو ذيلها فلا ضمان فيه، إلاَّ أن يكون سببه الراكب، كأن يكبحها، فعليه الضمان.

* والناخس ضامن لما تتلفه البهيمة نتيجة نخسه لها، وإن أصابته نتيجة نخسه لها فدمه هدر.

* والهرَّة في رأي الجمهور تدفع بالأسهل، وهناك رأي عند الشافعية أنها تعتبر من الفواسق وتدفع بالقتل ابتداء.

* ومن أطلق حيواناً معروفاً بالعداء ضمن، وإن لم يعرف بالعداء لم يضمن.

* والكلب العقور إن أطلقه صاحبه ضمن. وإن عقر داخل المنزل، فإن كان الداخل بإذن ضمن صاحب المنزل، وإن كان دخوله بغير إذن فهدر.

* أما إذا تصادم فارسان: فقال الحنفية: على عاقلة كل واحد منهما الدية. وقال الحنابلة: على كل منهما دية للآخر[1].

[٢٤٦]
الجناية على عظام الميت

* إذا جنى جانٍ على ميِّت محترم فكسر عظماً من عظامه متعمِّداً فإنه يأثم بذلك؛ لأن الميت يحرم التعرُّضُ له بما يؤذيه أو يشوِّه خلقته.

والدليل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**إن كسر عظم الميت ميتاً مثل كسره حيّاً في الإثم**»[2].

---

(١) الدفاع الشرعي الخاص «دفع الصائل»/ مسفر الزحامي ـ الرياض: المعهد العربي للدراسات الأمنية، ١٤١٦هـ (بحث ماجستير)، ص ١٠٣.

(٢) حديث صحيح. إرواء الغليل ٣/ ٢١٤.

فهذا نص صريح في حرمة هذه الجناية والإثم على الجاني.

* أما بالنسبة للقصاص من الجاني أو الضمان في هذه الحالة فإنه لا قصاص عليه ولا ضمان، بل عليه الإثم فقط، فقد قام الإجماع على أن كسر عظم الميت لا دية فيه ولا قود...[1].

[٢٤٧]
الجناية على السن الصناعية

إذا اتخذ إنسان مكان سنِّهِ الأصلية سنّاً صناعية من عظم طاهر، أو فضة، أو ذهب، أو غير ذلك، فجُني على تلك السن، فإنه لا قصاص في هذه الجناية وإن كانت عمداً؛ لأن هذا المركَّب ليس جزءاً من بدن الإنسان.

والقصاص إنما يكون في الجناية على النفس، أو ما دونها من الأطراف والجروح والشجاج ونحوها، والسنُّ الصناعية خارجة عن ذلك كله. ولكن يعزَّر الجاني إن كانت جنايته عمداً بما يردعه عن الاعتداء على الناس.

وأيضاً فإنه لا تجب الدية بقلع السن المركبة؛ لأنها ليست سنّاً أصلية للمجني عليه، ولا هي جزء من بدنه.

وأما بالنسبة لوجوب الحكومة على الجاني بقلعه لهذه السن، فقد اختلف الفقهاء في ذلك على قولين...

ورجّح باحث معاصر أن الحكومة تجب عليه بذلك؛ لأنه أزال جمالاً

---

(١) أحكام الجناية على العظام في الفقه الإسلامي، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

ومنفعة حاصلين للمجني عليه بهذه السن، ويكون تقدير الحكومة بأن يدفع الجاني تكاليف إعادة هذه السن على ما كانت عليه سابقاً قبل الجناية.

وأما ما حصل للمجني عليه من ألم ــ إن وجد ــ بقلعها، فيرجع إلى أهل الخبرة والطب في تقديره[1].

[٢٤٨]
ضوابط عقوبة التشهير

* العقوبة بالتشهير مشروعة في الفقه الإسلامي.

وقد دلَّ على مشروعيتها الكتاب والسنَّة وعمل الصحابة والمعقول.

وهي في جملتها عقوبة تعزيرية، وقد تنكل أكثر مما ينكل الضرب أو غيره.

وهي من أنجح العقوبات في هذا العصر.

* لكن له ضوابط وشروطاً محددة يلزم الأخذ بها عند الحكم بالتشهير.

ومن أهم هذه الضوابط:

ــ أن يكون جنس الجريمة معاقباً عليه.

ــ وأن تتحقق المصلحة منه وتندفع المفسدة.

---

(١) «أحكام الجناية على العظام في الفقه الإسلامي»/ ناصر بن محمد العبد المنعم ــ الرياض: جامعة الإمام، كلية الشريعة، ١٤١٩هـ، ص ٩٢ ــ ٩٤ (رسالة ماجستير).

ـ وأن يكون مناسباً لطبيعة الجريمة والمجرم.

ـ وأن لا يتضمن التشهير مخالفة شرعية، أو يكون سبباً لإشاعة الفاحشة، أو يتضمن إهانة للمشهر به.

ـ ومن ذلك أن يكون التشهير موضوعيًّا في حدود الصدق والعدالة، غير مشتمل على شيء من التجاوز في حق المشهر به[1].

* * *

(١) «العقوبة بالتشهير في الفقه الإسلامي»/ إعداد فهد بن عبد العزيز الوهيب ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٩هـ، ص ٣٢٦ (رسالة ماجستير).

[٢٤٩]
سماحة الإسلام وأهله

* لم يقم المسلمون عند استعادتهم للمدن الإسلامية بطرد النصارى المحليين أو تهجيرهم مثلما فعل الصليبيون عندما قاموا بإفراغ المدن من أهلها المسلمين، وإنما سمحوا لهم بالبقاء مقابل الجزية.

وعندما استردَّ صلاح الدين بيت المقدس وتخلصت الطوائف النصرانية من سيطرة الكنيسة الغربية، سمح صلاح الدين لكافة الطوائف بالإقامة. وكان الخلاف شديداً بين تلك الطوائف حول مفتاح كنيسة القيامة، وكان الذي بيده المفتاح يستطيع الدخول والعبث بما للفرق الأخرى من مستلزمات. وإزاء ذلك وباتفاق الطوائف النصرانية تم تسليم المفتاح لأسرة مسلمة تتولى فتح أبواب الكنيسة وقفلها، وهي أسرة آل نسيبة، التي توارثت مفتاح الكنيسة إلى يومنا هذا!!

* ومن سماحة أهل الإسلام بالملل الأخرى أن استمرَّ وجود الطوائف النصرانية بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام، وعادوا إلى سابق عهدهم تحت الحكم الإسلامي، وفُرضت عليهم الجزية، ولم تؤثر تلك الحرب الطاحنة التي دارت رحاها على مدى قرنين من الزمان تقريباً على سياسة المسلمين تجاه النصارى الذين كانوا بين ظهرانيهم.

ويشهد التاريخ أن المسلمين لم يحاولوا أن يقتربوا منهم أو يشنوا

عليهم حرب إبادة لا هوادة فيها. . . بغض النظر عن تفاعل بعضهم مع الحملات الصليبية.

* وإن وجود الأقليات النصرانية في بلاد الشام ومصر طوال أربعة عشر قرناً ضمن أكثرية كاسحة دليل على سماحة الإسلام وأهله. . .[1].

[٢٥٠]
عندما ثبتوا

أبو عبد الله محمد الجذامي المغربي، المعروف بمردنيش، زاهد مجاهد، كان معه عدة رجال أبطال، يُغير بهم يمنة ويسرة. له مغازي ومواقف مشهودة وفضائل، وهو جدُّ الملك محمد بن سعد بن محمد صاحب شرق الأندلس.

قال اليسعُ بن حزم: من عجيب ما صحَّ عندي أنه أغار يوماً، فقال لأصحابه، وكانوا ثلاثمائة فارس: ما ترون؟ فقالوا: نشغلهم بترك الغنيمة!

فقال: ألم يقل القائل: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[2].

فقال له ابن مُورين: يا رئيس، الله قال هذا.

فقال: الله يقولُ هذا وتقعدون عن لقائهم؟

قال: فثبتوا، فهزموا الروم[3]!

---

(١) «مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية»/ علي العواجي، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

[٢٥١]
العمليات الاستشهادية وما إليها

بعد البحث والنظر في أقوال العلماء من السلف والخلف في تحديد معنى الانتحار الذي حرمته الشريعة، وإبراز معنى الجهاد الذي ندب الإسلام إليه ورغب فيه، وإلقاء الضوء على الشهادة وتكييفها، وصل باحث نشِيطٌ إلى النتائج التالية:

(أ) العمليات الاستشهادية ليست أمراً محدثاً في عصرنا هذا، بل أقدم عليها المجاهدون منذ فجر الإسلام الأول على مرأى ومشهد من رسول الله ﷺ، الذي مدح فعلهم وشجعهم عليها، وعلى مرأى الصحابة، فلم ينكر منهم منكر، بل أنكروا على من أنكر ذلك واستعظمه.

(ب) اتفق العلماء على أن الاقتحام على الأعداء اقتحاماً لا ترجى معه نجاة مشروعٌ ومندوب إذا كان فيه نكاية بالأعداء أو نفع للمسلمين، بل لقد أباح بعض العلماء الاقتحام المهلك بقصد الشهادة فقط.

(ج) أن عامة العلماء قديماً وحديثاً على أن هذه العمليات ليست من الانتحار في شيء، لأن الانتحار قتل النفس جزعاً أو يأساً من أجل أمر دنيوي، أما العمليات الاستشهادية فتختلف كل الاختلاف عن الانتحار، حيث هي نوع من أنواع الشهادة في سبيل الله تعالى.

(د) ذهب عامة العلماء المعاصرين إلى إباحتها، وما وقع بينهم من خلاف فهو حول شروط الإقدام على مثل هذه العمليات، وهل هي منوطة بالضرورة أم لا؟ وبالتالي فإنه يزول هذا الخلاف عندما تستهدف هذه العمليات أعداءً كاليهود؛ اغتصبوا البلاد والمقدسات الإسلامية، وأصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ضد اليهود، ولعلَّ هذه العمليات هي الحل

الأمثل والاختيار الأفضل لمحاربة اليهود في عصرٍ تقاعس المسلمون فيه دولاً وشعوباً عن الجهاد.

(هـ) أما فيما يتعلق بحكم قتل المدنيين من اليهود في هذه العمليات؟ فالأصل في الإسلام أنَّ من لا يقدر على القتال لمانع مادي أو معنوي يعتبر مدنياً لا يجوز قصده بالقتل، وذلك يشمل الأطفال والنساء والشيخ الفاني، ورجل الدين المنقطع للعبادة، والمزارع في أرضه المشغول بلقمة عيشه.. إلخ.

وكل هؤلاء لا يقصدون بالقتل إلاَّ في حالتين:

١ ــ إذا شاركوا بالقتال فعلاً، سواء كان ذلك بحمل السلاح أم بالإعانة، كتقديم الرأي والمال والتشجيع والتحريض وما شابه ذلك.

٢ ــ إذا اختلطوا بالمحاربين ولم يتمكن المجاهد من ضرب المحاربين إلاَّ بضربهم، وهو ما يعرف عند الفقهاء بتترس الأعداء بمن لا يقتل منهم، وكذلك حال الإغارة على العدو وتبييته، فهنا يجوز رمي المقاتلين من الأعداء دون المدنيين، ولا ضير فيمن قتل منهم بغير قصد.

(و) بعرض هذه الأصناف من المدنيين اليهود ــ بناء على أنَّ الأصل فيهم أنهم مدنيون ــ على هذين الشرطين يتبين لنا:

أنَّ النساء من اليهود لم يعدن مدنيات، فهنَّ يتدربن على حمل السلاح ويقاتلن كالرجال، وكذلك الأمر بالنسبة للشيوخ ورجال الدين.. ولم يبق من اليهود على أرض فلسطين إلاَّ الطفل الذي لا يباشر القتال، فلا يجوز قصده بالقتل، وهو الأمر الذي لم يفعله المجاهدون في فلسطين حتى الآن، ولن يفعلوه قاصدين.

قال الباحث: ولقد ترجح لديّ بعد البحث أن هذه العمليات جائزة

مشروعة، بل قد تكون واجبة إذا تَعَيَّنَتْ وسيلةً لمواجهة العدو، وإرغامه على الخروج من بلاد المسلمين أو على الأقل إضعافه، وإدخال الرعب في قلوب مجنديه ومستوطنيه، حتى لا يشعروا بالأمن والاستقرار في بلادنا المغتصبة.

والقول بخلاف ذلك قول يتيم الحجة والبرهان، فضلاً عن أنه أجمل هدية نقدمها لليهود على طبق من ذهب، حيث يعيشون مطمئنين لا يعكر صفو حياتهم معكِّر، ولا ينازعهم على حقوقنا منازع، بعد أن شيعنا كل شيء اسمه جهاد(١).

[٢٥٢]
قصة مجاهد

مجاهد من كشمير كنيته أبو حمزة:

يروي قصته في الجهاد فيقول: في إحدى رحلاتنا الجهادية كنا نمشي ثلاثة، فإذا بنا نفاجأ بلقاء مع الجيش الهنديّ، فاندلعت المعركة بيننا وبينهم وتبادلنا إطلاق النار.

وكانت القوات الهندية تمطرنا بوابل من أسلحتها، وحانت في هذا الوقت صلاة العصر، فلم نتمكن من الصلاة، لكن أحدنا قام فصلى صلاة العصر وسط هذه الغزارة من الرصاص والقذائف، ولم يبالِ ولم يخشَ الهنود حتى أكمل صلاته، ثم عاد فأكمل المواجهة مع القوات الهندية. وفجأة انزلق وسقط من قمة الجبل التي كانت مكسوة بالثلوج إلى الأسفل، وواصلنا نحن تبادل النار مع الهنود إلى أن تمكنا من مغادرة المنطقة بسلام، وكلنا حزن

---

(١) «العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي»/ نواف هايل تكروري. ــ ط ٢ منقحة ومزيدة. ــ دمشق: توزيع دار الفكر، ١٤١٨هـ، ص ١٨١ ــ ١٨٢.

على فقد صديقنا بعد أن سقط في الهوة، وكان لدينا اليقين أنه عند ربه شهيد إن شاء الله.

وتسللنا من بين مواقع الجنود وتمكنا من الخروج من المنطقة بسلام إلى أن وصلنا إلى مخبأنا، وجلسنا نتحدث عن الشهيد الذي سقط من قمة الجبل.

وبعد منتصف الليل فاجأنا طارق يطرق باب خندقنا يقول: السلام عليكم، فإذا به الصديق الذي توقعنا أنه استشهد ولقي ربه، فسألناه عن قصته.

فقال لنا: إنه حينما سقط من الجبل بفعل الثلوج الغزيرة وقع على جندي هندي فقام بقتله، ثم اختبأ عن أعين الجنود الهنود، ثم تمكن فيما بعد من الفرار منهم والخروج من منطقتهم بسلام، وظل يمشي حتى وصل إلى المخبأ.

وهكذا نجا بأعجوبة من الجنود الهندوس رغم أنه سقط من أعلى الجبل، لكن الأعمار بيد الله، ولم يكن وقته قد حان لمغادرة هذه الحياة[١].

* * *

(١) مجلة الرباط (إسلام آباد) ع ٥٠ ص ٥٠.

[٢٥٣]
العلماء.. والمناصب

* يقول الإمام الشوكاني رحمه الله:

لا أقول إنَّ أهل العلم العارفين به، المطلعين على أسراره، يمنعون أنفسهم من المناصب الدينية، وكيف أقول بهذا وهذه المناصب إذا لم تربط بهم ضاعت، وإذا لم يدخل فيها الأخيار تتابع فيها الأشرار، وإذا لم يقم بها أهل العلم قام بها أهل الجهل، وإذا أدبر عنها أهل الورع أقبل إليها أهل الفجور.

وكيف أقول هذا وأهل العلم هم المأمورون بالحكم بين الناس بالحق والعدل والقسط، وما أنزل الله، وما أراهم القيام بين الناس بحججه، والتبليغ لأحكامه، وتذكيرهم بما أمرهم الله بالتذكير به، وإرشادهم إلى ما أرشدهم الله إليه، ولأهل القضاء والإفتاء ونحوها من هذه الأمور أوفر نصيب وأكبر حظ[1].

* وقال في موضع آخر رحمه الله:

ولا يخفى على ذي عقل أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخلة الملوك لتعطلت الشريعة المطهرة لعدم وجود من يقوم بها، وتبدلت تلك المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية، من ديانة

---

(١) «أدب الطلب ومنتهى الأرب»/ الشوكاني؛ تحقيق محمد صبحي حلاق.
ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ، ص ١٤٨.

ومعاملة، وعمَّ الجهل وطمَّ، وخولفت أحكام الكتاب والسنة جهاراً، ولا سيّما من الملك وخاصته وأتباعه، وحصل لهم الغرض الموافق لهم، وخبطوا في دين الإسلام كيف شاؤوا، وخالفوه مخالفة ظاهرة، واستبيحت الأموال، واستُحلَّت الفروج، وعطِّلت المساجد والمدارس، وانتهكت الحرم، وذهبت شعائر الإسلام[1].

[٢٥٤]
هكذا يكون الولاة

عروة بن محمد السعدي الجشمي.

كان والياً على اليمن، استعمله عليها سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك.

قال رحمه الله: لما استُعملتُ على اليمن قال لي أبي: أولِيتَ اليمن؟ قلت: نعم. قال: إذا غضبتَ فانظر إلى السماء فوقك، وإلى الأرض أسفل منك، ثم أعظِمْ خالقهما.

وقد وليها وما معه إلا سيفه ورمحه ومصحفه.

ولما دخلها قال: يا أهل اليمن، هذه راحلتي، فإن خرجتُ بأكثر منها فأنا سارق!

وقال علي بن المديني: وَلِيَ عروة بن محمد اليمن عشرين سنة، وخرج حين خرج ومعه سيف ومصحف[2].

---

(١) «رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين»/ الشوكاني؛ تحقيق حسن محمد الظاهر. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٣هـ، ص ٧٤.

(٢) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٤.

[٢٥٥]
قاض.. بصفات أخرى

أحضر الرشيد رجلاً ليولِّيه القضاء، فقال له: إني لا أحسن القضاء، ولا أنا فقيه.

فقال الرشيد: فيك ثلاث خلال:

ـ لك شرف، والشرفُ يمنعُ صاحبَهُ من الدناءة.

ـ ولك حِلْمٌ يمنعك من العجلة، ومن لم يَعْجل قلَّ خطؤه.

ـ وأنت رجل تشاور في أمرك، ومن شاور كثر صوابه.

وأما الفقه فسينضمُّ إليك من تتفقَّه به.

فوَلِي، فما وجدوا فيه مطعناً[(١)]!

[٢٥٦]
مسألة يسيرة!

روى عبد الرزاق عن معمر قال: لما عُزل ابن شُبرمة عن القضاء قال له والي اليمن: اختر لنا رجلاً نولِّيه القضاء. فقال له ابن شبرمة: ما أعرفه.

فذُكر له رجل من أهل صنعاء، فأرسل إليه فجاء.

فقال له ابن شبرمة: هل تدري لم دُعيت؟ قال: لا.

قال: إنك دُعيت لأمرٍ عظيم، للقضاء. فقال: ما أيسر القضاء!

فقال له ابن شبرمة: فنسألك عن شيء يسيرٍ منه، قال: سل.

---

(١) «عيون الأخبار» ١/١٧ ـ ١٨ (طبعة دار الكتب المصرية).

قال له ابن شبرمة: ما تقول في رجلٍ ضرب بطن شاةٍ حاملٍ فألقتْ ما في بطنها؟

فسكت الرجل، فقال له ابن شبرمة: إنا بلوناك فما وجدنا عندك شيئاً.

فقيل له: ما القضاءُ فيها؟

قال ابن شبرمة: تُقَوَّمُ حاملاً وتقوَّمُ حائلاً، ويُغرمُ قَدْرَ ما بينهما[1].

[٢٥٧]
ما يجوز أن يقبله القاضي من الهدايا

ـ للقاضي أن يقبل هدية من الشخص الذي قلَّده القضاء، والذي مرتبته فوق مرتبة القاضي مثلاً. ولو عين قاضي ولاية نواباً عنه في دائرة قضائية وأهدى القاضي لنوابه هدايا فلهم أن يقبلوها، ولكن ليس للنواب أن يهدوا للقاضي.

ـ للقاضي أن يأخذ هدية من أقربائه ذوي الرحم، كوالده وولده ونحوهم من خاصة القرابة.

ـ للقاضي أن يقبل من محبه وصديقه الذي اعتاد إهداءه قبل نصبه قاضياً، بشرط عدم الزيادة عن المعتاد، لأنها لم تكن من أجل الولاية، لوجود سببها قبل الولاية، بدليل وجودها قبلها. وألاَّ تكون له خصومة في الحال. وإن أحسَّ أنه يقدِّمها بين يدي خصومة أو فعلها حال الحكومة، حرم أخذها في هذه الحال، لأنها كالرشوة[2].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٦٤.

(٢) «عزل القاضي في الفقه الإسلامي»/ نواف بن هلال العتيبي. ـ الرياض: جامعة الملك سعود، كلية التربية، ١٤١٩هـ، ص ١٧٩.

[٢٥٨]
القاضي الحائر !

اختصمت امرأتان إلى القاضي حِمَاس[١] في جرَّتين مملوءتين ماء سقطت إحداهما على الأخرى على يد صاحبتها، فانكسرتا، ولم يدرِ أيتهما سقطت على صاحبتها!

فقال لهما القاضي: ترجعان إليَّ غداً.

فرجعتا إليه، فقال لهما: تعودا إليَّ ثانية.

ففعلتا، فقال لهما: والله ما أدري كيف أحكم بينكما.

ثم أدخل يده في كمه وأخرج دراهم دفعها إلى أحد أعوانه وقال له: امضِ فاشتر لهما جرَّتين مملوءتَين ماء مكان جرَّتيهما.

ففعل التابع ذلك، وأخذت كلُّ واحدة منهما جرَّة.

وقال حِماس: لو علمتُ الجرَّة الساقطة بعينها لغرَّمت صاحبتها قيمة الجرَّة الأخرى[٢].

[٢٥٩]
الاستجواب بالعقاقير المخدرة

العقاقير المخدِّرة هي تلك المواد التي تعطى للفرد فتفضي به إلى حالة من النوم العميق التي تستمر لفترة تتراوح ما بين خمس إلى عشرين دقيقة، ثم

---

(١) حماس بن مروان بن سماك العدواني. من تلاميذ سحنون. كان من الفقهاء الورعين، تولى القضاء العام بالقيروان، وله مناقب. ت ٣٠٣هـ.

(٢) ورقات عن الحضارة ٢/ ٣٩٠.

يعقبها يقظة يظل خلالها الجانب الإدراكي سليماً، وكذلك الذاكرة، إلاَّ أنه يفقد القدرة على الاختيار والتحكم الإرادي، مما يجعله أكثر قابلية للإيحاء والرغبة في المصارحة والتعبير عن المشاعر الداخلية، وبذلك يمكن اكتشاف الدوافع النفسية وكل ما يحاول إخفاءه أو التخلص منه.

وقد كان «البنج» من المواد المخدِّرة التي عرفها فقهاؤنا رحمهم الله تعالى، وقد قالوا بعدم اعتبار الاعتراف الصادر عن الإنسان في حالة وقوعه تحت تأثير هذا المخدِّر[1].

[٢٦٠]
عفو عن المساجين

في السعودية نظام فريد في العفو عن المسجونين المشروط بحفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه.

وقد صدرت دراسة نظرية تطبيقية ميدانية لهذا القرار ذي الأثر المحمود[2]، وعرّفت هذا النوع من العفو، وأهميته، وما له من آثار عظيمة في مكافحة الجريمة وآثارها، وعظمة هذه التجربة التي يجب أن تحذو حذوها جميع الدول الإسلامية..

---

(١) «الإعداد الشرعي وأثره على المحقق في مجال الإثبات الجنائي»/ سعيد البيشي. الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤١٧هـ (رسالة ماجستير) ص ١٨٢.

(٢) وهي بعنوان: «العفو المشروط بحفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه داخل السجن وأثره بالنسبة لمستقبل النزيل: دراسة نظرية تطبيقية ميدانية»/ للمستشار عيسى عبد العزيز الشامخ. ــ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ، ٢٦٥ ص.

قال الباحث: ومن أهم النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة في هذا الجانب أنه لم يعد إلى السجن أي سجين حفظ كتاب الله كاملاً داخل السجن منذ تطبيق النظام عام ١٤٠٨هـ وحتى الانتهاء من هذه الدراسة (١٤١٨هـ). وهذه نتيجة لا تضاهيها أية نتيجة في مجال الإصلاح والتأهيل والتهذيب.

ونبه الباحث إلى أن أساليب الإصلاح والتأهيل والتهذيب في السجون ذات منظور وضعي لا تعتمد على نظريات ودراسات إسلامية، وأن نسبة الجريمة فيها تزداد، وقد وصلت في بعض الإحصائيات إلى ٧٠٪ من السجناء المطلق سراحهم!



[٢٦١]
اعتقاد.. واجتهاد

مما اشتهر به الملك المعظم أنه كان حنفياً «متعصباً» بخلاف الأيوبيين الذين كانوا على مذهب الإمام الشافعي. وكان على مذهب الإمام الأعظم في إباحة النبيذ.

وفي عصره اشتهر شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن الموصلي، من أعيان الحنفية (ت ٦٢٩هـ).

فبعث إليه الملك المعظم يأمره بإظهار إباحة الأنبذة ــ وكان قاضياً ــ .

فأبى وقال:

لا أفتح على أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ هذا الباب، وأنا على مذهب محمد في تحريمها، وقد صحَّ عنه أنه ما شربها قط، وحديث ابن مسعود لا يصح، وما روي فيه عن عمر لا يثبت.

فغضب عليه المعظم، وأخرجه من الطرخانية.

وترك القضاء والتدريس، وأقام في بيته، مقبلاً على التحديث والإفادة والفتوى[1].

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦٢١ ــ ٦٣٠، للذهبي ص ٣٣٩.

[٢٦٢]
أحكام فقهية على مذهب الإمام مالك

ـ اللحم إذا أنتن لا يؤكل؛ لأنه من الخبائث المحرمة.

ـ نتف الدجاج بالماء الحار قبل غسل دمه يُنهى عنه.

ـ من شرب مسكراً فعليه الحدُّ سواء سكرَ أم لا.

ـ الاكتحال بمِرْوَدِ الذهب والفضة لا يجوز، إلاَّ إذا لم يجد سواه.

ـ الأكل مع الضيوف هو السنة الواردة عن النبـي ﷺ.

ـ إمامة المتيمِّم للمتوضئين مكروهة، وقيل جائزة.

ـ إن التجأ الجُنب إلى دخول المسجد لأخذ الماء منه تيمَّم ودخل.

ـ من سلَّمَ سهواً ولم يقصد به التحلُّل فهو كالكلام سهواً، يسجدُ له بعد السلام[١].

[٢٦٣]
مصافحة الداخل على الجالسين

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

هل في مصافحة الداخل على الجالسين دليل من الكتاب والسنة أو فعل الرسول ﷺ؟

قال: لا أعلم فيها شيئاً من السنة، ولهذا لا ينبغي أن تفعل.

بعض الناس الآن إذا دخل المجلس بدأ بالمصافحة من أول واحد إلى آخر واحد، وهذا ليس بمشروع فيما أعلم، وإنما المصافحة عند التلاقي.

---

(١) نقايات من غرر الغرر/ أحمد بن شقرون، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

أمّا الدخول إلى المجالس فإنه ليس من منهج الرسول عليه الصلاة والسلام ولا أصحابه أن يفعلوا ذلك، وإنما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يأتي ويجلس حيث ينتهي به المجلس. ولم نسمع أيضاً أنه إذا جلس حيث انتهى به المجلس أنهم يقومون ويصافحونه، فالمصافحة على هذا الوجه ليست بمشروعة. . .

* وبعض الناس إذا دخل بالقهوة أو بالشاي صب للذي على يمينه ولو كان أصغر القوم، بناء على التيامن في كل شيء.

وهذا أيضاً ليس بمشروع.

إذا دخلت فابدأ بالأكبر ثم أعط للذي على يمينك أنت، لأن النبي ﷺ رأى في المنام اثنين وفي يده سواك أراد أن يعطيه لأحدهما فقيل له: «كبِّر كبِّر»[1]، يعني ابدأ بالأكبر فالأكبر[2].

[٢٦٤]
حكم تقبيل الخبز

قال الإمام السيوطي: تقبيل الخبز بدعة.

والبدعةُ لا تنحصرُ في الحرام، بل تنقسم إلى الأحكام الخمسة.

ولا شك أنه لا يمكن الحكم على هذا بالتحريم، لأنه لا دليل على تحريمه، ولا بالكراهة، لأن المكروه ما ورد فيه نهي خاص، ولم يرد في ذلك نهي.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) «البدع والمحادثات وما لا أصل له»/ جمع وإعداد حمود بن عبد الله المطر. ط ٢. ـــ الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٩هـ، ص ٤٧٨.

والذي يظهر أن هذا من البدع المباحة.

فإن قصد بذلك إكرامه لأجل الأحاديث الواردة في إكرامه فحسنٌ[1].

[٢٦٥]
الكتابة على القبر

المقصود بالكتابة ما يكتب على قبر الميت أو على لوح أو حجر عند القبر.

وتختلف هذه الكتابات، فأحياناً يكتب على القبر بعض الآيات القرآنية والأدعية وأحياناً تكتب القصائد في مدح الميت أو رثائه، وأحياناً تكون الكتابة على القبر تعريفة، فيكتب ما يعرف به الميت المقبور، كاسمه وتاريخ وفاته، وأحياناً نبذة مختصرة عن سيرته.

وللعلماء في حكم الكتابة على القبر قولان:

الأول: جواز الكتابة عليه، وذهب إلى هذا القول بعض الحنفية، وجوَّز الظاهرية الكتابة التعريفية.

القول الثاني: كراهة الكتابة على القبر، وهو قول جماهير العلماء، فذهب إليه أبو يوسف، ومحمد بن الحسن من الحنفية، وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة... ولهم أدلتهم، منها حديث جابر: «**نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يُكتب عليها، وأن توطأ**». وفي رواية: «**نهى رسول الله ﷺ أن يُكتب على القبر شيء**». أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم[2].

---

(١) نقايات من غرر الغرر/ أحمد بن شقرون. ـ الرباط: وزارة الأوقاف، ١٤١٥هـ، ص ٣٢٦.

(٢) أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية ١/ ١٦٩ـ ١٧٤.

[٢٦٦]
هل يجوز الدعاء بطول العمر؟

اختلف العلماء في ذلك.

قال الإمام النووي: الأشهر أنه يكره أن يقال: أطال الله بقاءك...

ورأى ابن حجر جواز الدعاء بطول العمر، للحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قالت أمي: يا رسول الله، خادمك أنس ادعُ الله له. قال: «**اللَّهُمَّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**».

وبعد إيراد آراء وحجج الفريقين توصل باحث إلى ما يلي:

الدعاء بطول العمر مباح؛ لدعاء الرسول ﷺ لخادمه أنس.

وإنما الأفضل والمستحب تركه، وأن يقتصر الدعاء بالنجاة من عذاب القبر ومن عذاب النار وبالفوز بالجنة وما أشبه ذلك، وهو ما حث عليه رسول الله ﷺ زوجه أم حبيبة رضي الله عنها.

وأن من رغب الدعاء بطول العمر أو بشيء له تعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة، ونحوهما...

وأن يتمثل حرصه على هذه الإطالة أيضاً بأعمال البر التي حث عليها الشرع، والله أعلم[١].

---

(١) كيف تطيل عمرك الإنتاجي/ محمد بن إبراهيم النعيم. ط ٣. ـ الدمام: دار الذخائر، ١٤٢٢هـ، ص ٢٥ ـ ٣٠ (باختصار).

[٢٦٧]
مثواه الأخير؟

سؤال:

ما حكم قولهم: دُفن في مثواه الأخير؟

الجواب:

قول القائل: «دفن في مثواه الأخير» حرام ولا يجوز.

لأنك إذا قلت في مثواه الأخير، فمقتضاه أنَّ القبر آخر شيء له، وهذا يتضمن إنكار البعث.

ومن المعلوم لعامة المسلمين أنَّ القبر ليس آخر شيء، إلاَّ عند الذين لا يؤمنون باليوم الآخر فالقبر آخر شيء عندهم، أما المسلم فليس آخر شيء عنده القبر...

لهذا يجب تجنُّب هذه العبارة، فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير؛ لأن المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة[١].

[٢٦٨]
يقول: أكون يهودياً إذا فعلت كذا

بعض الناس إذا أراد أن يؤكد كلامه يقول: «أكون يهودياً إذا كنت فعلت هذا الفعل»! فهل هذا الكلام يعتبر كفراً، ويُخرجُ الشخص من دين الإسلام، علماً بأن الشيء الذي حلف عليه قد فعله؟

---

(١) من إجابة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مجلة التوحيد (مصر) ع ٣ (١٤٢٣هـ)، ص ٥٢.

الفقهاء قالوا: إنه لا يكفر بهذا القول إلاَّ إذا أضمر الكفر في قلبه، وليس عليه كفارة.

وبعض الفقهاء قالوا: إن عليه كفارة يمين.

والقول الأول هو الصحيح لقوله ﷺ: «من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلاَّ الله»، ولم يذكر في الحديث كفارة.

وقال ﷺ: «من حلف بملَّة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال». (رواه الجماعة إلاَّ أبا داود). والمراد من ذلك التغليظ حتى لا يجترىء أحد عليه.

وقال بعض الشافعية: ظاهر الحديث أن يُحكم بكفره إذا كان كاذباً.

والتحقيق التفصيل: فإن اعتقد تعظيم ما ذكر كفر. وإن قصد حقيقة التعليق فينظر، فإن أراد أن يكون متصفاً بذلك كفر، لأن إرادة الكفر كفر. وإن أراد البعد عن ذلك لم يكفر، لكن هل يحرم عليه ذلك أو يكره تنزيهاً؟ الثاني هو المشهور (نيل الأوطار ٧/ ٢٤٢)[١].

[٢٦٩]
استخدام الأدوية لمنع الحيض

جاء في منار السبيل (في الفقه الحنبلي):

ويجوز للرجل شرب دواء يمنع الجماع لأنه حقٌّ له، وللأنثى شربه لحصول الحيض ولقطعه؛ لأنه الأصل حتى يرد التحريم، ولم يرد. اهـ.

---

(١) المجتمع ع ١٤١٧ (١٤/ ٦/ ١٤٢١هـ) من إعداد الدكتور عجيل النشمي، ص ٥٨.

وهذا الجواز مشروط بعدم الضرر.

فقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن هذه المسألة فأجاب:

لا حرج أن تأخذ المرأة حبوب منع الحيض تمنع الدورة الشهرية أيام رمضان حتى تصوم مع الناس، وفي أيام الحج حتى تطوف مع الناس ولا تتعطل عن أعمال الحج.

وإن وجد غير الحبوب شيء يمنع الدورة فلا بأس إذا لم يكن فيه محذور شرعاً ومضرة[1].

[٢٧٠]
مدُّ الرجلين إلى القبلة

قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية»:

فصل في كراهة إسناد الظهر إلى القبلة في المسجد: ويُكره أن يُسند ظهره إلى القبلة. قال أحمد ــ يعني الإمام ــ: هذا مكروه. وصرَّح القاضي بالكراهة، قال إبراهيم: كانوا يكرهون أن يتساندوا إلى القبلة قبل صلاة الفجر. رواه أبو بكر النجاد...

إلى أن قال: (فصل في كراهة مدّ الرجلين إلى القبلة): ذكر غير واحد من الحنفية ــ رحمه الله ــ أنه يُكره مدُّ الرجلين إلى القبلة في النوم وغيره. وهذا إن أرادا به عند الكعبة ــ زادها الله شرفاً ــ فمسلَّم، وإن أرادوا مطلقاً ــ كما هو ظاهر ــ فالكراهة تستدعي دليلاً شرعياً، وقد ثبت في الجملة استحبابه أو جوازه، كما هو في حق الميت. قال في «المفيد» ــ من

---

(١) دراسة شرعية لبعض النوازل الفقهية المعاصرة/ أحمد بن ناصر بن سعيد. ــ مكة المكرمة: مكتبة سالم، ١٤٢٢هـ، ص ١٨٤.

كتبهم ــ : ولا يمدُّ رجليه ــ يعني: في المسجد ــ ؛ لأن في ذلك إهانة له. ولم أجد أصحابنا ذكروا هذا، ولعل تركه أولى.

ولعل ما ذكره الحنفية ــ رحمهم الله ــ من حكم هاتين المسألتين قياس كراهة الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ الاستناد إلى القبلة، كما سبق، فإن هاتين المسألتين في معنى ذلك، والله أعلم[1].

[٢٧١]
... السجادة التي فيها صورة الكعبة

سؤال:

هل يجوز دوس السجادة بالقدمين على الموضع الذي فيه صورة الحرمين الشريفين؟

وهل يجوز استعمال السجادة لغير الصلاة؟

جواب:

أجاب الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل:

لا أعلم في استعمال السجادة لغير الصلاة مانعاً شرعيًا، ولا محذوراً في دوسها بالقدمين على الصورة التي فيها، فإن الإنسان يدخل الكعبة ــ وهي بيت الله تعالى ــ ويدوسها بأقدامه من غير نكير.

لكن البحث الذي هو أهم من هذا هو استنكار الصلاة على السجادة التي فيها نقوش وتصاوير...[2].

---

(١) نقلاً من: فتاوى ابن عقيل (عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل). ــ القاهرة: دار الأصالة، ١٤٢١هـ، ص ٤٠٤ (ج ٢).

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٢، (ج ٢).

[٢٧٢]
حكم المصافحة بعد الصلاة

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: ما حكم المصافحة بعد الصلاة، وهل هناك فرق بين صلاة الفريضة أو النافلة؟

فأجاب:

الأصل في المصافحة عند اللقاء بين المسلمين شرعيتها، وقد كان النبي ﷺ يصافح أصحابه رضي الله عنهم إذا لقيهم، وكانوا إذا تلاقوا تصافحوا.

قال أنس رضي الله عنه والشعبي رحمه الله: كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا.

وثبت في الصحيحين أن طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم قام من حلقة النبي ﷺ في مسجده عليه الصلاة والسلام، قام إلى كعب بن مالك رضي الله عنه لما تاب الله عليه فصافحه وهنأه بالتوبة، وهذا أمر مشهور بين المسلمين في عهد النبي ﷺ وبعده.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: **«ما من مسلمين يتلاقيان فيتصافحان إلاَّ تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات عن الشجرة ورقها»**.

ويستحب التصافح عند اللقاء في المسجد أو في الصف، وإذا لم يتصافحا قبل الصلاة تصافحا بعدها تحقيقاً لهذه السنة العظيمة. ولما في ذلك من تثبيت المودة وإزالة الشحناء.

لكن إذا لم يصافحه قبل الفريضة شرع له أن يصافحه بعدها بعد الذكر المشروع.

أما ما يفعله بعض الناس من المبادرة بالمصافحة بعد الفريضة من حين يسلم التسليمة الثانية فلا أعلم له أصلاً، بل الأظهر كراهة ذلك لعدم الدليل عليه، ولأن المصلي مشروع له في هذه الحال أن يبادر بالأذكار الشرعية التي كان يفعلها النبي ﷺ بعد السلام من صلاة الفريضة.

وأما صلاة النافلة فتشرع المصافحة بعد السلام منها إذا لم يتصافحا قبل الدخول فيها، فإن تصافحا قبل ذلك كفى[1].

* وأجاب الأستاذ الدكتور عجيل النشمي عميد كلية الشريعة بالكويت عن هذا السؤال فقال:

المصافحة من السُّنَّة، أجمع العلماء على أن المصافحة سُنَّة.

فقد روى قتادة رضي الله عنه قال: قلت لأنس رضي الله عنه: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ، قال: «نعم» (البخاري ٨/ ١١٧).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان فيصلِّيان عليَّ إلاَّ غفر الله لهما قبل أن يتفرَّقا» (الترمذي وأبو داود وغيرهما).

هذا شامل لمصافحة الرجل للرجل، والمرأة للمرأة.

أما المصافحة بعد الصلوات، فقد اختلف الفقهاء فيها:

فمنهم مَن استحبّها خاصة بعد صلاة الصبح والعصر.

ومنهم مَن أباحها.

ومنهم مَن كرهها.

ولم يقل أحد بحرمتها، أو أنها بدعة ضلالة.

---

(١) جريدة العالم الإسلامي (فاتني توثيقها، ولعلها لعام ١٤٢٣هـ).

والقول بالاستحباب أقواها دليلاً.

والحجة فيه: أن الأحاديث الحاثة على المصافحة عامة، ولم تخصص في وقت دون وقت.

ولما روي عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: **«خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عترة ــ عصاة ــ تمرُّ من ورائها المرأة، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم، قال أبو جحيفة: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب من رائحة المسك»** (البخاري ٦/ ٥٦٥).

قال المحب الطبري: ويستأنس بذلك لما تطابق عليه الناس من المصافحة بعد الصلوات في الجماعات، ولا سيما في العصر والمغرب إذا اقترن به قصدٌ صالح من تبرُّك أو تودُّد أو نحوه.

وقال الإمام النووي: اعلم أن هذه المصافحة مستحبة عند كل لقاء.

وأما ما اعتاده الناس من المصافحة بعد صلاتي الصبح والعصر، فلا أصل له في الشرع على هذا الوجه، ولكن لا بأس به.

ومن كلام العز بن عبد السلام: أن مصافحة من كان معه قبل الصلاة مباحة، ومن لم يكن معه قبل الصلاة سنة.

واعتبر ابن عبد السلام المصافحة عقيب الصبح والعصر من البدع المباحة.

وحجة من قال بالكراهة: خشية اعتقاد العوام أنها سنة في خصوص ما بعد الصلوات، وأن لها خصوصية زائدة على غيرها من المواضع[1].

---

(١) المجتمع ع ١٤١٤ (٢٢/ ٥/ ١٤٢١هـ)، ص ٥٨.

[٢٧٣]
فتاوى في الحرم

ـ هل الأفضل تكرار الطواف أم التطوع بصلاة؟

الأفضل للإنسان ما هو أنفع لقلبه، فأحياناً يكون الطواف أفضل إذا كان المطاف خالياً وكان الإنسان يجد من نفسه الخشوع وحضور القلب أكثر مما لو كان يصلي. وأحياناً يكون الأمر بالعكس، كما لو كان المطاف مزدحماً والصلاة أخشع له وأحضر لقلبه، ففي هذه الحال تكون الصلاة أفضل من الطواف. (ابن عثيمين).

ـ ما حكم إخراج تربة مكة منها، وكذلك إخراج ماء زمزم من مكة؟

لا بأس بإخراج تراب مكة إلى الحلّ، ولا بأس بإخراج ماء زمزم إلى الحلّ (ابن عثيمين).

ـ هل هناك خصوصية لحمام مكة والمدينة؟

ليست هناك خصوصية لحمام مكة ولا لحمام المدينة، سوى أنه لا يُصاد ولا ينفَّر ما دام في حدود الحرم. . (ابن باز).

ـ هل يجوز صيد بعض الطيور خارج الحرم، ثم يدخل به الحرم وهو حي؟

إذا صاد بعض الطيور المباحة أو غيرها من الصيد خارج الحرم، ثم دخل بها الحرم فلا حرج عليه في ذلك، لأنه ليس من صيد الحرم في أصح قولي العلماء. (ابن باز)[١].

---

(١) فتاوى لأهل الحرم/ لابن باز وآخرين؛ جمع وترتيب دخيل الله المطرفي. ـ الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢١هـ، ص ٢٧، ٥٩، ٦١.

[٢٧٤]
«معطّرات الجو» هل تفطر؟

سؤال: هل يجوز للصائم أن يشم الروائح التي تكون على شكل رذاذ سائل وهو المسمى «البخاخ المعطر للجو»؟

جواب: الروائح إن كانت بالوصف المذكور، لا تفطر إلاَّ إذا دخل شيء من رذاذ البخاخ إلى الفم أو الأنف وأحسه في حلقه، قياساً على البخور إذا أدخل الصائم دخانه حتى أحسه في حلقه فإنه يفطر، وإن لم يصل البخور إلى الحلق فإنه لا يفطر على ما ذهب إليه الحنفية والمالكية.

وأما العطور التي لا جرم لها فإنها لا تفطر إذا شمها الصائم عند الحنفية. وكرهها المالكية والشافعية. وعند الحنابلة لا يكره، إلاَّ إذا كان الطيب مسحوقاً، لاحتمال أن شمه يجذب بعضه إلى أنفه.

ولعل القول بعدم الكراهة في شم الطيب والعطور التي لا جسم لها هو الأولى، لأنه على حكم الأصل، ولا يدخل الحلق أو الجوف منه شيء[١].

[٢٧٥]
حكم نقل الموتى إلى المدينة المنورة

وردت أحاديث عامة في فضل الموت بالمدينة المنورة، كما في قوله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل، فإني أشفع لمن مات بها»[٢].

---

(١) المجتمع ع ١٣٣٤ (٢٥/٩/١٤١٩هـ)، ص ٥٩، من إجابة الأستاذ عجيل النشمي عميد كلية الشريعة بالكويت.

(٢) رواه أحمد والترمذي. ونقل تصحيح أحمد شاكر والألباني له.

أما الذي يموت خارج الحرم ويطلب نقله إلى المدينة، فإنه إما أن يكون بعيداً أو قريباً. والقريب يُنقل، أما البعيد ففيه تفصيل. قال أحمد: ما أعلم بنقل الرجل يموت في بلده إلى بلد أخرى بأساً.

ولكن ينبغي أن يقيَّد ذلك بما لم يتغيَّر، لأن التعجيل في دفنه أخف لمؤنته وأسلم له من التغيير. وإذا كان الميت خارج المدينة وتوفرت الوسائل لدفنه فيها دون مشقة أو عسر على الميت أو الناقلين له، فإن الظاهر الجواز.

قال ابن حجر رحمه الله: واختلف في جواز نقل الميت من بلد إلى بلد، فقيل: يكره، لما فيه من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته. وقيل: يستحب. والأولى تنزيل ذلك على حالتين، فالمنع حيث لم يكن هناك غرض راجح، كالدفن في البقاع الفاضلة، وتختلف الكراهة في ذلك، فقد تبلغ التحريم. والاستحباب حيث يكون ذلك بقرب مكان فاضل، كما نص الشافعي على استحباب نقل الميت إلى الأرض الفاضلة كمكة وغيرها. والله أعلم[١].

[٢٧٦]
كيف ومتى يأخذ الأب من مال ابنه؟

سئل الشيخ عبد الله الفوزان: سمعت حديثاً عن المصطفى ﷺ يقول: «أنت ومالك لأبيك»، وقد سمعت أن في هذا الحديث ضعفاً، ما صحة هذا يا فضيلة الشيخ؟

(١) الأحكام الفقهية المتعلقة بالمدينة المنورة/ يوسف المحمدي. ــ المدينة المنورة المؤلف، ١٤١٩هـ، ص ٨٢ ــ ٨٧ (باختصار).

فأجاب: هذا الحديث ليس بضعيف؛ لشواهده. ومعنى ذلك أن الإنسان إذا كان له مال فإن لأبيه أن يتبسط بهذا المال، وإن يأخذ من هذا المال ما يشاء، لكن بشروط:

الشرط الأول: ألاَّ يكون في أخذه ضرر على الابن، فإن كان في أخذه ضرر، كما لو أخذ غطاءه الذي يتغطى به من البرد، أو أخذ طعامه الذي يدفع به جوعه، فإن ذلك لا يجوز للأب.

الشرط الثاني: أن لا تتعلق به حاجة للابن، فلو كان عند الابن أَمَةٌ يتسرَّاها فإنه لا يجوز للأب أن يأخذها، لتعلق حاجة الابن بها، وكذلك لو كان للابن سيارة يحتاجها في ذهابه وإيابه وليس لديه من الدراهم ما يمكنه أن يشتري بدلها، فليس له أن يأخذها بأي حال.

الشرط الثالث: أن لا يأخذ المال من أحد أبنائه ليعطيه لابن آخر، لأن في ذلك إلقاء للعداوة بين الأبناء، ولأن فيه تفضيلاً لبعض الأبناء على بعض إذا لم يكن الثاني محتاجاً، فإن كان محتاجاً، فإن إعطاء الأب أحد الأبناء لحاجة دون إخوته الذين يحتاجون ليس فيه تفضيل، بل هو واجب عليه.

على كل حال هذا الحديث حجة، أخذ به العلماء واحتجوا به، ولكنه مشروط بما ذكرنا، فإن الأب ليس له أن يأخذ من مال ابنه ما يضره، وليس له أن يأخذ من مال ولده ما يحتاجه الابن، وليس له أن يأخذ من مال ولده ليعطي ولداً آخر. والله أعلم[1].

---

(١) المنتقى من فتاوى الفوزان ٥/٢٢٩ (نقلته من: فتاوى لكبار السن/ جمع وإعداد دخيل الله المطرفي. ـ الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢١هـ، ص ٢٧ ـ ٢٩).

[٢٧٧]
استبدال سيارة ودفع الفرق

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين: عندي سيارة قديمة، استبدلتها بسيارة جديدة، ودفعت الفرق، ما حكم هذا البيع؟

فأجاب رحمه الله: لا بأس بهذا، يعني يجوز الإنسان أن يبدل سيارة قديمة بسيارة جديدة ويضيف إلى السيارة القديمة دراهم، لأن السيارات ليس فيها الربا، وقد كان الرسول ﷺ يأخذ البعير إلى إبل الصدقة ويعطي عنها بعيرين، ويأخذ البعيرين ويعطي ثلاثة. والربا لا يجري إلاَّ في المطعومات التي تقتات، مثل التمر والشعير والبر والرز والذرة وما أشبهها، أو في الذهب والفضة. وأما السيارات والأواني والدور والإبل والبقر والغنم فليس فيها ربا[١].

[٢٧٨]
طبخ الطعام بقليل من النبيذ

سؤال: ما الحكم في طبخ الطعام بقليل من النبيذ، علماً بأن الكحول خلال الطهي يَفقد خاصِّيته المُسْكِرة، ولا يبقى منه شيء سوى نكهة الفاكهة التي صنع منها:

الجواب: لا يجوز مزج النبيذ المُسْكر بأي طعام، سواء بقي النبيذ على حاله أو استهلكته حرارة الإنضاج، وسواء فقد خاصِّية الإسكار أو بقيت

(١) فتاوى السائقين/ جمع وترتيب دخيل الله المطرفي. ـ الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢٢هـ، ص ١٥.

موجودة فيه. هذا بالإضافة إلى أن الطعام ينجس بملاقاة هذه المادة المُسكرة، ولا سيما أن ذلك لا تستدعيه أي ضرورة أو حاجة أو حتى هدف تحسيني مشروع![1]

[٢٧٩]

البيرة التي تحوي نسبة ضئيلة من الكحول

سئل الأستاذ الدكتور عجيل النشيمي عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت:

● ما حكم الشرب أو المتاجرة بما يسمى «بيرة بلا كحول أو بيرة الشعير»، علماً بأنها تحمل مسميات لمشروبات مسكرة، لكنها تصنع الآن خالية من الكحول، فهل يجوز شربها أو المتاجرة بها؟ وما الحكم فيمن شربها على أنها خالية من الكحول، ثم تبين أن فيها نسبة من الكحول ولكنه لم يسكر، هل عليه إثم؟ ومن يتحمل مسؤولية ذلك؟

فكان مما أجاب فضيلته:

● علة حرمة الخمر هو إسكارها، فإذا انتفى الإسكار انتفت الحرمة، فلا ريب أن انتفاء صفة الخمر وحكم الحرمة ينتفي بذهاب خاصية الإسكار، ولذلك اتفق الفقهاء على أن الخمر إذا تخللت، أي أصبحت خلاًّ بنقلها مثلاً من الظل إلى الشمس أو بالعكس، حل شربها لأنها أصبحت خلاًّ لا خمراً.

وعلى هذا، فالحكم الأصلي للبيرة وغيرها الواردة في السؤال، وهي المنزوعة الخالية من الكحول المسبب للسكر، الحِلّ.

---

(١) مع الناس: منشورات وفتاوى/ محمد سعيد رمضان البوطي. ط ٣. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ، ص ١٦٨.

لكن ينبغي ملاحظة أمرين:

الأول: ألاَّ يكون من السهل تحويل هذه المشروبات إلى مشروبات مسكرة، بأن تكون مكونات الخمرة مهيأة، وبإضافة أشياء معينة تتحول إلى خمر، لئلا يكون رواج هذه المشروبات ذريعة لرواج المشروبات المسكرة، وهذا إنما يقدره أهل الاختصاص، فإن قدر أهل الاختصاص صحة ذلك، ورأى ولي الأمر أن هذه المشروبات قد أساء الناس شربها، فحولها الكثير منهم إلى مسكرات، فله أن يمنعها وإن كانت في أصلها حلالاً، فإن من صلاحية ولي الأمر أن يقيِّد المباح أو يمنعه، وقد منع الفقهاء بيع العنب لمن يتخذه خمراً.

الثاني: أن المسميات المعهود اختصاصها بالخمور المرتبطة بالفسقة المدمنين لها، والمعهود أن أهل الصلاح لا يمسونها، ولا يدخلونها بيوتهم، فإن الأولى تغيير تلك المسميات والشكل، فإن اعتياد شربها خالية من الكحول على صفتها وشكلها، قد تجد النفس الضعيفة معه مما يدفعها إلى تجربة شربها مسكرة.

وعلى كل حال، فإن هاتين الملاحظتين لبيان الأولى ولا تغيران من حكم حِلِّ شرب ما لا يسكر والمتاجرة به، وإنما هي محاذير غير مضطردة، فقد تحدث لبعض الناس دون البعض الآخر، وإنما يُدار الحكم مع الأغلب، وولي الأمر يقدِّر في جميع الأحوال المصالح والمفاسد.

* أما من تناول مشروب الشعير أو غيره مما هو في الأسواق ــ والشأن ألاَّ يسمح ببيع إلاَّ ما كان مباحاً خالياً من الكحول ــ فإنه لا إثم على من شربه، لأن الأصل أنه شرب ما لا يسكر وليس فيه كحول، فيُعامل على نيّته، كمن شرب لبناً فأسكره لتخمره، أو من وصف الطبيب له دواء فأكثر منه فأسكره، فهذا يسمى سكراً بمباح، أي أن سببه مباح، ولذلك لم

يوقع جمهور الفقهاء طلاق من سكر بمباح، وإنما ارتفع الإثم عنه لعدم علمه، أو لجهله، فهو كحكم النائم والمغمى عليه والمخطىء والفاسق أو المكره، وقد ورد في الحديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

ويقع الإثم والمسؤولية ولا ريب على التاجر والشركة المروجة، إذا كانوا يعلمون بوجود مادة الكحول بنسبة مسكرة. ويستحق من تسبب بذلك العقوبة التعزيرية التي يقدرها القاضي، فإن لم يعلموا أن المصنِّع قد ضمَّن مكوناته الكحول فالمسؤولية على المصنع.

وفي جميع الأحوال فإن الجهات الرسمية المعنية مسؤولية عن التحقيق من عينات المشروب قبل نزوله إلى الأسواق.

هذا كله، فيما لو كانت النسبة الموجودة في هذه الأشربة مسكرة، وأما أن بيرة الشعير أو الباربيكان أو غيرهما قد تبين أن فيهما نسبة من الكحول غير مسكرة ٠١٧ ,٠٪، فنقول: إن نسبة الكحول غير المتعمد وضعها في الشراب، وإنما وجدت لطبيعة المشروب أو طول تخزينه، لا تؤثر في الحرمة، إذا لم تزد على نسبة معينة، وهذه النسبة ينبغي تحديدها من أهل الخبرة، ويلتزم فيها بما ثبت من تجارب المختصين في انتباذ التمر والزبيب بمثل ما كان يعمل للنبي ﷺ، وقد رجحت هيئة الفتوى أن نسبة خمسة في الألف نسبة لا تؤثر في الإسكار، فيجوز الشراب إذا كانت فيه هذه النسبة وما دونها، على ألَّا تكون بفعل فاعل، وإنما نتيجة عوامل التخزين ونحوها.

ولقد ثبت أن العصائر الموجودة في الأسواق لا تخلو من نسبة من الكحول قد تفوق ما هو في شراب الشعير أو الباربيكان، فيلزم من تحريم الأخير تحريم جملة إن لم يكن سائر العصائر المتداولة، وفي ذلك من العسر

ما لا يقبله ديننا، وما زال المسلمون يشربون ما فيه نسبة ضئيلة من الكحول منذ عهد النبـي ﷺ وفي الانتباذ خاصة.

ومقياس الحل والحرمة هو الإسكار.

ومما ينبغي إضافته هنا: كراهة أن يعتمد المسلمون على تصنيع هذه الأشربة على المصانع المتخصصة أصلاً في صنع الخمور، لما في ذلك من إعانة على المنكر، شبيه بالتعامل مع البنوك الربوية في غير التعامل الربوي، فإنه برغم حلِّه، إلاَّ أن فيه إعانة على المنكر، فالأولى أن يكفي المسلمون أنفسهم حاجتهم، وألاَّ يعينوا غيرهم إلاَّ في حلال أو بر أو منفعة عامة[1].

[٢٨٠]
حكم دخول العلماء على الأمراء

الأصل في دخول العلماء على الأمراء الجواز.

فإذا اقترن بالدخول أمرٌ يُحمد شرعاً، كان الدخول مستحباً، أو واجباً.

وإذا اقترن بالدخول أمرٌ مذمومٌ شرعاً، كان الدخول منهيّاً عنه، لا لذاته، بل لما اقترن به من الأمر المذمومِ شرعاً.

وقد دلَّ على ذلك أدلَّة خاصة ثبتت عن النبي ﷺ وعن صحابته الكرام[2].

---

(١) المجتمع ع ١٤٠٨ (٩/ ٤/ ١٤٢١هـ)، ص ٥٨.

(٢) «قطع المراء في حكم الدخول على الأمراء»/ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٠هـ، ص ٧. وساق من بعد الشواهد والأدلة.

[٢٨١]

هل يجوز تلقيب الأعمى بالأعمى؟

قال الحافظ ابن حجر في «نزهة الألباب»:

من لُقِّبَ بما يكرهه لم يجز أن يدعىٰ به إلاَّ عند قصد التعريف به، ليتميز عن غيره بغير قصد ذمٍّ. . .

وقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن الرجل يقول: حميد الطويل، حميد الأعرج؟

فقال: إذا أراد صفته ولم يرد عيبه فلا بأس.

كما ذكر عن الإمام أحمد في الرجل يعرف بلقبه فقال: إذا لم يعرف إلاَّ به جاز، ثم قال: الأعمش إنما يعرفه الناس بهذا، فسهل في مثله إذا اشتهر به.

وقال في «شرح الروض»: يحرم تلقيبه بما يكره وإن كان ما لقب به فيه، كالأعمش والأعمى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١١]، أي لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه.

ويجوز ذكر اللقب المذكور لمن لا يعرف إلا به.

وقال ابن حجر أيضاً: . . . ثم متى أمكن التعريف بغير اللقب فهو أولى، بل إذا أمكن بغيره وهو يكره ذلك حرم. . .(١)

---

(١) ينظر: إنباء الخلان بأحكام العميان/ محمد بن عبد الرحمن الأهدل. ــ الطائف: دار البيان الحديثة، ١٤٢٠هـ، ص ١٣٤ ــ ١٣٥.

[٢٨٢]
قص الشريط

سئل الشيخ عبد الله عبد الرحمن الجبرين:

اعتاد بعض الناس عند عمل معارض أو افتتاح مشاريع بعمل شريط يقص عند الاحتفال، وبعض المسلمين يسبقه بالبسملة والسؤال بالبركة من الله في نجاح المشروع، فهل هذه العادة مرتبطة ببعض العادات القديمة بين المسلمين أم هي مجرد تقليد؟ وهل توجد ظروف مشابهة بقص الشريط في العهود الإسلامية تختص بالافتتاحات الإسلامية؟

فأجاب: لا أعرف أصلاً لهذه العادة، ولا فائدة فيها، ولم تكن من عمل المسلمين في سابق الزمان، وإنما هو مجرد تقليد للبلاد الأجنبية، وإنما جاء الإسلام بالاستخارة في الأمور قبل البدء في العمل، والدعاء بالبركة وكثرة الخير والتوفيق من الله تعالى في نجاح ذلك المشروع وفلاحه.

ثم بعد ذلك عليه أن ينصح فيه ويخلص في عمله، ويسوِّي بين القريب والبعيد، ويتجنب الغش والظلم والمخادعة، ويقوم بالأمانة وإنجاز الأعمال، ويحتسب في ذلك الأجر من الله تعالى ونفع المسلمين، ويقوم بحق الله عز وجل من أداء العبادات وفعل القربات وترك المحرمات.

فمتى حصل ذلك، رُجي له النماء والنجاح، واشتهر بذلك بين الناس، ورغبوا في معاملته، وحصل له ربح كثير، وخير كثير[١].

---

(١) البدع والمحدثات وما لا أصل له/ جمع وإعداد حمود المطر، ص ٥٨٣.

[٢٨٣]
تنكيس الأعلام وتعطيل الأعمال

ذكر الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أن ما جرت عليه عادة كثير من الناس عند موت العظماء من ملك أو أمير من تنكيس الأعلام، وتعطيل الأعمال، هو بدعة منكرة لا يجوز فعله، لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك.

وذكرت الفتوى أن النبي ﷺ قد تُوفي والمصيبة به أعظم المصائب فلم ينكس الصحابة الأعلام، ولم يعطلوا الأعمال، ثم توفي الصديق رضي الله عنه بعد ذلك وهو أفضل الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكسوا الأعلام ولم يعطلوا الأعمال، ثم توفي عمر رضي الله عنه بعد ذلك قتيلاً، فلم ينكس الصحابة رضي الله عنهم الأعلام، ولم يعطلوا الأعمال، ثم قتل عثمان، ثم قتل علي رضي الله عنهما فلم يفعل الصحابة رضي الله عنهم شيئاً من ذلك.

وقال رحمه الله: إن الواجب السير على نهج الصحابة، والتأسي بهم، والحذر من البدع، لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»، ولقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقال: إن الواجب عند المصائب الصبر والاحتساب، والقول كما قال الصابرون: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾، وقد وعدهم الله على ذلك خيراً كثيراً، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

وذكرت الفتوى إن الإحداد على الميت من خصائص النساء لقول النبي ﷺ: «لا تحدّ امرأة على ميت فوق ثلاث إلاَّ على زوج أربعة أشهر وعشراً»[١].

[٢٨٤]
نشرة الأخبار تقرأها المرأة

سئل الشيخ عبد الله بن جبرين: ما حكم مشاهدة النشرات التي تقدمها مذيعات ومراسلات في القنوات الأجنبية؟

فأجاب: لا شك أن النظر إلى المرأة المتكشفة المتبرجة حرام؛ لأنه مما يخشى منه الفتنة والوقوع في الحرام، ولو أن الكثير من الناس قد اعتادوا هذا النظر فإن ذلك لا يبرر الجواز. فعلى هذا إذا عرضت هذه النشرات اقتصر على السماع دون النظر، كما في سماع الإذاعة الصوتية. وقد يكتفي بالنشرات المقروءة في الصحف أو التي تذاع في التلفاز بصوت الرجال أمام الرجال دون النساء، حرصاً على صيانة البصر والقلب عن كل ما يجلب السوء أو يوقع في الفحشاء. والله أعلم[٢].

[٢٨٥]
حكم وليمة العرس

الوليمة طعام العرس، والراجح أنها سنة مؤكدة، وإليه ذهب الحنفية، والمشهور من مذهب المالكية، والشافعية على الصحيح، وهو مذهب الحنابلة.

---

(١) المجتمع ع ١٣٤٣ (٥/ ١٢/ ١٤١٩هـ)، ص ٤٦.

(٢) الدعوة (السعودية) ع ١٦٦٤ (٢ رجب ١٤١٩هـ)، ص ٣٦.

والدليل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال: «ما هذا؟» قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. قال: «بارك الله لك، أَوْلِمْ ولو بشاة». متفق عليه[1].

[٢٨٦]
حدود الرقص المباح في الأعراس

جمهور الفقهاء على كراهة الرقص للرجال والنساء، وكراهته للرجال أشد.

وذهب الشافعية إلى إباحته للرجال والنساء، هذا ما لم يرافقه منكر، مثل كشف العورات، أو الموسيقى، أو اختلاط الرجال بالنساء، أو اطلاع الرجال على النساء، أو التكسُّر الشديد الذي يخرج عن المروءة... وإلاَّ منع لما رافقه[2].

[٢٨٧]
حكم الشرع في التنويم المغناطيسي

ليس ثمة ما يمنع شرعاً من اللجوء إلى التنويم المغناطيسي، سواء لمن يمارس التنويم للآخرين، أو لمن يخضع لعملية التنويم؛ بشرط أن يكون

---

(١) ينظر بالتفصيل أحكام الإطعام في الفقه الإسلامي/ زينب بنت حمد الطيار. ــ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٩هـ، ١/٤٠٧ ــ ٤١٠، (رسالة ماجستير).

(٢) بحوث وفتاوى فقهية معاصرة/ أحمد الحجي الكردي. ــ بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ص ٤١١.

الدافع إلى ذلك مصلحة معتبرة في الشرع، أي بشرط ألاَّ يكون الحامل على ذلك مخادعة الناس، أو استلاب أموالهم، أو مجرّد لهو وتضييع للوقت.

ذلك لأن الأصل في الأشياء كلها الإباحة. ولا يُحكم بالحظر أو الحرمة على شيء إلاَّ بعد وجود نص أو دليل في حكم النص على ذلك.

وليس ثمَّة نص أو دليل في حكمه يحرِّم التنويم المغناطيسي، عندما يكون مقصوداً لفائدة حقيقية معتبرة[1].

[٢٨٨]
حكم بيع الزبل

اختلف العلماء في حكم ذلك في مذهبين:

المذهب الأول: يجوز بيع الزبل.

وهو مذهب الأحناف، والراجح من مذهب المالكية، ومذهب الحنبلية في الظاهر: كروث الحمام وبهيمة الأنعام.

المذهب الثاني: لا يجوز بيع الزبل.

وهو مذهب الشافعية، وقول عند المالكية، ومذهب الحنبلية في النجس، وهو زبل البهائم غير المأكولة[2].

---

(١) مع الناس/ محمد سعيد البوطي، ص ١٩٧.
(٢) الانتفاع بالحيوان في الفقه الإسلامي/ محمد بن علي خويري. ــ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ، (رسالة ماجستير)، ص ٣٩٨.

[٢٨٩]
بيع الشّعر للزينة

اتفق أهل العلم على أنه يشترط لصحة البيع أن يكون الشيء المبيع ملكاً للبائع. ومعلوم أن أعضاء الإنسان ـ ومنها شعره ـ ليست ملكاً للإنسان، ولم يؤذن له ببيعها شرعاً، فكان بيعها داخلاً في بيع الإنسان ما لا يملك.

ثم إن بيع شعره امتهان له، والله عز وجل قد كرَّمه، فخالف مقصود الشارع من هذا الوجه.

وعلى هذا لا يجوز بيع شعر الآدمي، لانتفاء شرط صحة البيع[١].

[٢٩٠]
حكم زرع الشّعر

قال باحث معاصر:

يمكن القول بأن عملية زرع الشعر جائزة، بشرط أن يغلب على ظن الطبيب الجراح نجاح العملية، وأن لا يترتب عليها ضرر.

وعملية الزرع هذه لا تدليس فيها، لأنها معالجة للرجوع إلى الخلقة الأصلية التي جبل الإنسان عليها، فهي من باب إزالة العيب وردٌ ما نقص، وهذا بخلاف وصل الشعر المنهي عنه الذي هو من باب التحسين أو الزيادة على خلق الله تعالى.

---

(١) أحكام شعر الآدمي في الفقه الإسلامي/ عبد الله بن محمد السماعيل. ـ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ، ص ١٩٢ (رسالة ماجستير).

وهذا إذا كان النقل والزرع من الإنسان إلى نفسه.

أما إذا كان النقل والزرع من إنسان إلى غيره، فإن الحديث عنه يجرُّ إلى مسألة نقل الأعضاء الآدمية من الشخص الميت أو الحي وزرعها في الإنسان الحي، وقد اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة على قولين.

القول الأول: لا يجوز نقل الأعضاء الآدمية، وهو قول الشيخ الشعراوي والغماري والسنبهلي وعبد السلام السكري وغيرهم.

القول الثاني: يجوز نقل الأعضاء الآدمية، وهو قول صدرت به الفتوى في عدد من المؤتمرات والمجامع والهيئات واللجان...[1].

[٢٩١]
حكم زراعة الأعضاء التناسلية

لا يجوز شرعاً نقل الأعضاء التناسلية في الرجل، وهما الخصيتان والذكر، وكذلك الأعضاء التناسلية في المرأة، وهما المبيضان والرحم.

والأثر المترتب على ذلك يختلف باختلاف العضو المنقول على النحو التالي:

(أ) إذا نقلت الخصيتان من شخص لآخر، ثم لقح المتلقي لها زوجته تلقيحاً طبيعياً أو غير طبيعي، فحملت الزوجة من هذا التلقيح، ثم ولدت، فإن المولود لا ينسب إلى الزوج المنقولة إليه الخصيتان، بل يأخذ حكم ولد الزنا، وهو نسبته إلى أمه فقط.

(ب) إذا تم نقل الذكر من شخص لآخر، ثم لقح المنقول إليه الذكر

---

(١) المصدر السابق. ص ١٩٨ ــ ١٩٩ باختصار.

زوجته تلقيحاً طبيعياً أو غير طبيعي، فحملت الزوجة من هذا التلقيح، ثم ولدت، فإن المولود ينسب إلى الزوج الذي نقل إليه الذكر.

(ج) إذا لقحت المرأة بعد نقل المبيضين إليها بماء زوجها تلقيحاً طبيعياً أو غير طبيعي، فحملت، ثم ولدت، فإن المولود لا يثبت نسبه من الزوج، وإنما يأخذ حكم ولد الزنا، وهو نسبته إلى أمه فقط.

(د) إذا نقل الرحم من امرأة للتبرع به لأخرى، وتم غرسه في جسد المرأة المنقول إليها، ثم لقحت بماء زوجها تلقيحاً طبيعياً أو غير طبيعي، فحملت، ثم ولدت، فإن المولود ينسب إلى الزوجين صاحبي الماءين الذي تخلق منهما، فيحكم بأن الأب هو زوج المرأة المنقول إليها الرحم، ويحكم بأن الأم هي المرأة التي نقل إليها الرحم[1].

[٢٩٢]
عدم ردّ الطّيب

روى مسلم في صحيحه قوله ﷺ: «**مَن عُرِض عليه رَيْحان فلا يردُّه؛ فإنه خفيف المَحْمل، طيِّب الريح**».

وعن أنس رضي الله عنه أنه كان **لا يردُّ الطِّيب**، وزعمَ أن النبيَّ ﷺ **كان لا يردُّ الطِّيب**. رواه البخاري (رقم ٥٩٢٩).

وقد بوَّب له البخاري بقوله: «باب من لم يردَّ الطيب» قال ابن حجر: كأنه أشار إلى أن النهي عن ردِّه ليس على التحريم...

(١) هذه استنتاجات باحث معاصر في خاتمة بحثه: أحكام التلقيح غير الطبيعي/ سعد بن عبد العزيز الشويرخ. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٩هـ، ص ٧٠٩، (رسالة ماجستير).

وبوَّب له الإمام النووي في رياض الصالحين بقوله: في كراهة ردّ الريحان لغير عذر.

وقوله «زعم»: هو من إطلاق الزعم على القول.

قال ابن العربي: إنما كان لا يردُّ الطيب لمحبته فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره، لأنه يناجي مَنْ لا نناجي، وأما نهيه عن ردّ الطيب فهو محمول على ما يجوز أخذه لا على ما لا يجوز أخذه، لأنه مردود بأصل الشرع.

وقال القرطبي: أشار إلى قبول عطية الطيب لأنه لا مؤنة لحمله، ولا منَّة للخلق في قبوله، لجريان عادتهم في ذلك[1].

[٢٩٣]
وضع الحنّاء على الرأس

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: امرأة توضأت ثم وضعت الحناء فوق رأسها، وقامت لصلاتها، هل تصح صلاتها أم لا؟ وإذا انتقض وضوؤها فهل تمسح فوق الحنّاء أو تغسل شعرها ثم تتوضأ الوضوء الأصغر للصلاة؟

فأجاب رحمه الله:

وضع الحناء على الرأس لا ينقض الطهارة إذا كانت قد فرغت منها. .

وإذا توضأت وعلى رأسها حناء أو نحوه من الضمادات التي تحتاجها المرأة فلا بأس بالمسح عليه في الطهارة الصغرى، أما الطهارة الكبرى فلا بد أن تفيض عليه الماء ثلاث مرات.

---

(١) فتح الباري ١١/٥٦٦ (طبعة دار الفكر بلبنان)، رياض الصالحين ص ٧٨٣، (تحقيق محمد علي الصابوني) وهامشه.

ولا يكفي المسح، لما ثبت في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله إني أشد شعر رأسي أفأنقضه لغسل الجنابة والحيض؟ قال: «لا إنما يكفيك أن تحثي عليه ثلاث حثيات ثم تفيضين عليه الماء فتطهرين..».

وإن نقضته في الحيض وغسلته كان أفضل، لأحاديث أخرى وردت في ذلك. والله ولي التوفيق[1].

[٢٩٤]
حكم لبس الثوب المكلّل باللؤلؤ والمرجان للرجال

فيه ثلاثة أقوال للفقهاء رحمهم الله:

الأول: الجواز.

وبه قال بعض الحنفية، وابن العربي، والقرطبي من المالكية.

الثاني: الكراهة.

وبه قال الشافعي، وأبو المعالي من الحنابلة.

الثالث: التحريم.

وهو مقتضى كلام الحنابلة.

ورجح باحث معاصر القول الثالث، وأن تحريمه ليس لدليل يحرّم لباس اللؤلؤ والمرجان على الرجال، وإنما كان التحريم لوجود التشبه بالنساء عند لبس هذه الثياب، وهو الأمر الغالب الذي عليه أكثر الناس، والله أعلم[2].

---

(١) العالم الإسلامي ع ١٧٧٥ (٣٠/ ١٠/ ١٤٢٣هـ).

(٢) أحكام البحر في الفقه الإسلامي، ص ٤٥١.

[٢٩٥]
حكم إلقاء الحوت في النار حيّاً

اختلف الفقهاء في ذلك على الثلاثة أقوال:

القول الأول: الحرمة، وهو قول عند الشافعية.

القول الثاني: لا بأس بإلقاء الحوت في النار حيّاً، وهو مروي عن الإمام مالك، وإليه ذهب المالكية.

القول الثالث: الكراهة، وهو مروي عن الإمام مالك، وهو قول عند الشافعية، وهو مروي عن الإمام أحمد.

قال باحث معاصر: يظهر لي ـ والله أعلم ـ رجحان القول الثالث؛ لوجاهة دليلهم الأول[١]، ولعموم الأدلة التي تنهى عن التعذيب بالنار، خاصة وأنه يمكن الانتظار قليلاً حتى يموت السمك، والله أعلم[٢].

[٢٩٦]
حكم الدرّة في جوف السمكة

إذا اصطاد شخص سمكة فوجد فيها دُرَّة، فلا تخلو الدرَّة من حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون فيها أثرٌ لآدمي، مثل أن تكون مثقوبة، أو متصلة بذهبٍ أو فضة أو غيرهما، فتكون الدرَّة في هذه الحالة لقطة،

---

(١) وهو قولهم: إن إلقاءه في النار حيّاً تعذيب له، وليس به حاجة إلى ذلك، لإمكان تركه حتى يموت بسرعة، وإنما لم يحرم ذلك لأن الروح يسرع خروجها، فلم يوجد تمام التعذيب.

(٢) أحكام البحر في الفقه الإسلامي، ص ٤٤٥.

ولا يملكها الصياد. وإلى هذا ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

الحالة الثانية: أن لا يكون على هذه الدرَّة أثر لآدمي بثقب ولا بغيره، فإن اصطاد شخص سمكة ووجد فيها درَّة فهي للصياد، وذلك لأن الدرَّ يكون في البحر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾(١)، فتكون لآخذها(٢).

[٢٩٧]

بيع خاتم الذهب للرجال

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) رحمه الله:

ما حكم بيع الخواتم من الذهب المخصصة للبس الرجال إذا تيقن التاجر أن المشتري سيلبسها؟

فأجاب: بيع الخواتم من الذهب للرجال إذا علم البائع أن المشتري سوف يلبسها ــ أو غلب على ظنه أنه يلبسها ــ فإنَّ بيعها عليه حرام، لأن الذهب حرام على ذكور هذه الأمة، فإذا باعه على من يعلم أو يغلب على ظنه أنه يلبسه فقد أعان على الإثم، وقد نهى الله عز وجل عن التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ولا يحلُّ للصائغ أن يصنع خواتم الذهب ليلبسها الرجال(٣).

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٢.

(٢) أحكام البحر في الفقه الإسلامي، ص ٣٧٦.

(٣) الفتاوى الاجتماعية/ إعداد خالد الجريسي. ــ الرياض: توزيع مؤسسة الجريسي، ١٤٢١هـ ٤/ ٢٤.

[٢٩٨]
حكم افتراش جلود السباع

افتراش جلود السباع مسألة مختلف فيها بين أهل العلم على قولين:

القول الأول: أنه يحرم، وإليه ذهب الأوزاعي وابن المبارك وأبو ثور، وبه قال بعض الشافعية، وهو رواية عند الحنابلة هي الصحيح في المذهب.

القول الثاني: أنه يباح افتراش جلود السباع بعد الدباغ، وهو ظاهر قول الحنفية، وبه قال المالكية، وهو ظاهر قول الشافعية، وهو الرواية الثانية عند الحنابلة، وظاهر ما ذهب إليه ابن حزم.

قال الإمام النووي عند عرضه لمذاهب العلماء في جلود الميتة: «.. والثالث: يطهر به [أي الدباغ] كل جلود الميتة إلاَّ الكلب والخنزير والمتولد من أحدهما، وهو مذهبنا»[١].

[٢٩٩]
حكم افتراش الحرير

اختلف العلماء في حكم افتراش الحرير على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يحرم على الرجال ويباح للنساء.

وهو القول المعتمد عند المالكية، ووجه عند الشافعية صححه النووي، وإليه ذهب الحنابلة، وأبو يوسف ومحمد ــ رحمهما الله ــ من أصحاب أبي حنيفة.

---

(١) التفصيل في: أحكام الزينة/ عبير بنت علي المديفر. ــ الرياض: جامعة الإمام، كلية الشريعة، ١٤١٧هـ (رسالة ماجستير)، ص ٨٩٤ ــ ٨٩٥.

القول الثاني: أنه يباح للرجل والمرأة افتراش الحرير.

وهو قول أبي حنيفة، وقول مروي عن مالك، ووجه شاذ عند الشافعية.

القول الثالث: أنه يحرم على الرجل والمرأة افتراش الحرير.

وهو وجه عند الشافعية، صححه الرافعي وغيره، وبه قال ابن عقيل من الحنابلة.

ورجحت الباحثة القول الأول، لقوة أدلته، ولأنه إذا حرم اللبس فالافتراش من باب أولى، لأن الحاجة إليه أظهر[1].

[٣٠٠]
كتابة القرآن على الملابس والفانيلات

السؤال: ما حكم كتابة معاني بعض الآيات على الفنائل باللغة الإنجليزية من أجل الدعوة إلى الله، وكذا كتابة أسماء الأنبياء على الفنائل تحت عنوان هؤلاء رسل الإسلام، وهذه الفنائل قد يرتديها بعض الكفار، علماً بأنها قد يدخل بها دورات المياه؟

الجواب: لا يجوز كتابة القرآن على هذه الفنيلات، لما ذكر من المحذورات التي ذكرها السائل، من كون ذلك امتهاناً للقرآن، وربما دخل بها دورات المياه، وربما ألقيت وامتهنت.

فالمقصود أن كتابة القرآن على جنس الفنائل والملابس أمر ممنوع شرعاً، لاحترام القرآن وحمايته عن الإهانة.

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٨٥، ٨٩٣.

ومن يقول: إن كتابتها على الفنيلات دعوة إلى الله؛ فإن هذا كله من الباطل.

فإن الدعوة إلى الله لا تكون بإهانة القرآن، وإنما تكون بعرض دين الإسلام، وعرض فضائله والدعوة إليه، وبيان محاسنه(١).

[٣٠١]
تحريم كتابة الآيات القرآنية في لوحات تشكيلية

* وافق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر على قرار لجنة القرآن الكريم بالمجمع بتحريم كتابة آيات القرآن الكريم أو أجزاء منها بفنون خطية غير مقروءة أو كتابتها بشكل يمثل استهزاء بها.

وكانت اللجنة قد أكدت في قرار سابق على تحريم كتابة الآيات بالخطوط التي يتعذر قراءتها أو تؤدي إلى قراءة محرفة، وطالبت بتحري الدقة في كتابة الآيات القرآنية وعدم استخدام الفنون الخطية في تصميمات تشكيلية تؤدي إلى تعجيز القارىء أو قراءة القرآن بصورة غير صحيحة أو يصعب قراءتها.

ويأتي هذا القرار في أعقاب تزايد نشر بعض اللوحات الفنية بالصحف والمجلات والكتب تتضمن استخدام فنون الخط العربي في كتابة بعض الآيات القرآنية على شكل بعض الحيوانات والطيور بزعم أن ذلك لون من الفنون التشكيلية.

* ويقول الشيخ محمد الراوي إنه من غير اللائق أن يصرف القرآن لغير الغرض الذي أنزل من أجله، وهو هداية الناس، ولكتابة الآيات

---

(١) جريدة العالم الإسلامي ع ١٧٤٤ (٥/ ٣/ ١٤٢٣هـ).

لأغراض هابطة، كالسحر والدجل والشعوذة، ولا يليق استخدامها لأغراض دنيوية، كاستخدامها مناظر طبيعية، مشيراً إلى ضرورة أن تكون الخطوط الجمالية المستخدمة في كتابة القرآن في موضعها، وتمكين القارىء من القراءة بسهولة ووضوح لا لبس فيه، ولا يقبل غير ذلك شرعاً.

* ويذهب الدكتور مصطفى الشكعة إلى تحريم كتابة آيات القرآن بطريقة غير مقروءة تحريماً قاطعاً، ولا يعد ذلك من الفن الإسلامي، بل يعده لوناً من ألوان المحاربة الصريحة للإسلام، مشيراً إلى أنه لا بد من تكريم القرآن بكتابته بخط جميل واضح لا لبس فيه.

ويقول: إنه لا مانع من كتابة الآيات بفنون الخط الإسلامي بشرط سهولة القراءة وعدم تداخل الحروف والنقط والتشكيل بشكل يصعب معه قراءتها[1].

[٣٠٢]
ضوابط في جواز الأناشيد الإسلامية

١ ــ أن لا يجعلها الإنسان ديدناً له يستمع إليها بصفة دائمة، أو يجعل الأناشيد مقصودة لذاتها، بل يجعلها وسيلة لترويح النفوس، أو لتأليف قلوب المرافقين في السفر، أو لبعث الهمة على العمل الثقيل، ونحو ذلك.

٢ ــ أن لا تشتمل الأناشيد على شيء محرم، كالكذب والغلو والتكفير والتضليل...

٣ ــ أن لا تقترن الأناشيد بآلات لهو محرمة...

٤ ــ أن تسلم الأناشيد من التكسر والتخنُّث ولحون أهل المعاصي،

---

(١) المصدر السابق ع ١٧٤٢ (٢٠/ ٢/ ١٤٢٣هـ).

فلا يجوز للمنشدين إنشاد شيء بألحان تشبه الأغاني المائعة، من ناحية أوزانها وطريقة أدائها. .

٥ ــ لا يجوز للمنشدين أن ينشدوا في مجالس فيها اختلاط؛ لتحريم الإسلام اجتماع الرجل بالنساء الأجنبيات في مجلس واحد. .

٦ ــ كما لا يجوز لهم أن ينشدوا في أماكن قد أعدت أصلاً للهو المحرم، أو في مجالس تدار فيها الخمور ويقام فيها المنكر.

٧ ــ أن تسلم ألفاظ النشيد من أي مخالفة عقدية، وتخلو من التعبيرات والشطحات المجازية التي لا تليق بكمال الله تعالى، أو بجناب الرسول ﷺ، أو بشرائع الإسلام وأحكامه.

٨ ــ ألا يعتقد الداعية بالتعبد والتقرب بذوات الأناشيد وبألفاظها، فإنه ليس في الإسلام كلام ولا ألفاظ يتعبد بقراءتها غير كلام الله عزَّ وجلّ(١).

[٣٠٣]

حكم الملاكمة والمصارعة الحرة ومصارعة الثيران

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقد بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م قد نظر في موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة

---

(١) الوسائل المشروعة والممنوعة في الدعوة إلى الله تعالى/ إعداد محمد أزهري حاتم. ــ الرياض: جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ، رسالة ماجستير، ص ٤٢٤.

من حيث عدهما رياضة بدنية جائزة، وكذا في مصارعة الثيران المعتادة في بعض البلدان الأجنبية، هل تجوز في حكم الإسلام أو لا تجوز؟

وبعد المداولة في هذا الشأن من مختلف جوانبه، والنتائج التي تسفر عنها هذه الأنواع التي نسبت إلى الرياضة، وأصبحت تعرضها برامج البث التلفازي في البلاد الإسلامية وغيرها.

وبعد الاطلاع على الدراسات التي قدمت في هذا الشأن بتكليف من مجلس المجمع في دورته السابقة من قبل الأطباء ذوي الاختصاص، وبعد الاطلاع على الإحصائيات التي قدمها بعضهم عما حدث فعلاً في العالم نتيجة لممارسة الملاكمة، وما يشاهد في التلفزة من بعض مآسي المصارعة الحرة، قرر مجلس المجمع ما يلي:

أولاً ــ الملاكمة:

يرى مجلس المجمع بالإجماع أن الملاكمة المذكورة التي أصبحت تمارس فعلاً في حلبات الرياضة والمسابقة في بلادنا اليوم هي ممارسة محرمة في الشريعة الإسلامية؛ لأنها تقوم على أساس استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر إيذاءً بالغاً في جسمه، قد يصل به إلى العمى، أو التلف الحاد أو المزمن في المخ، أو إلى الكسور البليغة، أو إلى الموت، دون مسؤولية على الضارب، مع فرح الجمهور المؤيد للمنتصر، والابتهاج بما حصل للآخر من الأذى، وهو عمل محرم مرفوض كلياً وجزئياً في حكم الإسلام لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1].

---

(١) رواه مالك في الموطأ في الأقضية، ص ٧٤٥.

على ذلك فقد نص فقهاء الشريعة على أن من أباح دمه لآخر فقال له: (اقتلني) أنه لا يجوز له قتله، ولو فعل كان مسؤولاً ومستحقاً للعقاب.

وبناءً على ذلك يقرر المجمع أن هذه الملاكمة لا يجوز أن تسمى رياضة بدنية، ولا تجوز ممارستها؛ لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر، ويجب أن تحذف من برامج الرياضة المحلية، ومن المشاركات فيها في المباريات العالمية، كما يقرر المجلس عدم جواز عرضها في البرامج التلفازية كيلا تتعلم الناشئة هذا العمل السيء وتحاول تقليده.

ثانياً ــ المصارعة الحرة:

وأما المصارعة الحرة التي يستبيح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به. فإن المجلس يرى فيها عملاً مشابهاً تمام المشابهة للملاكمة المذكورة وإن اختلفت الصورة، لأن جميع المحاذير الشرعية التي أشير إليها في الملاكمة موجودة في المصارعة الحرة التي تجري على طريقة المبارزة، وتأخذ حكمها في التحريم.

وأما الأنواع الأخرى من المصارعة التي تمارس لمحض الرياضة البدنية ولا يستباح فيها الإيذاء فإنها جائزة شرعاً، ولا يرى المجلس مانعاً منها.

ثالثاً ــ مصارعة الثيران:

وأما مصارعة الثيران المعتادة في بعض بلاد العالم، والتي تؤدي إلى قتل الثور ببراعة استخدام الإنسان المدرب للسلاح، فهي أيضاً محرمة شرعاً في حكم الإسلام، لأنها تؤدي إلى قتل الحيوان تعذيباً بما يغرس في جسمه من سهام، وكثيراً ما تؤدي هذه المصارعة إلى أن يقتل الثور مصارعه.

وهذه المصارعة عمل وحشي يأباه الشرع الإسلامي، الذي يقول رسوله المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح: «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[1].

فإذا كان هذا الحبس للهرة يوجب دخول النار يوم القيامة، فكيف بحال من يعذب الثور بالسلاح حتى الموت[2]؟

[٣٠٤]
الشيخ يوسف القرضاوي بريء من هذه الأقوال

الأسئلة:

● انتشرت عن فضيلتكم في الآونة الأخيرة بعض الفتاوى، والأقوال، وأردت التأكد منكم حول مدى صحتها:

(أ) أفتيتم بجواز سباحة الرجل إذا ستر عورته مع نساء يسبحن في مايوهات بشرط ألا ينظر إليهن!

(ب) أفتيتم لجندي مسلم في الجيش الأمريكي بجواز قتاله للمسلمين إذا هاجم جيشه بلداً مسلماً بدعوى أن بينه وبين الجيش عهوداً، ومواثيق، ولكن فضلتم أن يكون في الإمداد، وألا يباشر القتال!.

(ج) أفتيتم بجواز القول للنصراني: «يا أخي».

(د) قلتم: إنكم تسمعون لفيروز، وشادية، وفايزة أحمد. كما نُشر في جريدة «الوطن» الكويتية.

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٢)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢).

(٢) نقلته من: الفتاوى الاجتماعية/ إعداد خالد الجريسي. ـ الرياض: توزيع مؤسسة الجريسي، ١٤٢١هـ، ٣/ ٨٢ ـ ٨٥.

(هـ) قلتم: إنكم تحبون مشاهدة أفلام فؤاد المهندس، وعادل إمام!

الأجوبة:

(أ) لم تصدر هذه الفتوى عني من قبل.

(ب) لم أفتِ بهذا، بل يمكن أن يعتذر الجندي المسلم في الجيش الأمريكي عن قتال من هو بمثل عقيدته، وهذا ما أفتيتُ به، وما أُفتي به، وإذا فُرض عليه القتال فلا يبادر هو بالقتال.

(ج) هذا لا مانع منه شرعاً، لأن المقصود بالأخوَّة ليست الأخوَّة الدينية، ولكن الأخوَّة الإنسانية أو الوطنية أو القومية، بدليل قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦]، ولك أن تقرأ فتوى «آفاق المسلم الإنسانية» في باب: «اسألوا أهل الذكر» بالموقع.

(د)، (هـ) هذا الحوار الذي نُشر أخيراً أجراه معي أحد الصحفيين منذ سنوات عدة، ونُشِر على حلقات عدة، لم أقرأ للأسف هذا الحوار قبل نشره، ويبدو أن الصحفي أضاف إليه أشياء من عنده لم أقلها تماماً، فلا أُسأل عنها، إنما أُسأل عما أحرره بقلمي[1].

* * *

(١) مجلة المجتمع ع ١٤١٤ (٢٢/٥/١٤٢١هـ)، ص ٥٩.

[٣٠٥]
قـوّة الزُّهـد

يقول العالم الجليل أبو الحسن الندوي:

رأينا الزهد[1] والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام:

فلا نعرف أحداً ممن قلب التيّار، وغيَّر مجرى التاريخ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الإسلامي، أو افتتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام، وخلَّف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين، وظلَّ قروناً يؤثِّر في الأفكار والآراء، ويسيطر على العلم والأدب، إلاَّ وله نزعة في الزهد، وتغلُّب على الشهوات، وسيطرةٌ على المادة ورجالها.

ولعل السرَّ في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وبصرعى الشهوات، وأسرى المعدة.

ولذلك ترى كثيراً من العبقريين والنوابغ في الأمم كانوا زهّاداً في الحياة، متمرِّدين على الشهوات، بعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء في زمانهم.

---

(١) ليس المراد به الزهد الأعجمي أو المسيحي الرهباني، فلا رهبانية في الإسلام، ولا يجوز تحريم ما أحل الله من الطيبات، إنما المراد به سمو النفس والنظر، والزهد في زخارف الحياة وفضولها وكمالياتها والتهافت على حكام الدنيا والتنافس في الجاه والمنصب.

ولأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة، ويشعل المواهب، ويلهب الروح.

والدَّعةُ والرخاوة تبلِّد الحسَّ، وتُنيم النفس، وتميت القلب[1].

[٣٠٦]
يمتنع عن تدريس الفقه!

ذكر أبو زكريا يحيى بن علي الكُتامي، أن عبد العزيز التونسي الفقيه بأغمات امتنع عن تدريس الفقه وقال: كل من يقرأه عليَّ يصير قاضياً وعوناً للظَّلَمة، فمن أراد القراءة عليَّ فعليه بالحديث وكتب الرقائق التي تحبِّب الآخرة إلى قارئه، وتبغِّض إليه الدنيا، وتقرِّبه إلى الله، وتُبعده من أبواب السلطان وتزيين الشياطين[2]!

[٣٠٧]
كلمة في التصوف الإسلامي

لقد تعوَّدنا على النفور من كلمة «الصوفية» لكثرة ما قيل عنها وفيها من المثالب. فقولٌ يجرِّدها من الإسلام، وآخر يردُّها إلى مجوسية الهند، وثالث ينسبها إلى اليونان، إلى غير ذلك مما هو معروف.

وبعد التأمل والدراسة وصلت إلى قناعة مفادها: أن تجريد فن التصوف من أصله الإسلامي وإطلاق الكفر أو الزندقة على أهله جميعاً باطل ولا يخلو من التعصب والعدوان.

---

(١) من كتابه: رجال الفكر والدعوة في الإسلام جـ ١.

(٢) معجم السفر/ أبو طاهر السلفي؛ تحقيق شير محمد زمان، إسلام آباد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٨هـ، رقم ١٥٤٠.

والحقيقة أن هذا الفن أو المسلك، مذهب إسلامي هدفه في الأصل إصلاح القلوب وتخليصها من أمراضها ورعوناتها.

وقد اعتنقه كثير من العلماء والأولياء والعباد والزهاد على امتداد تاريخنا الإسلامي العظيم، وادعاه آخرون رياء ودون اقتناع، وارتكبوا تحت مظلته الكفر كالاتحاد والحلول، والبدع كالرقص والاختلاط إلى غير ذلك.

والموقف السليم ــ إن شاء الله ــ هو أن من ظهر منه أو عليه من أهل هذا الفن شيء يخالف نصاً شرعياً يُحْكَمُ عليه بظاهر مخالفته أو لازمها ــ ولا كرامة ــ، ومن لم يظهر منه شيء يخالف شرع الله يحكم له بالفضل حسب درجته في العلم والصلاح والاستقامة.

لقد كان الإمام أحمد رحمه الله يجل المحاسبي ويتأثر بكلامه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يحترم الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله ويسميه شيخ الإسلام ــ تكرر ذلك في فتاواه ــ وكان تلميذه ابن القيم رحمه الله يعظم عبد الله بن محمد الهروي ويسميه كذلك شيخ الإسلام، وشَرَحَ كتابه منازل السائرين وهو أهم كتاب في فن التصوف. وغير هذا كثير وكثير.

ولم ينقل ــ حسب علمي ــ عن أحد من العلماء تكفير أهل التصوف على العموم، وإنما ورد تكفير أشخاص أو طوائف منهم بأعيانهم بسبب أشياء قالوها أو نسبت إليهم.

بل إن بعض العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية قال: إن الذين تفوَّهوا بالعبارات التي ظاهرها كفر يمكن أن يلتمس لهم عذر إذا كانوا في حالة فناء ولم يسعوا إليه...[1]

---

(١) قاله مأمون محمد أحمد في مقدمة كتاب فتح الودود: شرح المقصور والممدود للشيخ الكنتي الشنقيطي ص ٨.

[٣٠٨]
ابن القيم.. والتصوف

لم يرفض ابن قيم الجوزية التصوف، بل قبل بعضه ورفض البعض الآخر. وكان موقفه القبول والرضا والحب والولاء من طريقة سادات القوم الأوائل، والرد على بدع الصوفية المخالفين، وتكفير أهل الاتحاد والحلول.

ويُفهم من هذا أنه يقسم التصوف إلى سُنِّي وبدعي، وأن عقيدة الصوفية الأوائل عقيدة سلفية سنية، ثم غلب على متأخريهم البدع والضلالات.

وهو ينكر على غلاة المتصوفة ترك الأسباب، ويرى أن التوكل أرفع درجة من التفويض. وأن مقام الفناء منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، ومنه ما يذم بعضه، ويمدح البعض الآخر. وأن ذكر الله تعالى بالاسم المفرد (هو هو) غير مشروع. ويذهب إلى استحباب زيارة القبر النبوي خلافاً لمن زعم أنه يحرِّمها، ويحرِّم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، والاستغاثة والاستعانة وطلب الحوائج من غير الله تعالى شرك.

لقد ابتكر منهجاً صوفياً لم يسبق إليه، ويبدأ الطريق الصوفي السلفي بتخلي القلب عن الدنيا، ولا يشترط فيه وجود شيخ للسالك.

ويتمثل يسرُ هذا الطريق في ثمرات المقامات والأحوال، وحسن الخُلق، وبه يصل المريد بلا رياضة شاقة.

ويقوم على العلة، والمحبة، والخوف، والرجاء.

ويمتاز هذا المنهاج بالوقوف عند النص، والاتباع، واليسر، والجمع

بين الروح والجسد، ورفض التصوف الفلسفي، وعدم التأثير بغير الإسلام، والقرب من نهج سادات التصوف[1].

[٣٠٩]
هذه الدنيا!

* قال حبيب العابد: النفسُ خاطبة، وعروسُها الدنيا، ودلَّالتها الهوى، وماشطتها الشيطان، وحِجالُها النيران.

* وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، ارضوا بالدُّون من الدنيا مع الدين، كما رضي أهل الدنيا بالدون من الدين مع الدنيا.

* وقال ذو النون المصري: المؤمن يُخدع عن دنياه ولا يُخدع عن دينه، والمنافق يُخدع عن دينه ولا يُخدع عن دنياه!

* وقال الفضيل: والله لو كانت الآخرة من خزف يبقى، والدنيا من ذهبٍ يفنى، لكان حقيقاً بالمرء أن يرغب في الخزف الباقي، ويزهد في الذهب الفاني، فكيف والدنيا من خزف فان، والآخرة من ذهب باق؟!

* وقال ابن عيينة: إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطانُ والدنيا.

فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين هؤلاء ما يصنعون؟

فتقول الدنيا: دعهم، فلو تفرَّقوا لأخذتُ بأعناقهم[2]!.

---

(١) مقتطفات من كتاب «موقف الإمام ابن القيم من الصوفية»/ مصطفى مراد. ــ الشارقة: مكتبة الصحابة، ١٤٢١هـ.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي، ص ٤٨٩ ــ ٤٩٦.

[٣١٠]
حكمة وعبرة في قصة

يُروى أنَّ عيسى عليه السلام مرَّ ببعض الأنهار، فإذا بصِبيان يلعبُونَ في ذلك النَّهر، ومعهم صبيٌّ أعمى قد كُفَّ بصرُه، وهم يغمِسُونَه في الماء، ويفِرُّون منه يميناً وشِمالاً، وهو يطلُبُهم ولا يَظفَرُ بهم.

ففكَّرَ عيسى عليه السلام في أمره، ودعا ربَّه أن يَرُدَّ عليه بَصره، وأن يساوِيَ بينه وبينَ أصحابه.

فَرُدَّ عليه بصرُه، فلما فتح عينيه ورآهم وثب وثبة على واحدٍ منهم، فتعلَّقَ به، ولم يَزَلْ يغمِسُه في الماء حتَّى قتله، وطلبَ آخرَ فتعلَّق به كذلك حتَّى مات، وهرب الباقون.

فرأى عيسى عليه السَّلام ذلك، فتعجب، وقال: إلـهي، وسيدي ومولاي، أنتَ بخلقك أعلم، فدعا ربَّه أن يَرُدَّه كما كان ويكفِيَهم أمرَه.

فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السَّلام: قد كنتُ أعلمتُك وتعرَّضتَ إليَّ في حُكمي وتدبيري. فخرَّ عيسى عليه السلام ساجداً[١].

[٣١١]
امرأة من بني إسرائيل

قال وهب بن منبه:

صامت امرأة من بني إسرائيل ستين سنة لم تفطر! تقول: لعلَّ أَجلي يكون اليوم فألقى الله صائمة، وإذا كان اليوم الثاني حدَّثت نفسها بمثل ذلك، حتى أتمت ستين سنة، ثم ماتت وهي صائمة[٢]!!

---

(١) بحر الدموع/ لابن الجوزي! تحقيق إبراهيم باجس، ص ١٦٠.

(٢) ملتقط الحكايات/ ابن الجوزي. ليدز: مجلة الحكمة، ص ٢٤٧.

[٣١٢]
بين راهب ونحوي

ذكر أنه حضر بعض النحويين في مجلس ابن شمعونَ الواعِظِ، وكان مِنَ الزُّهَّادِ، فكأنَّ النَّحويَّ أخذَ على الشَّيخ لحناً في لسانه، وغلطاً في كلامه، فانقطعَ عنه النحويُّ، ولم يأتِ إلى مجلسه.

فكتبَ إليه ابنُ شمعون: أراك من الإعجاب رضيتَ أن تَقِفَ دُونَ الباب، أما سمعتَ رسالةَ بعض العارفين إلى بعض المتأدِّبين؟ كتب إليه: مَنْ اعتمدَ على ضَبْطِ أقوالِه، لحن في أفعاله، إنَّك رفعتَ وخفضتَ وجزمت، تهت وانقطعت.

ألا رَفَعتَ إلى الله جميع الحاجات؟ ألا خفضتَ صوتَكَ عَنِ المُنكرات؟ ألا جزَمْتَ نفسكَ عَنِ الشَّهوات؟ ألا نصبتَ بينَ عينيْك ميزانَ الممات؟ أما علمْتَ أنَّه لا يُقالُ غداً للعبدِ، لِمَ لَمْ تكُنْ معرباً، وإنَّما يُقالُ له: لِمَ كُنْتَ مذنباً؟[1].

[٣١٣]
تفقّدْ قلبك!

يقول الإمام القدوة الفضيل بن عياض رحمه الله:

كفى بالله مُحَبّاً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً، وبخشية الله علماً، وبالاغترار جهلاً.

يا مسكين، أنت مسيءٌ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك

(١) بحر الدموع ص ١٧١.

عالم، وتبخل وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجَلُكَ قصير، وأملك طويل!

زاد الإمام الذهبي بقوله:

إي والله صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم، وآكل للحرام وترى أنك متورِّع، وفاسقٌ وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه [أي لله][1]!

[٣١٤]
حجة.. وبرهان

* قال شقيق البلخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صلَّيتَ لِمَ لا تجلسُ معنا؟

قال: أجلسُ مع الصحابة والتابعين، أنظرُ في كتبهم وآثارهم، فما أصنعُ معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

* ومن أقوال ابن المبارك رحمه الله رحمة واسعة.

ـ ليكن مجلسُكَ مع المساكين، وإياك أن تجلسَ مع صاحب بدعة.

ـ لا يقعُ موقع الكسبِ على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله.

ـ لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح.

ـ من استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخفَّ بالأفراد ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٠.

(٢) مقتطفات من ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٨ ـ ٤٢١.

[٣١٥]
سـرّ ..!

* احرص أن يكون لك خِبءٌ من عمل، يكون سرّاً بينك وبين الله عزَّ وجل، لا يعلمه أحدٌ من الناس، حتى أقرب الأقربين إليك.

* ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤٩) في ترجمة عبد الله بن داود الخريبي أنه رضي الله عنه قال:

كانوا يستحبُّون ــ أي السلف الصالح ــ أن يكون للرجل خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ لا تعلمُ به زوجته ولا غيرها.

* وقال الزبير بن العوام رضي الله عنه ــ وسنده صحيح ــ :

من استطاع منكم أن يكون له خبءٌ من عملٍ صالحٍ فليفعل[١].

[٣١٦]
رجل.. نفعه الله بعلمه

يقول الخليفة هارون الرشيد رحمه الله: ما رأيتُ في العلماء أهيبَ من مالك، ولا أورعَ من الفضيل!

وكان قد نفعه الله بعلمه.

قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل! كان إذا ذكر الله أو ذُكرَ عنده، أو سمع القرآن، ظهرَ به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره.

---

(١) الأخفياء/ إبراهيم بن عبد الله الدويش. ــ المجمعة، السعودية، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، ١٤١٦هـ، ص ١٣، ٤٦.

وقال أيضاً: رأيت سفيان بن عيينة يقبِّل يد الفضيل مرتين!

* من أقوال هذا الإمام العارف:

ـ رهبةُ العبدِ من الله على قدر علمه بالله، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة.

ـ والله ما يحلُّ لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير حقٍّ، فكيف تؤذي مسلماً؟!

ـ من أحبَّ أن يُذكر لم يُذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكر!

ـ احذروا عالمَ الدنيا، لا يضرّكم بشكره. العلماء كثير، والحكماء قليل.

ـ من أخلاق الأنبياء: الحِلْم، والأناة، وقيام الليل.

ـ المؤمنُ يغبط ولا يحسد. الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق[1].

[٣١٧]
ورع

ـ قال خالد بن معدان رحمه الله: من لم يكن له حِلْمٌ يضبط به جهله، وورعٌ يحجزه عمّا حرَّم الله عليه، وحسن صحابة عمن يصحبه، فلا حاجة لله فيه.

ـ وقال أبو عيسى المروزي: سمعت سعيد بن المسيب في خلافة عبد الملك بن مروان يقول: لا تملأوا أعينكم من أئمة الجور وأعوانهم إلاَّ بالإنكار من قلوبكم، لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة.

---

(١) من ترجمة الفضيل بن عياض في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١.

ـ وعن إبراهيم بن الأشعث أنه سمع الفضيل بن عياض يقول: أشد الورع في اللسان.

ـ وقال أبو الوليد رباح بن الجراح: رأيت أبا شعيب أيوب بن راشد فما رأيت أحداً كان أورع منه؛ كان يكنس حيطان بيته، فإذا وقع شيء من حيطان جيرانه جمعه فذهب به إليهم[1]!.

[٣١٨]
أموالنا... ودُورنا

نلهو ونأمَنُ أياماً تُعَدُّ لنا	سريعةَ المَرِّ تطوينا ونطويها
كم من عزيزٍ سيلقى بعد عزَّته	ذُلاًّ وضاحكةٍ يوماً ستُبكيها
وللحُتوفِ تربّي كلُّ مرضعةٍ	وللفَناءِ بَرَا الأجسامَ باريها
لا تبرحُ النفسُ تَنْعي وهي سالمةٌ	حتى يقوم بنادي القومِ ناعيها
ولن تزالَ طوال الدهرِ طاعنةً	حتى تُقيم بوادٍ غير واديها
أموالنا تلك للورّاثِ نجمعها	ودُورُنا لخرابِ الدهرِ نبنيها[2]

* * *

(١) كتاب الورع/ لابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد بن حمد الحمود. ـ الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٨هـ، الأرقام ٣٢، ٧٣، ٩٤، ١٩٣.

(٢) الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات ص ١١٨.

[٣١٩]
اقرأ هذا الاستفتاء

قامت مجلة «ماري كير» الفرنسية باستفتاء للفتيات الفرنسيات، من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية، شمل (٢,٥) مليون فتاة عن رأيهن في «الزواج من العرب ولزوم البيت»، فكانت الإجابة لـ (٩٠) بالمائة منهن بـ«نعم».

والأسباب كما قالتها النتيجة هي الآتي:

١ ــ ملَّت المساواة مع الرجل.

٢ ــ ملَّت حالة التوتر الدائم ليل نهار.

٣ ــ ملَّت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء القطار.

٤ ــ ملَّت الحياة الزوجية التي لا يرى الزوج زوجته فيها إلاَّ عند اللزوم.

٥ ــ ملَّت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلاَّ حول مائدة الطعام.

ولقد كان عنوان الاستفتاء: «وداعاً عصر الحرية وأهلاً بعصر الحريم»[1]!

---

(١) رسالة إلى حواء: المجموعة الكاملة ١ ــ ٦، محمد رشيد العويد. ط ٤. ــ الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ، ص ١٩.

[٣٢٠]

القاضية السويدية

«بريجيد أولف هامر» قاضية سويدية، طافت عواصم الشرق الأوسط وقراه. حاولت أن تدرس ــ لحساب الأمم المتحدة ــ مشكلات المرأة الشرقية العربية على الطبيعة.

ترىٰ هذه القاضية أن المرأة الشرقية، في قطاعات كثيرة وبارزة من البلاد العربية، أكثر حرية من المرأة السويدية؛ لأن الحرية ــ كما تقول بريجيدا ــ هي أن يكون للإنسان عالمه الخاص المستقل، على العكس من حال المرأة السويدية، التي ليس لها عالم لا يشاركها فيه الرجل.

وتضيف بريجيدا: «إن حرية المرأة الغربية حرية وهمية؛ لأنها لم تمنح المرأة ــ في الحقيقة ــ المساواة بالرجل إلاَّ بعد أن جردتها من صفاتها الأنثوية، وحريتها الأنثوية، وحقوقها الأنثوية، لتجعل منها كائناً أقرب إلى الرجل».

«إنها حرية الغني الذي سعى للمساواة بالفقراء، وحرية ساكن الجنة الذي سعىٰ للنزول إلى الأرض».

هذا ما قالته هذه القاضية السويدية وهي تقارن بين الحرية الوهمية للمرأة الغربية والحرية الحقيقية للمرأة الشرقية. فكيف يمكن أن نقول: إن المرأة الغربية تمتلك الحرية؟ وهي أسيرة لقمة العيش، أسيرة الشقاء المقصور على الرجال، الشقاء الذي يسلب المرأة صفاتها الأنثوية، ويجعلها كائناً أقرب إلى الرجل[١]؟

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٩.

[٣٢١]
عندما يقتل الرجل أم أولاده !

كشفت إحصائية أجريت في بريطانيا أن امرأة واحدة تُقتل على يد زوجها كل ثلاثة أيام في بريطانيا، وأن ثلث النساء ضحايا العنف المنزلي، يتعرضن للعنف لأول مرة أثناء الحمل. وأن بعضهن تعرضن للعنف أكثر من ٣٥ مرة قبل أن يسعين للمساعدة.

وأوضحت الدراسة أن الخوف من الانتقام وانهيار الأسرة والمشكلات المالية من بين الأسباب التي تدفع النساء للاستمرار في علاقات تتسم بالعنف، طبقاً للدراسة التي أجرتها منظمة مساعدة النساء (Women Aid)، وهي مؤسسة خيرية تساعد أكثر من ٥٥ ألف امرأة سنوياً. وشاركت في هذه الدراسة ٤٣ قوة شرطة بريطانية وضعت في سجل واحد كل أحداث العنف المنزلي التي بلغت بها.

وأكدت «ميرا جونسون» من المنظمة أنها «لم تدهش من تعرض النساء للعنف خمسة وثلاثين مرة قبل السعي للمساعدة، فالعنف المنزلي أزمة حقيقة تواجهها المرأة لفترات طويلة. ففي المرات الأولى التي يتعرضن فيها للعنف يأملن في ألا يتكرر الأمر وأن الموقف سيتغير، إلاَّ أنه لا يتغير».

وتبين أن ربع النساء البريطانيات يعانين من العنف المنزلي في وقت من الأوقات في حياتهن. كما تقتل امرأة على يد زوجها كل ثلاثة أيام طبقاً لأرقام وزارة الداخلية.

وأضافت «إسكوتلانديارد» أن متوسط حوادث العنف المنزلي يصل إلى ٢١١ حادثة يومياً.

وكانت إحصاءات سابقة قد ذكرت أن ٦ ملايين حادثة عنف منزلي تقع

في بريطانيا سنوياً، وهو الأمر الذي يكلف الشرطة والمنظمات المعنية الأخرى ملياري جنيه إسترليني[1].

[٣٢٢]
أسرة الغرب السعيدة !

تشير الإحصائيات إلى أن ٢٥ ٪ من الجرائم التي يتم الإبلاغ عنها جرائم منزلية ارتكبها الزوج، كما أن نصف النساء المقتولات يُقتلن لأسباب عائلية.

ويصل متوسط حوادث العنف المنزلي إلى (٢١١) حادثة يومياً[2]!

[٣٢٣]
فرقٌ.. بين الكلب والزوجة !

* كشف استفتاء أجرته مجلة «كلاس» المخصَّصة لرجال الأعمال الإيطاليين، أنَّ هناك رجلاً إيطالياً من بين ثلاثة يفضِّل اصطحاب كلبه بدلاً من زوجته في وقت فراغه.

* وأشار استفتاء آخر أجرته شركة مايكروسوفت إلى أن هناك بريطانياً من بين أربعة يفضِّل العمل على الحاسوب (الكمبيوتر) عن مصاحبة زوجته[3]!

---

(١) الشرق الأوسط ع ٨٠٠٤ (٣٠/ ٧/ ١٤٢١هـ، ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٠).
(٢) مجلة الأسرة ع ٩١ (شوال ١٤٢١هـ)، ص ٧٩.
(٣) مجلة الأسرة ع ٩٠ (رمضان ١٤٢١هـ)، ص ١٥.

[٣٢٤]
كلام في الشرطة

في دراسة إحصائية موثقة حول «أبعاد الجريمة ونظم العدالة الجنائية في الوطن العربـي»[١]، مما توصل إليه الباحث:

ـ الارتفاع الملحوظ في المعدل العام للشرطة في العالم العربـي مقارنة ببقية المجموعات الإقليمية الدولية، فقد تبيَّن أن الدول العربية تحتل مكان الصدارة في حجم قوة العمل الشرطية.

ـ انخفاض القوة العاملة النسائية بجهاز الشرطة في العالم العربـي عن المتوسط العام لكافة المجموعات الإقليمية الدولية.

ـ الارتفاع الملحوظ في معدل مرتبات العاملين بجهاز الشرطة، الذي يحتل مكان الصدارة من بين كافة المجموعات الإقليمية الدولية. . .

[٣٢٥]
أهكذا يكون الأمناء على الأمن؟

* هل يمكن أن تكون هناك حرية إذا لم يكن هناك أمن؟

هل تشعر امرأة بأنها حرة حقاً إذا كانت غير آمنة على نفسها؟!!

لا شك في أنها مفارقة غريبة أن نَصِفَ امرأة بأنها حرة وهي فاقدة للأمن!

وتزداد هذه المفارقة غرابة إذا كانت هذه المرأة تعمل في مجال الأمن! بل إذا كانت وظيفتها منح الأمن الذي تفتقده.. للآخرين!!

---

(١) وهو عنوان كتاب، تأليف عبد الله بن حسين الخليفة. ـ الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢١هـ.

وتصبح هذه المفارقة في غاية الغرابة؛ حين يكون من يسلب أمن المرأة العاملة على حفظ الأمن.. رجل أمن مثلها!!!!

ألست محقاً في وضع أربع علامات تعجب في نهاية الفقرة السابقة؟! امرأة مهمتها حفظ الأمن، تفتقد الأمن، من رجل الأمن؟!!

لقد كشف مسح استطلاعي أعدته وزارة الداخلية البريطانية أن ٨٠٪ من ضابطات الشرطة، أي بنسبة أربعة إلى خمسة، يتعرضن للمضايقات الجنسية خلال نوبات العمل الرسمية.

شارك في الاستطلاع ١٨٠٠ ضابطة في عشر مديريات أمن في إنكلترا وويلز، وأشرفت عليه الدكتورة «جنيفر براون»، وهي باحثة اجتماعية في الوحدة الملحقة في مديرية أمن «نيوهامبشاير».

أليست نسبة مفزعة؟ أربعة أخماس الشرطيات ـ عفواً ضابطات الشرطة ـ يتعرضن للمضايقات الجنسية، ومتى؟ خلال نوبات العمل الرسمية!! خلال العمل على حفظ الأمن!!

* لهذا، فليس مفاجئاً أن تعتبر مصادر هيئة اسكوتلنديارد الأرقام المنشورة في التقرير الجديد غاية في الحساسية، فيما أشار ناطق باسم الداخلية البريطانية إلى أن المسح الاستطلاعي أجري في عشر دوائر أمن.

* ... إذا كان هذا حال ضابطات الأمن.. فما حال غيرهنَّ من النساء[1]؟

---

(١) إنهم يتفرجون على اغتصابها/ محمد رشيد العويد. ـ [الكويت]: المؤلف ١٤٢٠هـ، ص ٢٣.

[٣٢٦]

من وثائق المنتحرين

في دراسة أكاديمية عن «خصائص مرتكبي جريمة قتل النفس [الانتحار] في منطقة المدينة المنورة للفترة من ١٤٠٦هـ ـ ١٤١٧هـ»[١]، توصل الباحث إلى نتائج عديدة في إحصائيات دقيقة.

ومما يبعث على الأسى والحزن هو بعض ما قرأت عن ورقات كتبوها لأهليهم وذويهم قبل إنهاء حياتهم.

قال الباحث:

كان هناك (٦) أشخاص فقط بين المجموع العام للحالات التي تمت دراستها والبالغة (٨٦) حالة قد خلفوا وثائق تتعلق بظروف وأسباب قتلهم أنفسهم، ومنها:

ـ أنا اللي قتلت نفسي، حقي ما يضيع عند بدر ما دام لي إخوان.

ـ أنا تعبان من هذه الحياة ولا أريدها.

ـ قررت أن أنهي حياتي بيدي، ويتحمل ذنبي من تسبب في الفراق بيني وبين زوجتي، رغم أني أحبك كثيراً يا زوجتي المسكينة.

ـ والدي العزيز، أمي الحنون... أنا قررت أن أخرج من هذه الحياة، وأطلب منكم العفو والسماح.

ـ رسالة موجهة للأهل: كثرتم طلباتكم علي، وقررت أقتل نفسي وأرتاح.

---

(١) وهو عنوان بحث مكمل لرسالة الماجستير من إعداد أحمد حمدان الجهني. ـ الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠هـ.

[٣٢٧]
القيافة والريافة والعيافة

* القيافة هي صناعة يستدلُّ بها على معرفة الإنسان. وإنما سميت قيافة البشر لأن صاحبها ينظر إلى بشرات الناس وجلودهم، وما يتبع ذلك من هيئات الأعضاء وخصوصاً الأقدام.

* أما الريافة فهي عبارة عن تعريف الرائف للماء المستجنِّ في الأرض أقريب هو أم بعيد، بشمِّ رائحة تراب منها، ورؤية نبات بها، وحيوان مخصوص بحركة مخصوصة.

* وأما العيافة فهي عبارة عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في الطرق القابلة، وهي الأرض التي تتشكل بشكل القدم التي توضع عليها، فإن العائف يتهيأ له بهذه الصناعة أن يتبع تلك الآثار حتى يصل إلى الأماكن التي ذهب إليها الهارب من الناس أو الحيوان، فينتفع الناس بصاحب هذه الصناعة نفعاً بيناً.

.. وهذا كله من العلوم المشابهة لعلم الفراسة، الذي يكون على قسمين:

أحدهما: أن يحصل خاطر في القلب بأن هذا الإنسان من صفته كيت وكيت، من غير حصول أمارة جسمانية ولا علامة محسوسة.

والثاني: هو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة، وهو علم يقيني الأصول، ظني الفروع...[١].

---

(١) السياسة في علم الفراسة/ محمد بن أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة. ــ القاهرة: مطبعة الوطن، ١٣٠٠هـ، ص ٣ ــ ٥.

[٣٢٨]
أول سوق خيرية

أول من أنشأت سوقاً خيرية هي الملكة الهندية «نورجهان»، واسمها الأصلي «مهر النساء». واسم السوق التي أنشأتها هو «سوق الشفقة».

فكانت تجتمع الأميرات والأعيان في قصرها كل عام في يوم النيروز، وكان يعرض في ذلك السوق الأشغال اليدوية الثمينة، وكان يسوغ لكل شخص زيارة المعرض ويبتاع ما يشاء. وعند اختتام سوق المعرض توزع إيراداته الوافرة على فقراء الهند(١).

[٣٢٩]
تبادل الحديث خلال العمل يقلّل الإنتاج

أكدت دراسة بريطانية أن تبادل الحديث بين الموظفين خلال العمل ـ حتى لو تم بصوت منخفض ـ وكذلك أصوات الأجهزة والمعدات المستخدمة في المكاتب، يسبب انخفاضاً في معدل الأداء بنسبة قد تصل إلى ٦٠ ٪ في بعض الحالات.

أجرى الدراسة كل من الدكتور: سايمون بامبري ـ بوكالة أبحاث تقويم الدفاع البريطانية، والبروفيسور دايان باري من جامعة ريدنج ـ على ٢٠٠ شخص في مخبر خاص بهدف معرفة تأثير الأصوات والضجيج على إنتاجهم.

---

(١) أوليات نسائية/ عبد الرحمن بن علي الدوسري. ـ الرياض: دار سلمى، ١٤١٧هـ، ص ٣٠.

يقول سايمون: طلبنا من أفراد الاختبار أداء أعمال بسيطة تعتمد على الذاكرة، وأخرى ذهنية في جو من أصوات المكاتب كأصوات الطابعات، وأجهزة الفاكس، والهاتف، إضافة إلى ثرثرة الموظفين، ولدهشتنا وجدنا انخفاضاً كبيراً في كفاءة العمل تحت ظروف هذا الضجيج، سواء كان مجرد ثرثرة، أو أصوات الهاتف، أو أجهزة الطباعة والفاكس وغيرها، بل أدت هذه الظروف إلى انخفاض الكفاءة بما يعادل ٦٠ ٪ بالمقارنة مع العمل في جو هادىء.

ويرزت من خلال البحث مسألة أي أنواع العمل تتأثر أكثر من غيرها بالضجيج؟

وكانت النتائج متوقعة، وهي أن الأعمال التي تحتاج إلى وضع المعلومات في تسلسل صحيح هي التي تتأثر أكثر من غيرها بالضجيج، فمثلاً إذا كان الموظف يجري مكالمة هاتفية تحتاج إلى تسليم المعلومات بترتيب معين، فالضجيج الذي حوله يربك تركيزه على العمل، وسيتطلب منه جهداً أكبر، ووقتاً أطول، أما إذا كان مكلفاً بتنظيف المكتب، أو ترتيب الأثاث فيه، فإنه لن تتأثر الكفاءة، بالرغم من اللغو والصخب المحيطين به[١].

* * *

(١) المجتمع ع ١٣٢٢ (٧/٧/١٤١٩هـ)، ص ٦٢.

[٣٣٠]
مخترعات.. صغيرة

* أول مصنع بالجملة لصناعة الآيس كريم بدأ في بلتيمور ـ ماريلاند، في عام ١٨٥١م، ولم يكتمل الشغل فيه مع التطورات الجديدة في التبريد إلاَّ عام ١٩٠٠م.

* أول شعب تعلم كيفية صنع المرايا من الزجاج المدعوم بالزئبق والتنك كان شعب البندقية، ففي حوالي عام ١٣٠٠م بدأوا إنتاج مثل هذه المرايا. وخلال وقت قصير حلت مكان المرايا المعدنية التي استعملت لآلاف السنين.

* أول شعب حاول صنع جوارب تشبه التي نرتديها اليوم كان الشعب الفرنسي، وقد ارتدى في القرن السابع الميلادي رجال فرنسيون جوارب جلدية للوقاية والدفء، وأول جوارب من الصوف المغزول ظهرت في لندن في حوالي عام ١٥٦٥م.

* استعملت الدبابيس في أوروبا في العصور الأولى كشكل من أشكال الزينة بدلاً من شبك الثياب، إلى أن شغلت للشبك في نهاية القرن الخامس عشر. وكان أول شعب يصنع النوع الحديث من الدبابيس ـ كذلك ـ الفرنسيون، الذين صدَّروها إلى إنجلترا. . ثم انتشرت صناعتها. . [١].

---

(١) موسوعة الأولون في العلم والمعرفة ١٩/٤، ٤٥، ١٢٢، ٥٤، ٥٥.

[٣٣١]
أسباب صلابة الألماس

أهم خواص الألماس شدة صلابته وجمال منظره. فهو أصلب شيء في الوجود، وأثمن جوهر من جواهر الحلي والزينة. ولصلابته فائدة صناعية مهمة، فهو يستخدم في أغراض القطع والصقل التي يعجز عنها الكثير من المواد الصلبة.

وتعود صلابته إلى الظروف الطبيعية التي نشأ فيها، فهو ينشأ في باطن الأرض، حيث يتبلور الكربون بشكل ألماس تحت ظروف عالية من الضغط والحرارة لا توجد إلاَّ في عمق من ١٥٠ إلى ٢٠٠ كم تحت الأرض. وتؤدي ظروف الضغط العالي المفاجىء إلى تبلور الكربون إلى ألماس، حيث تنضغط ذرات الكربون وتتجمع في حيز محدود جدّاً يجعلها بالغة التماسك والصلابة.

ولا بد لكي تصل هذه البلورات إلى سطح الأرض وهي محتفظة بطبيعتها الألماسية من أن تندفع الصخور الحاملة لها من جوف الأرض إلى سطحها بسرعة كافية، وإلا تعرضت البلورات للحرق وإعادة الامتصاص أو إعادة التبلور على شكل جرانيت.

وصلابة الألماس متميزة عن صلابة المعادن كلها، حيث إنها تفوق صلابة المعدن الذي يليه بخمسة وثمانين ضعفاً، وهو معدن الكلورندم.

وهناك أحجار خادعة يظن الناظر إليها أنها أحجار ألماس إذا ما أحسن قطعها وصقلها، مثل حجر الذركون اللاَّلَوْني.

وهناك مادة صناعية جديدة لها نفس مظهر الألماس، وهي مادة سترونتيم تيتانيت، وكثيراً ما ينخدع الناس بمظهر هذه الأحجار فيحسبونها

ألماساً، بما في ذلك خبراء الألماس أنفسهم!

وهناك خواص عديدة تميز الألماس الأصلي عن الصناعي وغيره، يعرفها أصحاب الشأن[١].

[٣٣٢]
الفرق بين طرفة العين واللحظة

* طرفة العين تعادل من الوقت ثلاثة أعشار الثانية.

* أما اللحظة، وهي وحدة قياس زمنية بريطانية قديمة، فإنها تساوي دقيقة ونصف الدقيقة[٢].

[٣٣٣]
الثلج

* المظهر الأبيض للثلج سببه أن أسطحاً عديدة في كل بلورات الثلج ـ التي تكوّن برش الثلج ـ تعكس الضوء.

فكل «برشة» ثلج مكونة من عدد كبير من بلورات الثلج، وهذه البلورات لها أسطح عديدة، وانعكاس الضوء من كل تلك الأسطح هو الذي يجعل الجليد يبدو أبيض.

* والثلج ليس أبيض دائماً، ففي أنحاء عديدة من العالم شوهد ثلج أحمر، وأخضر، وأزرق، وحتى أسود!

---

(١) مقتطفات من كتاب الماس/ فيصل محمد عباس علام. ـ جدة: المجموعة الإعلامية ١٤٠٩هـ.

(٢) حقائق أغرب من الخيال ص ٢٢٦.

والسبب في هذه الألوان المختلفة أنه أحياناً يكون هناك فطر صغير جداً في الهـواء، أو غبار عـائـم حـوله، فيتَّحد معه، ليبدو باللون يتساقط بـه.

* ولأن الثلج يحتوي على الكثير من الهواء، فإنه موصل ضعيف للحرارة؛ لهذا فإن «غطاءً» من الثلج يمكن أن يحمي الاخضرار النائم في الأرض، ولهـذا يمكـن أن تصنـع أكـواخ مـن «بلـوكـات» الثلـج وتحفـظ الأشخاص في الداخل دافئين[1]!

[٣٣٤]
فكّـر .. بما تفكّـر!

يحتوي الدماغ على ما يقرب من ثلاثين مليار خلية عصبية، إضافة إلى مليارات الخلايا الأخرى المساعدة.

وقد قدَّر بعضهم أنه في كل ثانية من التفكير والمذاكرة تتدخل شبكة مؤلَّفة من مليارات الخلايا العصبية.

لكلٍّ خلية منها الآلاف من التفرعات المتصلة مع الآلاف من الخلايا الأخرى.

وفي كل خلية تحصل الآلاف من التفاعلات الكيمائية في الثانية لكي تحصل عملية التفكير والمذاكرة[2]!

---

(١) موسوعة الأولون في العلم والمعرفة ٢/١٦ ـ ١٧، ٧٧، ١١٨.

(٢) من علم الطب القرآني: الثوابت العلمية في القرآن الكريم/ عدنان الشريف. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤١٠هـ، ص ٣١٤.

[٣٣٥]
وصايا طبية

* يقول الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي:
ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجِّيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.

* ويقول:
إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً، فما أقلَّ لبث العلَّة.

* ويقول إسحاق بن قريش:
خير الطعام: أنظفه، وأخفُّه، وأمرأه.

* ولأبي الفرج علي بن صاعد:
متى رأيت شوكة في البدن ونصفها ظاهر فلا تشترط أنك تقلعها، فإنها ربما انكسرت.

* ولابن رشد الحفيد:
من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله(١).

[٣٣٦]
لسانك..

* يسألك الطبيب أن تخرج لسانك عند الفحص، وذلك لأنه:
ـ إذا كان لونه يميل إلى الإصفرار؛ فهذا دليل على أن نسبة الصفراء عالية بالدم.

---

(١) أطباء حكماء/ عبد الجبار دية. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ، ص ١٠، ٣٦، ٦٨، ١٠٠.

ـ أما إذا كان لونه يميل إلى الزرقة؛ فهذا يدل على وجود مرض بالقلب أو بالجهاز التنفسي.

ـ أما إذا كان اللسان أحمر وردياً؛ فذلك دليل على الصحة...

ـ وإذا كان اللسان باهتاً في احمراره؛ فذلك يدل على وجود أنيميا...

ـ وفي حالات الحمى واضطراب الهضم؛ تكسو اللسان طبقة بيضاء.

ـ أما إذا كانت هناك رعشة في اللسان عند إخراجه من الفم؛ فهذا معناه تسمم أو توتر عصبي[1].

[٣٣٧]
الرياضة بعد تناول الطعام مباشرة

يعتقد الكثير من الناس أن ممارسة الرياضة بعد تناول وجبات الطعام خطر على الصحة، إلاَّ أن الباحثين يؤكدون أن ذلك صحيح بالنسبة للرياضات القاسية، كالهرولة أو حمل الأثقال فقط، إذ تحتاج إلى معدة خاوية، في حين أن ممارسة الرياضة المعتدلة بعد تناول الطعام مباشرة تساعد في حرق السعرات، وتخفيف الوزن.

وأوضح الدكتور برايانت ستامفورد، مختص الفسيولوجيا الرياضية ومدير مركز التشجيع على الصحة في جامعة لويسفيل الأمريكية: أن ممارسة

(١) حقائق وغرائب/ محمد كامل عبد الصمد. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار السلام، ١٤٠٩هـ، ص ٨٧.

الرياضات القاسية تركز تدفق معظم الدم إلى العضلات العامة بعيداً عن أعضاء الجسم الأخرى، ومنها المعدة والأمعاء، فإذا تناول الشخص طعاماً في هذه الحالة فإن انحراف مسار تدفق الدم بعيداً عن أعضاء الهضم قد يؤدي إلى تقلصات وآلام شديدة في المعدة والأمعاء.

وفي المقابل فإن لممارسة الرياضات المعتدلة ـ كالمشي السريع بعد وجبات الطعام ـ آثاراً إيجابية على الهضم؛ لأن مسار تدفق الدم لا ينحرف عن عملية الهضم، بل تساعد الرياضة في هذه الحالة على تحريك المواد الغذائية خلال القنوات الهضمية من المعدة إلى الأمعاء، وفي النهاية إلى الدورة الدموية[١].

[٣٣٨]
القيلولة

أكد عدد من الخبراء المختصين أن النوم في فترات ما بعد الظهر أو ما يعرف بنوم القيلولة، يساعد في زيادة إنتاجية الفرد إلى الأفضل، ويحسن قدرته على التفاعل.

وأوضح الباحثون في الدراسة التي نشرتها مجلة (العلوم النفسية) المتخصصة، أن القيلولة التي تراوح مدتها بين ١٠ ـ ٤٠ دقيقة، وليس أكثر، تكسب الجسم الراحة الكافية، وتقضي على هرمونات القلق والتوتر المرتفعة في الدم نتيجة النشاط البدني والذهني الذي بذله الإنسان في بداية اليوم.

---

(١) المجتمع ع ١٣٨٢ (٢٠/٩/١٤٢٠هـ) ص ٦٣.

ويرى العلماء أن النوم لفترة قصيرة في النهار يريح ذهن الإنسان وعضلاته، ويعيد شحن قدرته على التفكير والتركيز، ويزيد إنتاجيته وحماسة للعمل.

وأشار هؤلاء إلى أن القيلولة في النهار لمدة لا تزيد عن ٤٠ دقيقة، لا تؤثر على معدلات فترات النوم في الليل، أما إذا امتدت إلى أكثر من هذا الوقت، فإن ذلك سيسبب فقدان الجسم لتوازنه الطبيعي بين الليل والنهار، ويواجه الفرد صعوبة كبيرة في الاستيقاظ، ويعاني من مزاج سيء ومزعج طوال الوقت[١].

[٣٣٩]
الخال... وكيف يتشكّل

بكل بساطة.. ليس هناك تفسير لسبب ظهور الخال من الناحية العلمية!

كل كائن بشري لديه خال واحد على الأقل. والعدد المتوسط للخالات التي يمتلكها الشخص هو حوالي ١٤ خالاً!.

ويمكن أن يظهر الخال على أي جزء من الجسم تقريباً، بما فيه جلدة الرأس!

يتألف الخال من نمو الأنسجة.. هو قد يتألّف من أنسجة الأوعية الدموية، أو خلايا تحتوي على صباغ، أو خلايا شعر، أو أنسجة موصلة.

معظم الخالات لا تسبب أي اضطراب خطير، ويفضل تركها كما هي، إلاّ إذا سببت تهيُّجاً أو تضرُّراً، عندئذ يفضل إزالته، مثل خال على كعب

---

(١) جريدة العالم الإسلامي ع ١٧١٧ (١٨/٧/١٤٢٢هـ).

القدم، أو راحة اليد، أو على خط القبة للعنق، أو خط الحزام للخصر.. أي في المكان الذي يكون عرضة للتهيج.

وأيضاً الخال الذي يظهر زيادة في الحجم، أو تغييراً في اللون، أو حراشف، أو حكة، أو نزيفاً.. يجب إزالته.. يزيله الجراح وليس أي شخص آخر[1].

[٣٤٠]

زراعة «صوت» جديد للإنسان

* تمكَّن أطبَّاء أمريكيُّون مِن تعويض شخص فقد صوته بصوت جديد.

وكان الرجل، واسمه تيموثي هايدلر، فقد صوته في حادث قبل عشرين عاماً حينما ضُرِب في حلقه وأدت الضربة إلى تلف في الحنجرة ـ الجهاز الصوتي الذي يطلق الأصوات ـ.

منذ ذلك الحين تعين عليه أن يستعين بجهاز إلكتروني للكلام.

وبعد أن بلغ هايدلر من العمر ٤٠ عاماً نجح الأطباء في تركيب حنجرة جديدة له أخذت من شخص آخر متوفى، وبالتالي عاد قادراً على إصدار صوت جديد.

ويقول الأطباء: إنَّ هذه أول عملية ناجحة لنقل جهاز صوتي.

وأجرى العملية فريق طبي تكوَّن من ٨ أطباء، على رأسه الدكتور مارشل ستروم في مستشفى كليفلاند بولاية أوهايو.

---

(١) موسوعة الأولون في العلم والمعرفة ٣/ ١٦٠.

* ويقول الدكتور ستروم: إنه كان يُعد لإجراء هذه الجراحة منذ أعوام.

وأضاف: إنَّ الأطباء البلجيكيين حاولوا زرع حنجرة عام ١٩٦٩م لكنهم لم يتمكنوا من حمل الدم على التدفق إلى الجهاز الصوتي الجديد المزروع.

* وعلى مدى الأعوام الماضية فشل الأطباء في إصلاح الحنجرة الأصلية لهايدلر رغم محاولات عديدة جرت، لكنها ضاعفت المشكلة بدلاً من حلِّها، ولذا لجأ الأطباء أخيراً إلى استبدال جهازه الصوتي، ونقلوا إلى رقبته كذلك عضلات حلق جديدة بدلاً من العضلات التالفة.

وسيتحتم عليهم مواصلة فحص المريض للتأكُّد من عدم رفض جسمه للجهاز الصوتي المزروع.

* وماذا عن الصوت الجديد؟ هل هو صوت هايدلر القديم، أم إنه صوت صاحب الحنجرة؟

يقول الدكتور ستروم: إن الصوت الذي يخرجه هايدلر الآن ليس هذا ولا ذاك.

وأضاف: إن الحبال الصوتية لا تفعل شيئاً سوى إصدار الصوت، أما ما يضفي على الإنسان صوتاً مميزاً فهو الكيفية التي تشكل بها المساحة التي حول الحبال الصوتية هذه الأصوات، كما أن عناصر أخرى تؤثر في طبيعة الصوت، مثل حجم الحلق والفم وشكل مؤخرة الأنف، وهي التي تضفي الاختلاف والتمايز على الأصوات بين إنسان وآخر.

* وقد عاد هايدلر للكلام بحنجرته الجديدة بعد ثلاثة أيام من إجراء العملية الجراحية، وكانت أول كلمة نطقها بالإنجليزية «هالو» أي مرحباً، بعد عشرين عاماً من الصمت[١].

---

(١) المجتمع ع ١٣٠٧ (١٣/ ٣/ ١٤١٩هـ) ص ٦٢.

[٣٤١]
لون اللحم... ولون الوجه

شيخ الطب بالشام يوسف بن حيدرة (ت ٦٣١هـ).

له القدم والاشتهار عند الخاص والعام.

وكان عالي الهمَّة، حسن السِّيرة، محبّاً للخير، عديم الأذية.

وكان الصاحب صفي الدين ابن شُكر يلزم أكل الدجاج، فشحب لونه، فقال له الطبيب ابن حيدرة يوماً: الزمْ لحم الضأن وقد ظهرَ لونك! ألا ترى إلى لون هذا اللحم ولون هذا اللحم؟

قال: فلزمه، فصلحَ لونه واعتدل مزاجه.

لأنَّ لحم الضأن يتولَّد منه دمٌ متين بخلاف الدجاج[١].

[٣٤٢]
عند النفاس.. وهذه الحكمة العظيمة

بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من رسالة الإسلام، الذي يحرم الاتصال الجنسي بين الزوجين طوال فترة النفاس، الذي يستمر عادةً حوالي الأربعين يوماً، يكتشف الطب الحديث أنَّ الاتِّصال الجنسي بعد الولادة طوال ستة أسابيع، يشكل خطراً قد يكون قاتلاً للمرأة.

لنقرأ الخبر الذي نقلته وكالة أنباء رويترز:

«حذَّر أطبَّاء بريطانيون من ممارسة الجنس بعد الولادة قائلين: إنَّ مخاطره قد تكون قاتلة».

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦٣١ ـ ٦٤٠ هـ، للذهبي، ص ٩٠.

«وقال الأطباء:

إنَّ ممارسة الجنس بعد وقت قصير من الولادة قد يتسبب في تكوُّن فقاعة هواء قاتلة في شرايين الدم.

وهو خطر يظل وارداً طوال ستة أسابيع بعد الولادة، وإلى أن يعود رحم الأم إلى حالته الطبيعية وتبرأ تماماً المنطقة التي التصقت بها المشيمة خلال أشهر الحمل».

«وقال الدكتور فيليب باتمان:

الأمر قد يفضي إلى الوفاة.

حقّاً إنه أمر نادر لكنه يحدث، وعلى أطباء النساء أن يكونوا على دراية به».

«وتحدَّث الدكتور باتمان وزملاء له، خلال دراسة نشرت في مجلة «بوستجر إديويت» الطبية، عن سيدتين في شمال إنكلترا توفيتا بسبب ممارسة الجنس بعد فترة قصيرة من الوضع».

ولنتأمل عبارة الأطباء: «وهو خطر يظلّ وارداً طوال ستة أسابيع بعد الولادة».

ولنحسب كم تعادل هذه الأسابيع الستّة من الأيام (ستة أسابيع نضربها في سبعة أيام لكل أسبوع ٦ × ٧ = ٤٢ يوماً.

أي أنها فترة النفاس نفسها تقريباً التي حددها الإسلام)[١].

---

(١) وبضدهن تتميز المسلمات/ محمد رشيد هويد. ــ الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ص ٥٣.

[٣٤٣]

مبيد مستوحى من القرآن الكريم

اخترع «محمد داود النهاري» من اليمن مبيداً نباتياً يقضي على الصراصير والحشرات الصغيرة دون أن يكون له مضاعفات على البيئة وصحة الإنسان، من القرآن الكريم.

وذكر أنَّ فكرة الاختراع جاءت ـ بسبب معاناته من الصراصير ـ بعد وقوفه وهو يقرأ القرآن ذات يوم عند قصة يونس عليه السلام الذي قذفه الحوت إلى تحت شجرة حمته وحافظت عليه بقدرة الله من حرّ الشمس ومن الهواء، ومن الحشرات التي عادةً ما تتكاثر على أي جسم طري.

ويقول: إنَّ هذه الشجرة هي (اليقطين).

وذكر أنه قام بعمل عدة تجارب على أشجار وأعشاب مختلفة ومتوفرة في سهول ووديان اليمن، حتى توصَّل إلى خلطة سامّة طبيعية وفتّاكة، لقتل الحشرات الصغيرة لا تدخل فيها أية مواد كيمائية.

وذكر أنه استطاع الحصول على تصريح بمزاولة نشاط إنتاج المبيد من قبل وزارة الصناعة بعد أن أصدرت وزارتا الزراعة والصحّة والسكان تقريراً جاء فيه: إن عجينة المبيد ذات اللون الأبيض المائل للاصفرار والمميزة بنكهة الحلوى أثبتت بمكوناتها الطبيعية فاعلية وتأثيراً جيِّداً في قتل الصراصير من كافة الأعمار فضلاً عن الحشرات الأخرى، وإنَّ رائحتها المميزة تعمل على جذب هذه الحشرات.

وأوصت بصلاحية استخدامها في مكافحتها.

وأوضح المخترع أن رجل أعمال من السعودية قدَّم له الدعم المادي بهدف تصنيع المنتج، ومن أجل تحويل المادة إلى منتج تجاري يوزع عالمياً[1].

[٣٤٤]
آية قرآنية توصل إلى اختراع خرسانة ضد الزلازل

توصلت عالمة مصرية لاختراع يحمي المنشآت والمباني من مخاطر الزلازل وعمليات الهدم والتخريب حصلت بموجبه على وسام الاستحقاق ضمن عشرة علماء على مستوى العالم تم تكريمهم في لندن في شهر مايو ٢٠٠٣م.

الاختراع الذي توصلت إليه المهندسة الدكتورة ليلى عبد المنعم يتمثل في تكوين خرسانة مسلحة من «حوائط البيتومين من الحديد المنصهر» معتمدة في اختراعها على آية قرآنية كريمة في سورة الكهف كمرجع أول في هذا الاختراع، وهي قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

وتقول الدكتورة ليلى عبد المنعم:

إنَّ الهدف هو بناء حائط البيتومين مع الحديد المنصهر (القار) وهو من منتجات البترول (عوادم البترول) ولكي يتم بناء الحوائط والقواعد الخرسانية أو عزل الأعمدة بهذه الطريقة، يتم استخدام الحديد المنصهر مع الأسفلت

(١) جريدة العالم الإسلامي، ع ١٧١٢ (١٢ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ) ص ٨.

بـدلاً عـن (خلطـة الأسفلـت) وتبطـن بـه الأمـاكـن المعـرضـة لـرشـح الميـاه كالحمامات، وكذلك قاعدة وجوانب القواعد الخرسانية في السدود والمصارف المعرضة للمياه، كذلك المباني المقاومة للزلازل أو حتى الصواريخ.

ويشير البحث إلى أن استخدام حجارة من كتل إسمنتية مع حديد التسليح، ثم يوضع البيتومين والحديد المنصهر حول هذه الحجارة مما ينتج عنه مـقاومة هائلة للزلازل، كما أنه يساعد على عمر أطول للبناية.

وأظهر البحث أن حوائط البيتومين مع الحديد المنصهر ذات حمولة وتحمُّل يفوق غيرها من مواد البناء المعروفة، حيث يستبدل الحجر (الطوب) بحجر خرساني، ثم تستبدل الخلطة الإسمنتية أي المادة التي يلصق بها البناء بالبيتومين والحديد المنصهر، وبذلك يمكن الحصول على بناء يقاوم جميع عوامل التعرية وقوة الزلازل وغيرها من القوى المؤثرة من الخارج مهما بلغت، مما يجعل تلك الحوائط أو القواعد أو أغطية الأعمدة قوية التحمل إلى درجة عالية.

كما يلاحظ أن هذه الحوائط يمكن تكوينها بالمصانع ونقلها إلى مكان التركيب.

وقـد حصل هذا البحث، كما أفادت وكالة الأنباء السعودية، على براءة اختـراع مـن أكـاديميـة البـحث العـلـمي بالقاهرة، لما يمتاز به من رسوم وأرقام ووثائق هامة يستحق من كل المهتمين من مصريين وعرباً الالتفات إليه وإلى أهميته، والاستعانة به في مواجهة الأخطار التي تهدد المنشآت[١].

(١) العالم الإسلامي، ع ١٨٠٢ (٢١/٥/١٤٢٤هـ).

[٣٤٥]
ببغاء تقرأ القرآن !

الخليفة العباسي الناصر لدين الله بويع سنة ٥٧٥هـ، ومات سنة ٦٢٢هـ، فكانت خلافته سبعة وأربعين عاماً. وكان قد ملأ القلوب هيبة وخيفة، وكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد. دانت له السلاطين، وفتح البلاد العديدة، وخُطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين! وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخِدع لا يفطن لها أحد!!

ومن أخباره الغريبة: أنَّ رجلاً من الهند وصل إليه ومعه ببغاء تقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قدَّمها تحفة للخليفة! لكنها أصبحت ميتة، فأصبح حيران، وقدَّم له خمسمائة دينار، وذكر أنه علم بحاله مذ خرج الرجل من الهند[1]!

[٣٤٦]
عجائب.. في حيوانات متنوعة

● لفرس النهر فم كبير جداً، وعندما يتثاءب يستطيعُ أطول رجل أن يجلس داخل فمه بارتياح!

● «الكسلان» حيوان أدرد يقيم في أشجار الغابات الاستوائية بأمريكا الجنوبية والوسطى، ويعدُّ أبطأ حيوان ثديي، إذ تبلغ أقصى سرعة له ٢ كلم/ الساعة!

● في لسان البقرة ٣٥ ألف حلمة تتذوق بها الطعام!

● الزرافة هي الحيوان الوحيد الذي ليس له صوت!

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦٢١ ـ ٦٣٠هـ، للذهبي، ص ٨٧.

• أنثى الفيل لا تلد إلاَّ بعد ربيعها الثلاثين، ويبلغ متوسط إنجابها ثلاث مرات فقط مهما عاشت[1]!

[٣٤٧]
أبو طيط

طائر ذو عُرْف، يعيش في أوروبا الغربية، واشتق اسمه من الطريقة الخرقاء التي يضرب بها جناحيه عند طيرانه، ويسمَّى أيضاً «البويت» بسبب صياحه المُعْوِل الحاد، ويعرف كذلك بالزقزاق.

له ظهر أخضر برونزي، وعنق وصدر سوداوان مائلان إلى الزرقة، وعرف طويل مدبَّب.

عندما يتهدَّد عشَّه خطر؛ فإنه يترنَّح في طيرانه متظاهراً بإصابته، فيخدع أعداءه، منسلاًّ بعيداً عن العش[2]!

[٣٤٨]
علامة الصداع والطرش لدى الحيوان

قال ابن البيطار:

* علامة الصداع أن يُرئ الحيوان منكَّس الرأس لا يستطيع رفع رأسه، ولا تزال عيناه تجري بالدموع ولا يستطيع تغميضهما، ويظهر الدم في عروق عينيه من شدة الصداع، ولا يقرب العلف.

---

(١) موسوعة هل تعلم ١/ ٩١، ١٣٢، ١٨٤، ١٨٧، ٢٤٩.

(٢) الموسوعة العربية العالمية. ــ الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ١٤١٧هـ، ١/ ٩٤.

وعلامة الطرش هو أن ترى أذن الفرس مقلوبة إلى خلف، لا ينصبها للنظر إذا صيح عليه، وأكثر ما يكون ذلك بالبُلْق.

* وأما علامة سقوط الأجسام والحجارة في الأذن فهو ظاهر، ويكثر مع ذلك تحريك الفرس لدماغه، وتراه يقلب أذنيه إلى الأرض يريد إخراج ما فيها، فافهم ذلك[1].

[٣٤٩]
مضار لحوم السباع والجوارح

يقصد بالسباع الحيوانات المفترسة، كالأسود والنمور والفهود والضباع والذئاب ونحوها، مما له ناب يفترس به غيره من الحيوانات. والجوارح هي الطيور التي لها مخالب جارحة تفترس بها غيرها من الحيوانات، كالنسر والعقاب والصقر والشاهين والحدأة وأمثالها.

وقد حرَّم الإسلام لحوم السباع والجوارح؛ لأنها تضرُّ بالصحة؛ فلحومها غير صالحة لمعدة الإنسان، لأن هذه الحيوانات تبذل مجهوداً عضلياً في افتراسها لغيرها، فتقوى بذلك عضلاتها وتصلب، وتكون عسرة الهضم، يضاف إلى ذلك ما قد يترتب على أكل هذه اللحوم من انتقال عدوى الأمراض ببعض الجراثيم والميكروبات والفيروسات المختلفة التي تنتج عن افتراس هذه الحيوانات والطيور لفرائسها المختلفة.

ويمكن القول أن التحريم راجع إلى أنها تعيش في الأصل على أكل الجيف المستقذرة في الغالب، وهو ما يجعل لحماً ناقلاً للأمراض المختلفة.

---

(١) كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة/ ابن البيطار؛ تحقيق عبد الرحمن إبريق. ـ حلب: جامعة حلب، معهد التراث العلمي، ١٤١٣هـ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠.

إضافةً إلى أنه يُخشى أن يكتسب الآكل من لحمها بعض صفاتها العدوانية، لأن هذا الطعام عند استهلاكه لا يدخل في الجهاز الهضمي ويصبح مجرد فضلات فقط، ولكنه يُمْتَصُّ في الجسم، ويدخل الدم والجهاز الدوري، ويؤثر بذلك على الطبيعة البشرية، ومعلوم أن الإنسان يتأثر بما يأكله من طعام، وينعكس أثره على طباعه وسلوكه وشخصيته.

ولهذا حرَّم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة لما تُكسب النفس من هيئة الخبث صفته...[1].

[٣٥٠]

ستُّ الحسن.. سمُّها فيها!

«ست الحسن» نبتة سامة جدًّا، موطنها الأصلي إيطاليا، حيث يسمونها هناك «بِلاَّدونة» إذا وضع سائلها على العين يزيد اتساع حدقتها، لذا استعملته النساء للعناية بجمالهن.

لكن استعماله صار محظوراً الآن بسبب خطورته.

فقد اكتشف الأطباء أنه يحتوي على مادة سامة تعرف بالأثروبين، وهي مادة شبه قلوية، بيضاء متبلورة، تستخدم لتوسيع الحدقة ومعالجة التشنج، غير أنها تقتل إذا دخلت المعدة أو امتزجت مع الدم[2]!.

---

(١) باختصار عن: مقومات التربية الجسمية في الإسلام/ إعداد صالح بن علي الشهري. ــ مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٠هـ، ص ٢١٧ ــ ٢١٨ (رسالة ماجستير).

(٢) موسوعة هل تعلم ١/ ٦٣ ــ ٦٤.

[٣٥١]

التوت والفراولة يؤخران الإصابة بتصلب الشرايين

التوت والفراولة وغيرها من ثمار العليق الطازجة تمنع أو تؤخر الإصابة بتصلب وضيق الشرايين.

هذا ما أكده فريق طبـي ضم عدداً من الباحثين الدوليين.

وأوضح الدكتور إيدون فرانكيل المختص في جامعة كاليفورنيا الأمريكية أن المركبات الفينولية التي توجد بشكل طبيعي في جميع ألوان الفاكهة والخضروات هي من المواد القوية المضادة للأكسدة، وهذه الخاصية لها أثر في منع بناء وتراكم الصفائح الدهنية على جدران الشرايين التي تسبب تضيقها، وبالتالي اختناق القلب.

ووجد العلماء في الدراسة التي اعتمدت على فحص تركيز ونشاط «المركبات الفينولية» المستخلصة من أنواع متعددة من التوت في عينات منفصلة من البروتين الشحمي قليل الكثافة أو ما يُسمى بكوليسترول السيِّيء، أن التوت عوّق تأكسد هذا النوع من الكوليسترول الذي يعتبر شديد الحساسية تجاه عمليات الأكسدة في الجسم بنحو ٥٥ إلى ٨٤ ٪ بالمقارنة مع ٩٣ ٪ للعنب الأحمر و ٥٥ ٪ لفيتامين C.

وبينت الدراسة ــ التي نشرتها مجلة «الزراعة وكيمياء الأطعمة» الأميركية ــ أنَّ التوت الأسود كان له أعظم الأثر في الوقاية من تصلب الشرايين، إذ كان من أكثر الأنواع فاعلية، يليه الأحمر، وبعده الكرز الحلو والعنبية، وتوت الأرض، ثم الفراولة، مشيرة إلى أن التوت الأسود من أغنى المصادر بالمركبات الفينولية القوية ضد الأكسدة التي تحفز بداية تكون الصفائح في الشرايين.

هل هذا يعني أن نأكل توتاً أكثر للحصول على صحة قلبية أفضل؟

يقول الدكتور فرانكيل: إن هذه النتائج بحاجة إلى مزيد من الدراسات التي تثبت عملياً، وحتى ذلك الحين، فإن الغذاء الغني بالفواكه والخضروات بشكل عام من أهم الطرق السليمة للمحافظة على الصحة الجيدة[1].

والفراولة من الفواكه الصحية الغنية بالمواد الغذائية الضرورية للمحافظة على صحة الجسم وحيويته.

وأوضح الباحثون ـ في دراسة جديدة ـ أنها تمثل مصدراً مهماً لمادة الفوليت، وهي أحد المركبات المهمة للسيدات في سن الحمل والإنجاب، مشيرين إلى أن الفاكهة الغنية بالفوليت تساعد على تقليل خطر الإصابة بأمراض القلب.

وقال الباحثون إن الفراولة لا تقتصر على كونها قليلة السعرات الحرارية والدهون، إذ تزود بنحو ٤٥ سعراً حرارياً، وغنية بالفيتامينات، والمعادن الضرورية للجسم، بل تدل على بعض من شخصية الإنسان[2].

[٣٥٢]
البطيخ خال من الدهون غني بالعناصر الغذائية

يعتبر البطيخ من ألذ فاكهة الصيف وأفضلها، لما يتمتع به من طعم حلو المذاق، وكثرة محتواه المائي الذي يعطي شعوراً بالانتعاش، ويساعد على التخلص من شعور التعب في الطقس الحار، كما يسهم في تعويض سوائل الجسم المفقودة.

---

(١) المجتمع، ع ٣٢٥، ٢١/٧/١٤١٩هـ، ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق، ع ١٤١٥هـ، ص ٦٢.

وأكد الخبراء أن البطيخ من الفاكهة الخالية من الدهون الغنية بالعناصر الغذائية ، إذ يحتوي على كميات كبيرة من فيتامين (أ)، وعناصر الكالسيوم والحديد، بالإضافة إلى غناه بالألياف الغذائية الضرورية لليونة الإمعاء.

واكتشف الباحثون حديثاً أن البطيخ مصدر جيد لمادة «لايكوبين» وهي من المواد المضادة للسرطان، لذلك فإنه يساعد على حماية الإنسان من أشكال معينة من الأورام السرطانية الخبيثة.

ولأن الماء يشكل ٩٢ ٪ من وزن البطيخ، لذلك فهو يعد ترياقاً كاملاً للطقس الحار، ويسد النقص في سوائل الجسم المفقودة أثناء التمارين.

وحسب الإرشادات الجديدة التي أصدرتها الإدارة الأمريكية للغذاء والدواء فإن كوبين من البطيخ المقطع يحتويان على ٨٠ سعراً حرارياً وجرامين من الألياف، و ٢٥ جراماً من السكريات، إذ تشكل الكربوهيدرات الكلية ٩ ٪ من وزنه، بالإضافة إلى ٢٥ ٪ من القيمة اليومية لفيتامين C و ٢٠ ٪ من القيمة اليومية لفيتامين (أ) إلى جانب عنصر اللايكوبين المضاد للسرطان.

وينصح الأطباء بتناول البطيخ للمرضى الذين يعانون من ارتفاع مستوى الكوليسترول في الدم، لأنه لا يحتوي على الكوليسترول أو أي نوع من أنواع الدهون.

وأظهرت المسوحات الطبية أن المستهلكين يهتمون بالقيمة الغذائية للبطيخ، ويعتقدون أنه أفضل بديل صحي من حيث: النكهة، والحلاوة، والطعم الطازج، والمحتوى الغذائي للتسالي المصنعة التي يأكلها الأطفال[1].

---

(١) المجتمع، ع ١٤١٥، جمادى الأولى ١٤٢١هـ، ص ٦٢.

[٣٥٣]
الشاي الأبيض

بعد الشاي الأخضر الذي اشتهر بفوائده العديدة يدخل الشاي الأبيض ذو السنابل الفضية المنافسة؛ حيث أفادت دراسة علمية حديثة أنه يحتوي على متعدد حامض الكبروليك بمقدار يفوق ثلاث مرات أنواع الشاي الأخرى، مما يزيد من فاعليته مائة مرة في حماية الجسم من الملوثات.

ويقول «باري كوبر» الخبير العالمي لمشروب الشاي: إن فنجاناً واحداً من الشاي الأبيض يعادل اثني عشر كوباً من عصير البرتقال.

وللحصول على خمسمائة غرام من هذا الشاي النادر يتعين جني ما يزيد عن ثمانين ألف نبتة باليد وتجفيفها في الشمس، مما يفسر التركيز الفريد في المواد الفعّالة[1].

* * *

(١) العالم الإسلامي، ع ١٧٣٥، ١/ ١/ ١٤٢٣هـ، ص ٨.

[٣٥٤]
قلم الغبار

وهو الخط المتناهي في دقته.

وبتعبير آخر: أن يكتب الخطاط كلمات كثيرة على أشياء دقيقة، كحبوب الحنطة والرز والفصوص وقشر البيض وغير ذلك.

وهذا الضرب من الكتابة أتقنه غير واحد من الخطاطين الأقدمين، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني وابن العماد الحنبلي أن إسماعيل الناسخ المعروف بالزمكحل، المتوفى سنة ٧٨٨هـ كان أعجوبة دهره في كتابة قلم الغبار، مع أنه لا يطمس واواً ولا ميماً، ويكتب آية الكرسي على أرُزَّة، وكذا سورة الإخلاص، وكتب من المصاحف الحمايلية[١] ما لا يحصى، وخطه غاية في الحسن، مرغوب فيه[٢].

ونظيره في ذلك جواد بن أبي المكارم اللخمي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، أتقن الخط المنسوب فبلغ الغاية، وكتب المصاحف. ومن غريب تفننه أنه كتب مصحفاً مضبوطاً يقرأ في الليل ووزنه كله أوقية بالمصري، جلده من ذلك خمسة دراهم، وكتب آية الكرسي على أرزَّة[٣]!

---

(١) هي المصاحف الصغيرة الحجم التي تحمل في العضد.

(٢) الدرر الكامنة ١/ ٣٨٥، شذرات الذهب ٦/ ٣٠١.

(٣) الدرر الكامنة ١/ ٥٤٠ نقلاً من: الذخائر الشرقية/ كوركيس عواد ٣/ ٤٥.

[٣٥٥]

كمال أجسام.. من تاريخ الإسلام

* الخليفة المعتصم لم يكن في بني العباس مَنْ قلبه أشجع منه، ولا أتمَّ تيقظاً في الحرب، ولا أشد قوة.

أورد عبد الرحمن الإربلي في «خلاصة الذهب المسبوك» أنه اعتمد بأصبعه السبابة والوسطى على ساعد إنسان فدقَّه.

وكان يلوي العمود الحديد حتى يصير طوقاً، ويشدُّ على الدينار بأصبعه فيمحو كتابته!

وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣/ ٣٤٦) أنه طلب من ابن أبـي دؤاد أن يعضَّ ساعده بأكثر قوته، وقال له: إنَّ العضَّ لا يؤثر فيه:

«فإذا هو لا تعمل فيه الأسنَّة فضلاً عن الأسنان»!

* ومحارب اسمه «كُستاي» أمير السلاح المتوفى سنة ٧١٦هـ.

ذكر الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» أنه كان شديد البأس، قوي البدن، يأخذ العظم الكبير من الشاة فيكسره بيده قطعتين.

* ونقل ابن رافع السلامي في ترجمة عبد الرحمن بن عبد المحسن الواسطي، الذي كان حيّاً سنة ٧٢٨هـ من أنه:

«قوي شديد البطش، يضرب الآجرَّة بيده فيَصير فلقاً، ويضرب الجوزة يكسرها...

قال أبوه: ودخل اللصوص داره وأخذوا المتاع، فتركهم حتى خرجوا، ومشى خلفهم إلى الصحراء، فعقر منهم واحداً وهرب الباقون وتركوا المتاع»!

* وممن وُهب قوة بالغة واشتهر بأمور من هذا القبيل: أحمد بن أبـي بكر الحلبـي، المتوفى سنة ٧٥٤هـ.

فقد «كان قوي اليدين جداً، حتى كان يأخذ الحية فيحملها بذنبها ويرفعها إلى فوق ويقصفها إلى أسفل ويرميها وقد انقطع وسطها وانخلعت فقرات ظهرها»[١].

* * *

(١) الذخائر الشرقية/ كوركيس عواد، باختصار ص ٦٤ ــ ٦٦ من ج ٥.

[٣٥٦]
من أهل اللغة

يقال:

إنَّ الأصمعي كان يحفظ ثُلث اللغة.

وكان أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي يحفظ ثلثي اللغة.

وكان الخليل يحفظ نصف اللغة.

وكان أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي يحفظ اللغة كلها!

وكتب الكسائي إلى أبي زيد جواب كتابٍ كتبه إليه:

شكـــوتَ إلـــيَّ مجـــانينكـــم
فـــأشكـــو إليـــك مجـــانينـــا

لئـــن كـــان أقـــذاركـــم قـــد نمـــوا
فـــأقـــذِرْ وأنتِـــنْ بمـــن عنـــدنـــا

فلـــولا المعـــافـــاة كنّـــا كَهُـــم
ولـــولا البـــلاء لكـــانـــوا كنـــا

وكان أبو زيد يقول: خذوا العلم عن أفواه الرجال، فإن الرجل يكتب أحسن ما يسمع، ويختار أحسن ما يكتب، ويحفظ أحسن ما يختار، ويروي أحسن ما يحفظ[١].

---

(١) تهذيب الكمال ١٠/ ٣٣٥، ٣٣٦.

[٣٥٧]
النحو.. والتقوى

قال محمد بن المثنى السمسار:

كنا عند بشر بن الحارث وعنده العباس بن عبد العظيم العنبري، وكان من سادات المسلمين، فقال له: يا أبا نصر، أنت رجلٌ قد قرأتَ القرآن، وكتبتَ الحديث، فلِمَ لا تتعلَّم من العربية ما تعرفُ به اللَّحْنَ حتى لا تَلْحَن؟

قال: ومن يعلمني يا أبا الفضل؟

قال: أنا يا أبا نصر.

قال: فافْعَلْ.

قال: قُلْ: ضربَ زيدٌ عَمْراً.

فقال له بشر: يا أخي ولِمَ ضَرَبَهُ؟

قال: يا أبا نصر ما ضَرَبَهُ، وإنما هذا أصلٌ وُضِعَ.

فقال بشر: هذا أوَّلهُ كَذِبٌ لا حاجةَ لي فيه!

وأنشد هلال بن العلاء الباهلي لنفسه:

وما ينفعُ الإعراب إن لم يكنْ تُقًى ... وما ضرَّ ذا تقوى لسانٌ مُعَجَّمُ

وقال بعض الزهّاد:

نكرهُ أن نَلْحَنَ في قولنا ... ولا نُبالي اللَّحْنَ في الفعلِ[1]!

---

(١) اقتضاء العلم العمل/ الخطيب البغدادي/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط ٤. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ، ص ٩٢ ـ ٩٤.

[٣٥٨]

لغتنا.. في البنغال والهند

كاتب هندي من أصل بنغالي متخصص في اللغة العربية، اسمه «أبو محفوظ الكريم المعصومي» مهتم بالعلوم الإسلامية عامة.

منحته حكومة الهند المركزية شهادة التفوق الرسمية كأستاذ في اللغة العربية على مستوى الهند الحاضرة كلها سنة ١٣٩٧هـ، ثم حصل على جائزة رئيس الهند سنة ١٤١١هـ، وهي عبارة عن شهادة الامتياز في اللغة العربية مع مكافأة سنوية طوال الحياة.

جمع مقالاته وبحوثه ونصوصاً تراثية حققها بالعربية وأصدرتها دار الغرب الإسلامي في مجلدين كبيرين بعنوان: «**بحوث وتنبيهات**»؛ باعتناء محمد أجمل أيوب الإصلاحي، عام ١٤٢١هـ، منها ملاحظات قيمة على كتب طبعت بالعربية، أطولها حول «سير أعلام النبلاء».

وبينها رسائل محققة، هي:

ـ شرح الألفات، لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ).

ـ مسألة صفات الذاكرين والمتفكرين لمحمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢هـ).

ـ وأرجوزتان للمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

ورسالة: القول المسموع في الفرق بين الكوع والكرسوع.

[٣٥٩]

«كل ما».. و «كلما»

قال الخطيون: «كلما» إذا كانت ظرفاً كُتبت «ما» معها متصلة، نحو: كلما جئتني أكرمتك. وفي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾[1].

وإن كانت اسماً كُتبت منفصلة، نحو: كلُّ ما عندي لك. وكلُّ ما في الدنيا فانٍ[2].

[٣٦٠]

مقصورات لا يجوز مدها..
وممدودات لا يجوز قصرها

قال ابن دريد:

لا تركننَّ إلى الهوى	واحذرْ مفارقة الهواء[3]
يوماً تسيرُ إلى الثرى	ويفوزُ غيرُكَ بالثراء
كم من حفيرٍ في رجا	بئرٍ لمُنقطعِ الرجاء[4]
غطَّى عليه بالصفا	أهلُ المودَّةِ والصفاء[5]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٢) الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾/ مرعي الحنبلي، ص ٥٤.

(٣) يعني بمفارقة الهواء: الموت.

(٤) الرجا: الجانب، والرجاء: المأمل.

(٥) الصفا: الصخرة، والصفاء: محض الود.

مـــا زال يلتمـــسُ الخـــلا	حتـى تـوحَّـدَ فـي الخـلاء[1]
كـم مـن تـوارى بـالنَّقـا	بعـد النظـافـة والنقـاءِ[2]
وأرى العشـا فـي العيـ	ـن أكثرَ ما يكونُ من العَشاء[3]
إن الحيـاةَ مـع الحيـا	وأرى البهـاءَ مـع الحيـاء[4]
فـاهـربْ هُـديـتَ مـن الـذَّكـا	إن كنـتَ مـن أهـلِ الـذكـاءِ[5]
وأرى الغنـى يـدعـو الغنـ	ـيَّ إلـى المـلاهـي والغِنـاءِ[6]

[٢٦١]

.. لا رابع لهما في اللغة !

قنوان: جمع قنو، وصنوان: جمع صنو.

وليس في اللغة جمع مثنى بصيغةٍ واحدٍ إلاَّ هذان، ولفظ ثالث لم يقع في القرآن.

قاله ابن خالويه في كتاب «ليس»[7]!

---

(١) الخلا: الرطب من النبات، والخلاء: الخلوة.

(٢) النقا: القطعة من الرمل، والنقاء: النظافة.

(٣) العشا: ضعف في العين، والعشاء: طعام الليل.

(٤) الحيا: الخصب [هكذا.. والأقرب أن معناها المطر]، والحياء: الاستحياء.

(٥) الذكا: شبوب النار واشتعالها، والذكاء: قوة القلب.

(٦) الغنى: ضد الفقر، والغِناء: تلحين المسموع.
عن: نقايات من غرر الغرر، ص ١٢١.

(٧) الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات، ص ١٠٢ ــ ١٠٣.

[٣٦٢]
فروق دقيقة!

الفرق بين المُحال بضم الميم والمَحال بفتح الميم: أن المُحال بالضم الممتنع، وبالفتح بمعنى الشك.

الفرق بين الذات والشخص: أنَّ الذات أعمُّ من الشخص؛ لأن الذات يُطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يُطلق إلاَّ على الجسم.

الفرق بين الحذف والإضمار: أن الحذف إسقاط الشيء لفظاً ومعنى، والإضمار إسقاط الشيء لفظاً لا معنى.

الفرق بين إذا وإنْ: أنَّ «إذا» تستعمل في الموضع الذي فيه التحقيق، و «إنْ» في الشك.

الفرق بين التفسير بـ «أي» والتفسير بـ «يعني»: أنَّ التفسير بأي للبيان والتوضيح، والتفسير بيعني لدفع السؤال.

الفرق بين المعنى والمفهوم: أنَّ المفهوم أعمُّ من المعنى؛ لأن المعنى ما وضع بإزاء اللفظ، والمفهوم الذي يُفهم من اللفظ.

الفرق بين المشكوك والمكروه: أنَّ المكروه أقربُ إلى الطهارة وأبعد من النجاسة، والمشكوك أقرب إلى النجاسة وأبعد من الطهارة[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٠.

[٣٦٣]
التحقيق.. والتوفيق

التحقيق: ذكر الشيء على وجه الحق، أو إثبات المسألة بدليل.

والتدقيق: إثبات الدليل بدليلٍ آخر.

والتنميق: هو الإتيان بعبارة سهلة مراعى فيها المعاني والبيان.

والترقيق: هو الإتيان بعبارة حسنة حلوة فائقة.

والتوفيق: هو السلامة من اعتراض الشرع.

وإليها الإشارة بقول بعضهم:

ذكر الدليل سمِّه تحقيقاً وإن ... أتى دليل ذا فتدقيق زكن

وما المعاني والبيان روعيا ... فيه فتنميقٌ فكن لي داعيا

وحسن تسهيل بترقيق عُلِمْ ... وفاق شرعٌ قل بتوفيق وُسِم[1]

[٣٦٤]
أسماء الحيض

للحيض ثلاثة عشر اسماً، جمعها الشيخ عبد الباسط البلقيني في قوله:

وللحيض أسماءٌ ثلاثٌ وعشرةٌ ... مَحيضٌ مَحاضٌ حيضٌ كَيْدٌ وإعصارُ

دِراسٌ وضِحْكٌ ثم طَمْثٌ عَراكُها ... وضيفٌ وإشهادٌ نِفاسٌ وإكبارُ[2]

---

(١) إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك/ محمد حبيب الله الشنقيطي. ـ القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٣٥٤هـ، ص ٣٥ (نقله من لقط الدرر على نخبة الفكر).

(٢) الشرح الجلي على بيتي الموصلي/ أحمد البربير. ط ٢. ـ بيروت: نسيب البربير، د. ت، ص ٣٧٦.

[٣٦٥]
اللباس.. ذكراً وأنثى

القميص: ذكر، فإذا أنَّثوه أرادوا درع الحديد.

والدرع: مؤنثة، فإذا ذُكِّرت يرادُ بها القميص.

والسراويل[١]: ذكر وأنثى، والأغلب التذكير.

والرداء: مذكر، والإزار: مذكر ومؤنث.

الطيلسان: ذكر، وهو الساج[٢].

الجُبَّة: أنثى. العمامة: أنثى. القلنسوة: أنثى. النعل: أنثى.

الخفُّ: ذكر. الجورب: ذكر. الكساء: ذكر[٣].

[٣٦٦]
ترتيب المشي

الدَّرَجَان: مِشْية الصبي الصغير.

الخَطَران: مشية الشابِّ باهتزازٍ ونشاط.

الدَّلَف: مشية الشيخ رويداً ومقاربته الخَطْو، وكذا الهَدَجان.

---

(١) قال الأزهري: جاء «السراويل» على لفظ الجماعة وهي واحدة، قال: وقد سمعت غير واحد من الأعراب يقول: سروال.

(٢) الساج هو الطيلسان الضخم.

(٣) ما يذكر وما يؤنث من الإنسان واللباس/ مليمان بن محمد الحامض (ت ٣٠٥هـ). ضمن: رسائل في اللغة؛ تحقيق إبراهيم السامرائي. ــ بغداد: جامعة بغداد، ١٣٨٤هـ، ص ١٠٧.

الرُّود: مشية المتَّئد.

الهَدَجان: مشية المثقّل.

الاختيال والتبختر: مشية المتكبِّر.

القهقرى: مشية الراجع إلى خلف.

القَزَل: مشية الأعرج.

الإهطاع: مشية المُسرع الخائف.

الهرولة: مشية بين المشي والعَدْو.

الحَتَك: أن يقارب الخطو ويُسرع

الانسلات: مشية من ينسلُّ من غير أن يُعْلَمَ به.

القَوْر: مشية من يمشي على أطراف أصابعه لئلا يُسْمَعَ حِسُّه[1].

[٣٦٧]
الطيّب

اسم الطيِّب يقع على أربعة أشياء:

١ ــ الحلال، ومنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

٢ ــ والطاهر، ومنه: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

٣ ــ وما لا أذى فيه، كقولهم: هذا يوم طيِّب.

٤ ــ وما تستطيبه النفس، كقولهم: هذا طعام طيب[2].

---

(١) اللفيف في كل معنى لطيف/ فارس الشدياق، ص ١١٢.

(٢) مغني المحتاج ٤/ ٢٩٧.

[٣٦٨]
لا تقل: طاب حمّامك

قال صاحب القاموس المحيط:

لا يقال: طابَ حمّامُك، وإنما يقال: طَابَتْ حِمَّتُكَ ـ بالكسر ـ، أي: حَمِيْمُك، أي: عَرَقُكَ[١]!

[٣٦٩]
تفصيل الطُّعوم

مِلْح، حارّ، مُرّ، حُلْو، حامض.

فإذا كان حلواً حامضاً فهو مُزّ.

فإذا كان طعمه كالعفص فهو عَفِص.

فإذا لم تكن له حلاوةٌ محضة ولا حموضة خالصة ولا مرارة صادقة كالخبز، فهو تَفِه.

فإذا كان فيه حَرافة وحرارة كالفلفل فهو حرِّيف وحامِز.

فإذا لم يكن له طعم فهو مَسيخ ومَليخ.

فإذا كان كَرِهاً فهو بَشِـع.

فإذا كان طيِّباً فهو لذيذ.

فإذا كان سريع الهضم حميد المغبّة فهو مريء.

فإذا كان بعكس ذلك فهو وخيم[٢].

---

(١) ترتيب القاموس المحيط ١/٧١٦ مادة: حمم.

(٢) اللفيف في كل معنى لطيف/ فارس بن يوسف الشدياق. ـ مالطة: المؤلف، ١٢٥٥هـ، ص ٩٠.

[٣٧٠]
«سواء أم».. و «أو»

قال العلامة الآلوسي أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١):

«المشهور أنه لا يجوز العطف بعد «سواء» بـ «أو» إن كان هناك همزة التسوية، حتى قال في المغني: إنه من لحن الفقهاء.

وفي شرح الكتاب للسيرافي: «سواء» إذا دخلت بعد ألف الاستفهام لزمت «أم» كسواءٌ عليَّ أقمت أم قعدت.

فإذا عطف بعدها أحد اسمين على آخر عطف بالواو لا غير، نحو: سواء عندي زيد وعمرو.

فإذا كان بعدها فعلان بغير استفهام عطف أحدهما على الآخر بـ «أو»، كقولك: سواء عليَّ قمت أو قعدت.

فإن كان بعدها مصدران مثل: سواء عليَّ قيامك وقعودك، فلك العطف بالواو وبأو. وإنما دخلت في الفعلين بغير استفهام لما في ذلك من معنى المجازاة، فتقدير المثال: إن قمت أو قعدت فهما على سواء.

والظاهر من هذا استعمالات العرب لسواء، ولم يحك في شيء من ذلك شذوذاً. . . فافهم هذا المقام، فقد غلط فيه أقوام بعد أقوام»(٢)!

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦.

(٢) روح المعاني ١/ ٢١١ ـ ٢١٢ (طبعة دار الفكر، ١٤١٤هـ).

[٣٧١]
«عــن»

يجري في الاستعمال مثل قولهم: تقرير عن مشكلة التعليم الأساسي، ومحاضرة عن تربية الأسماك، وحلقة إذاعية عن النقد الأدبـي.

ويلاحظ أن «عن» في هذه التعبيرات غير دالة على المجاوزة التي هي المعنـى الأصلـي للحـرف فـي ظـاهـره. وقـد استبـان أن «عـن» فـي هـذه الاستعمالات ونحوها تدل على معنى الاتصال، والتعلق والارتباط.

وقد نبَّه فقهاء اللغة إلى أن دلالة «عن» الأصلية على المجاوزة تتضمن معنى الإلصاق أو السببية أو الظرفية، بمعنى «في» وقد فسرت بذلك شواهد من المنثور والمنظوم في فصيح الكلام. فلهذا ترى اللجنة إجازة أمثال تلك الاستعمالات.

ويخطِّىء بعض الباحثين مثل قولهم «أجاب على السؤال» ويرون أن الصواب إنما هو «أجاب عن السؤال» أو «أجاب إلى السؤال». وترى اللجنة أن استعمال بعض الحروف موضع بعضها لنوع من التضمين جائز.

وقد ورد استعمال «على» بدل «عن» ونص على ذلك ابن مالك في الألفية:

على لـلاستعـلا ومعنـى فـي وعـن ... بعـن تجـاوزوا عنـي مـن قـد فطـن
وقــد تجـي مــوضـع بعــد وعلـى ... كمـا علـى مـوضـع عـن قـد جعـلا

كما ترى اللجنة أنه لا وجه للضيق بمنع هذا السؤال، ومقتضاه أن الجواب رد السؤال ورجعه، فأجاب عليه أي ردَّ عليه. وقد أجاز المجمع إنابة حروف الجر بعضها عن بعض على سبيل التضمين[١].

(١) القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب من ١٩٣٤ ـ ١٩٨٧، أعدها وراجعها =

[٣٧٢]
«شُـوَيّـهْ»

تُتَـداول فـي اللغـة اليوميـة كلمـة «شويـه» بمعنـى القليـل مـن كـل شيء.

وفي «تاج العروس» للزبيدي: أن تصغير شَيْء شُيَيْء، وأورد صيغة تصغير أخرى لها هي «شُوَيّ» وفيها قلبت الياء الأولى واواً، وهي كثيراً ما تقلب واواً في النسب. وأيضاً سُهِّلت الهمزة وأصبحت ياء، وهو تسهيل مقبول في العربية.

وذكـر الـزبيـدي أنهـا لغـة حكيـت عـن إدريـس بـن مـوسـى النحـوي وارتضـاهـا سـائـر النحـاة الكـوفييـن، وقـال: إن المـولـديـن استعملـوهـا فـي أشعـارهـم. وفـي دميـة القصـر للبـاخَـرزي لشـاعـر نجـدي مـن ربيعـة يُسمىٰ قيساً:

معـاهـدُ لـم يُبْـق صَـرْف الـزمـا ... نِ منهـا ومنـيَ إلاَّ شُـوَيّـا

وواضـح أن لفظـة «شُـوَيّـا» فـي البيـت تصغيـر «شَـيْء»، وقـد ألحقـت بهـا اللغة اليوميـة المتداولـة هاء السكت فأصبحت «شُوَيَّهْ» وهو إلحاق جائز فـي الأسمـاء حيـن تنتهـي بسـاكـن فـي الـوقـوف عليهـا فتلحـق بهـا هـاء سكـت. وبـذلـك تكـون كلمـة «شُـوَيّه» التـي تلـوكهـا الألسنـة فـي عصـرنـا عربية سليمة[١].

- محمد شوقي أمين إبراهيم الترزي. ـ القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٤١٠هـ، ص ٢٠٧، ٧٤.

(١) تيسيرات لغوية/ شوقي ضيف. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٤١٠هـ، ص ١٨٠.

[٣٧٣]
الأحاجي النحوية

«كتب الألغاز والأحاجي اللغوية وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة»[١] عنوان كتاب، يبدو أن أصله رسالة علمية؛ لما بذل فيه من جهد حسب خطة منهجية محكمة، توزعت موضوعاته على أربعة أبواب، ذكر فيها مقدمة تاريخية في نشأة الألغاز، ثم دراسة تحليلية لمصادر الدراسة، ثم عن قيم مكونات الألغاز، وشواهد النحو الواردة فيها، وأخيراً أبواب النحو من خلال هذه الكتب.

ومما توصل إليه المؤلف أن قيمة كتب الألغاز النحوية في معالجتها لأبواب النحو بدت في قدرتها واتساع شمولها في الجمع والتلخيص في مسائل كثيرة من كتب النحو النادرة، بحيث تعد مع توثيقها مرجعاً مهماً في النحو، وهذا ما يدعو إلى الثقة فيها لعدم اقتصارها على ما يقع تحت منهجها فقط، متمثلاً في الإشارة والألغاز فقط.

[٣٧٤]
كشكشة.. وتلتلة!

* عنعنة تميم: إبدالهم العين من الهمزة. يقولون: «عن» موضع «أن». أنشد بعضهم:

فلا تُلْهِكَ الدنيا عن الدِّين واعتمل ... لآخـرة لا بـدَّ «عـن» ستصيـرهـا

(١) تأليف أحمد محمد الشيخ. ـ طرابلس الغرب: الدار الجماهيرية للنشر، ١٤٠٧هـ، ٦٨٧ ص.

يريد «أن».

* والكشكشة في بني سعد: إبدال الشين من كاف الخطاب المؤنَّث خاصة، كعَلَيْشِ ومِنْشِ وبِشِ في: عليكِ ومنكِ وبكِ، في موضع التأنيث.

وينشدون للمجنون:

فعيناشِ عيناها وجِيدُشِ جيدُها ولكنَّ عَظْمَ الساقِ مِنْشِ رقيقُ

* والكسكسةُ في بني تميم: هو إلحاقهم بكاف المؤنث سيناً عند الوقوف دون الوصل.

يقال: أكْرَمْتُكِسْ، ومررتُ بِكِسْ، أي: أكرمتُكِ ومررتُ بكِ.

* وَتَلْتَلَةُ بهراء: كسرُهم تاءَ «تَفْعَلون».

وحكى بعضهم قال: رأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: ربِّ اغفرْ وارحم وتجاوَزْ عما تِعْلَمْ. فكسرَ التاء من «تَعْلَم».

* وطمطمانية حِمْيَر: ما في لغتها من الكلمات المنكرة، وكأنها تشبه كلام العجم. كقولهم: طاب امهواء، أي: طاب الهواء.

* والوَكْمُ: من يكسرُ الكاف من منكم، ناس من بكر بن وائل، ومن يكسر الهاء من نحو مِنْهِم، وهم ناس من ربيعة، يقولون: السلام عليكِم، وبِكِم.

* والاستنطاء: لغة سعد بن بكر...

والأنصار يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء، كأَنْطى في: أعطى.

* والوَتْم: قلبُ السين تاءً، لغة في اليمن: كالنات في: الناس.

* والشنشنة: في لغة اليمن: جعل الكاف شيناً مطلقاً.

فيقولون في «قلتُ لكَ»: «قلتُ لَشَ».

* واللخلخانية: العجمَة واللكنة في المنطق.

* والعجرفية: التقعُّر والجفاء في الكلام.

* والتضجُّع: إمالة الحرف إلى الكسر.

* والفشفشة: في تغلب، ولم تُفسَّر.

* والغمغمة: عدم تبيين الكلام.

* والفحفحة: جعل الحاء عيناً[(١)].

[٣٧٥]
بين النحوي والقصاب!

وقف بعض النحاة على قصّاب وقال له: هذا اللحمُ من الضأن الفتيّ أو من المعز الثنيّ؟

فقال له القصّاب: هو من خيار الضأن.

قال له النحوي: أذبحته لغرضٍ أم لمرض؟

فقال له: حتى أتبلّغ أنا وعيالي منه.

قال النحوي: أكان ذكراً ذا خصيتين أم أنثى ذات حلمتين؟

قال له الجزار: كان ذكراً ينطحُ الحائطَ يرميه.

قال النحوي: أكان يمجُّ الماءَ بشدقيه أم يمصُّه بشفتيه؟

---

(١) لهجات العرب/ أحمد تيمور باشا. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٣هـ. (المكتبة الثقافية، ٢٩٠).

قال: كان يدلي زلُومته في الماء ويشرب حتى يشبع.

قال النحوي: أكان مرعاته الشِّيح والبعيتران أم العصفُ والريحان؟

قال: كان يرعى من نبات الأرض كله.

قال له النحوي: أسننتَ شفرتك وحددتَ مديتك؟

قال: جعلتها لو وقعت على رقبة الأبعدِ قطعَتْها!

قال النحوي: أبدأت بالبسملة وأظهرتَ الحيعلة التي هي على وزن فيعلة على قول بعضهم، وقال بعضهم: هي على وزن فعللة والصحيح الأول؟

فقال القصاب لغلامه: هاتِ الجلد حتى أُقَطِّعه على أكتاف هذا النحس الذي عطَّلنا وقطع رزقنا.

فلما سمع النحوي منه ذلك شتمه وهرب[1].

* * *

(١) هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، ص ٣٤٥.

[٣٧٦]
هل عرفته؟

روى الأصمعي عن العمري قال:

قال رجلٌ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن فلاناً رجلُ صِدْق!

قال: سافرتَ معه؟ قال: لا.

قال: فكانت بينك وبينه خصومة؟ قال: لا.

قال: فهل ائتمنتهُ على شيء؟ قال: لا.

قال: فأنت الذي لا علمَ لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد[١]!

[٣٧٧]
متاع قليل من حبيب مفارق

روي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما متَّع زوجته بعشرة آلاف درهم، فقالت المرأة: متاع قليل من حبيب مفارق.

وسبب طلاقه إياها ما روي أنه لمَّا أصيب عليٌّ كرَّم الله وجهه وبويع الحسن بالخلافة، قالت له: لتهنك الخلافة يا أمير المؤمنين!

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/١٥٨.

فقال: يُقتل عليٌّ وتُظهرين الشماتة؟ اذهبـي فأنت طالق ثلاثاً.

فتلفَّفت بجلبابها، وقعدت حتى انقضت عدَّتها.

فبعث إليها بعشرة آلافِ متعةً، وبقيةُ ما بقي لها من صداقها، فقالت ذلك.

فلمَّا أخبره الرسول بكى وقال: لولا أنني طلقتها ثلاثاً لراجعتها[1]!

[٣٧٨]
العالِم.. والجارية

كانت لرباح بن يزيد اللخمي[2] جارية سوداء تخدمه.

فذهبت مرة تستسقي له ماء، فأبطأت.

فقام رباح في طلبها، فوجدها وضعت جرَّتها إلى جنبها وهي نائمة.

فأخذ رباح كساءه ووضعه برفق تحت رأسها وقد استثقلت نوماً، وانطلق رباح بالجرَّة إلى بيته، ثم عاد وجلس قريباً من السوداء ينتظر أن تهبَّ من نومها.

فانتبهت ولم تر الجرَّة، ورأت رباحاً جالساً، فارتاعت خوفاً منه.

فجعل يقول لها: أنتِ حرَّة! أنتِ حرَّة! لتأمن عن نفسها بعتقها[3].

---

(١) تفسير القرطبـي ٣/ ٢٠٢.

(٢) من جلة علماء القيروان، (ت ١٧٢هـ).

(٣) ورقات عن الحضارة العربية ص ٣٣٢.

[٣٧٩]
صداقة.. لا مثيل لها !

قرع رجلٌ بابَ بعضهم، فقال لجاريته: أبصري من القارع؟ فقالت: مَنْ ذا؟

قال: أنا صديقٌ لمولاك.

قال الرجل: قولي: واللهِ إنكَ لصديقه؟ فقالت له.

فقال: واللهِ إني لصديقه.

فنهض الرجل وبيده سيفٌ وكيس، يسوقُ جاريته، وفتح الباب وقال: ما شأنك؟

قال: راعني أمرٌ.

قال: لا بكَ ما ساءك، فإني قد قسمتُ أمركَ بين نائبةٍ فهذا المال، وبين عدوٍّ فهذا السيف، أو أيمةٍ فهذه الجارية[1].

[٣٨٠]
خروج من مأزق

ذكر الإمام القرطبي أن «عيسى الهاشمي» كان يحبُّ زوجته حبّاً شديداً، فقال لها يوماً: أنت طالق ثلاثاً إن لم تكوني أحسن من القمر! .

فاحتجبت عنه وقالت: طلقتني!

فحزن حزناً شديداً، وذهب إلى الخليفة المنصور، وأخبره الخبر،

---

(١) نثر الدر ٧/ ١٧٧ . والأيمة: الرجل الذي لا امرأة له.

فاستحضر الفقهاء واستفتاهم.

فقال جميع من حضر: قد طُلِّقَت، إلاَّ رجلاً واحداً من أصحاب أبي حنيفة، فقد بقي ساكناً.

فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟

فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾، فليس شيء أحسن من الإنسان. فقال: صدقت.

وردَّها إلى زوجها[1].

[٣٨١]
شجاع.. وفاسق!

كان ابن المثنَّى السُّلمي مشغوفاً بالحُرَم، متعرِّضاً لهن، فتعرَّض لامرأة جميلة في الحي فلم تساعده.

ثمَّ جاءته بعد اليأسِ منها طوعاً، فسألها عن السبب في ذلك وعن امتناعها أولاً.

فقالت: رأيتُ بازاً يطرد حمامة، فظفر بها ولم تفته، فقلت لزوجي: أفي الرجال من له هذا العزم والرُّجْلة؟ فقال: ابن المثنى. فأردتُ أن يكون لي منك ولدٌ يشبهك في شجاعتك ورجلتك!

فقال ابن المثنى: انصرفي عني، فوالله لا خنتُ مَنْ مَدَحني في غيبتي بهذا المدح في أهله أبداً[2]!

---

(١) صفوة التفاسير ٣/ ٥٧٩.

(٢) معجم السفر رقم ١٠٦٨.

[٣٨٢]
ثلاث كلمات

ـ قال عليه الصلاة والسلام: «دعِ الدواءَ ما احتملَ جسدُك الداء».

[رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح][١]

* * *

ـ كل مكان ينبتُ العزَّ طيِّب[٢].

* * *

ـ لكل حُسام نَبْوة، ولكل جواد كبوة، ولكل حليم هفوة، ولكل كريمٍ صبوة[٣].

[٣٨٣]
هذا الأعرابـي

روى الأعمش أن أعرابياً جلس إلى «زيد بن صوحان» وهو يحدِّث أصحابه، وكانت يده أصيبت يوم نهاوند.

فقال الأعرابـي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني!

فقال زيد: ما يريبك من يدي، إنها الشمال.

فقال الأعرابـي: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال؟!

فقال زيد: صدق الله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة، الآية ٩٧].

---

(١) مجمع الزوائد ٥/٨٦.

(٢) صفوة التفاسير ٢/٤٦٩.

(٣) جمهرة الأمثال ١/٣٠٨ (طبعة المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٤هـ).

ومعنى تريبني: أي تدخل إلى قلبي الشك هل قُطعت في سرقة؟ وهذا من جهل الأعرابي[1].

[٣٨٤]
من كلام الأعراب

ـ قال هشام بن عبد الملك لأعرابي: كيف أفلتَّ من فلان (عاملٍ له)؟ قال: ببراءته وعدله!

ـ دخل أعرابي على بعض الولاة فقال: ممن الرجل؟ فقال: من قومٍ إذا أحبُّوا ماتوا، فقال: عُذْريٌّ وربِّ الكعبة!

ـ رأى أعرابي إبل رجل كثرت بعد قلّة، فقيل له: إنه قد زوّج أمّه فجاءته بمال، فقال: اللّـٰهم إنا نعوذ بك من بعض الرزق!

ـ قال أعرابي: لسان الرجل لغيره وسمعهُ له.

ـ قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: أعجز الناس من قصّر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ظفر به منهم ثم ضيَّعهم.

ـ هنَّأ بعضهم فتى أراد البناء على أهله فقال: بالبركة، وشدَّة الحركة، والظفر في المعركة!

ـ وقال آخر: فلانٌ ليثٌ إذا عدا، وغيثٌ إذا غدا، وبدرٌ إذا بدا، ونجمٌ إذا هدى، وسُمٌّ إذا ردى.

ـ وقال آخر: مجالسة الأحمق خطر، والقيامُ عنه ظفر[2].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٨/ ٣٢٣٩.

(٢) نثر الدر، لأبي سعد الآبي ٦/٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٥، ٦٨.

[٣٨٥]
أطباء حكماء

* يقول الطبيب يحيى النحوي الديلمي[1]: ليس منا من لم يعمل في صدر نهاره لدنياه، وفي آخره لعقباه.

* وللحكيم علي بن هندو البغدادي في تعظيم العلم: عظِّم العلم في ذاتك، وصغِّر الدنيا في عينيك، واخرج من سلطان شهواتك.

* ويقول أيضاً: العاقل لا يكلف نفسه ما لا تطيق، ولا يسعى فيما لا يدرك، ولا ينظر فيما لا يعنيه، ولا ينفق إلاَّ بقدر ما عند صاحبه من الاستطاعة.

* ويقول ناصر الدِّين الهرمزي الماسور آبادي: الشِّريرُ يباهي بالشرِّ، والخيِّرُ يستحي من الخير، فما أبعد أحدهما عن الآخر!

* ولأبي عبد الله الأرموي: حفظ العلوم كإلقاء البذور، والتفكر في معانيها كالسقي.

* ومن أشعار الحكيم أبي سهل بكر بن عبد العزيز النيلي النيسابوري:

قد رُضْتُ باليأس نفسي فِعْلَ اللبيب الحكيمِ
أقنعتُها بالكفافِ وفيه كلُّ النعيمِ
فما يدٌ لكريمٍ عندي ولا للئيمِ[2]

---

(١) كان من الأطباء القدماء، نصرانياً فيلسوفاً.

(٢) أطباء حكماء/ عبد الجبار دية، ص ٩٣، ٩٥، ١١٦، ١٢٠، ٥٠.

[٣٨٦]
.. أربعة أشياء

قال الحجاج بن يوسف الثقفي:
الكفرُ في أربعة أشياء: في الغضب، والشهوة، والرغبة، والرهبة.
ثم قال: رأيتُ اثنتين، رجلاً غضب فقتل أمه، ورأيتُ رجلاً عشق فتنصَّر[١]!

[٣٨٧]
أربع بلايا شديدة!

يذكر أن تيمورلنك عندما كان في العراق، اجتمع مرة مع العلماء والوجهاء، وسألهم قائلاً: كم هي أشدُّ المصائب والبلايا؟
فأجابوا أجوبة مختلفة، منها: الغلاء، والحرب، ومرض الجذام، والزوج يرى الخيانة من زوجته.
لكنه قال لهم:
أشدُّ البلايا أربع:
القلم الذي لا يكتب.
والقنديل الذي لا يشتعل.
والحمار الذي لا يمشي.
والصديق الذي لا يفهم[٢]!.

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ص ٢٤.
(٢) نقلته من كتاب: من ذكرياتي/ عبد العزيز القصاب. ـ بيروت: عويدات، ص ١٥٠.

[٣٨٨]
رجـال.. أُرتِـجَ عليهم !

● صعد رَوْح بن حاتم المنبر، فلما رأى جمعَ الناس حَصِر، فقال: نكِّسوا رؤوسكم وغُضُّوا أبصاركم، فإن أول مَرْكبٍ صعب، وإذا يسَّر اللهُ فَتْحَ قُفْلٍ تيسَّر.

● ودُعي رجلٌ ليخطبَ في نكاح فحَصِر، فقال: لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلاَّ الله.

فقالت امرأة حضرت: ألهذا دعوناك! أماتك الله.

● وَوَلِيَ رجلٌ من بني هاشم يُعرف بالدندان بحر اليمامة، فلمَّا صعد المنبر أُرْتِـجَ عليه فقال: حيَّا الله هذه الوجوه وجعلني فداءها، إني قد أمرتُ طائفي الليل ألاَّ يرى أحداً إلاَّ أتاني به وإن كنتُ أنا هو!

ثمَّ نزل[١].

[٣٨٩]
خِطبة.. من ثلاث كلمات !

قال الحجاج بن يوسف الثقفي لأيوب بن القِرِّيَّة: اخطب عليَّ هند بنت أسماء، ولا تزد على ثلاث كلمات.

فأتاهم فقال:

أتيتكم من عند من تعلمون، والأميرُ معطيكم ما تسألون، أفتُنكحونَ أم تردُّون؟

---

(١) عيون الأخبار ٢/٢٥٨.

قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا.

فرجع ابن القِرِّية إلى الحجاج فقال:

أقَرَّ الله عينك، وجمع شملك، وأنْبَتَ رَيْعك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات. جعلها الله ودوداً ولوداً، وجمع بينكما على البركة والخير[1].

[٣٩٠]
امتحان البديهة

على نحو ما نشهده اليوم من ندوات يجري فيها اختبار البديهة وسرعة الجواب والمغالبة في الفطنة والعقل، كان العرب (في الجاهلية) يتلاقون في حلقات للسمر، يمارسون فيها مثل هذه الأمور، ولا سيما في مواسمهم، كموسم سوق عكاظ...

ومن أهل الدهاء والفطنة، ومن أهل اللَّسِن واللقَن والجواب العجيب والكلام الصحيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة: هند بنت الخُسِّ الإيادية، وكانت من حكيمات العرب، معروفة بالفصاحة وضرب الأمثال.

وكانت تحضر عكاظاً ولها فيه أخبار كثيرة، وقد أتت الموسم في إحدى السنين، فالتقت رجلاً أراد أن يمتحن عقلها ويمتحن جوابها.

فقال لها: إني أريد أن أسألك.

قالت: هات.

قال: كاد...

(١) المصدر السابق ٣/ ٦٩.

فقالت: . . . المنتعل يكون راكباً.

قال: كاد. . .

فقالت: . . . الفقر يكون كفراً

قال: كاد. . .

قالت: . . . العروس تكون ملكاً.

قال: كاد. . .

قالت: . . . النعامة تكون طائراً.

قال: كاد. . .

قالت: . . . السِّرار يكون سَحَراً.

ثم قالت للرجل: أسألك.

قالت: عجبتُ. . .

قال: . . . للسِّباخ لا ينبتُ كَلَؤها ولا يجفُّ ثَراها.

قالت: عجبتُ. . .

قال: . . . للحجارة لا يكبَرُ صغيرها ولا يَهْرَمُ كبيرها.

* وذكر ابن منظور عن الأزهري أنه كانت في الجاهلية امرأة تقوم بسوق عكاظ، فتنشد الأقوال، وتضرب الأمثال، وتُخجل الرجال، فانتدب لها رجل يوماً فقالت المرأة ما قالت، فردَّ عليها ردّاً قبيحاً أخجلها فهربت[1]!

---

(١) مواسم العرب الكبرى/ عرفان حمود. ــ بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ١٤١٩هـ، ٢/ ٢٢٢.

[٣٩١]

أمثال ونوادر.. على لسان الحيوانات

ـ عيَّر ثعلبٌ لبؤة بأنها إنما تلدُ في عمرها جرواً واحداً، فقالت: نعم، إلاَّ أنه أسد!

ـ قيل للثعلب: تحملُ كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة دينار؟ فقال: أما الكلاء فوافر، ولكن الطريق مخوف!

ـ قالت الخنفساء لأمها: ما أمرُّ بأحدٍ إلاَّ بزق عليَّ، قالت: من حُسنِك تُعَوِّذين.

ـ قبض كلبٌ على أرنب، فقال الأرنب: والله ما فعلتَ بي هذا لقوَّتك، ولكن لضعفي.

ـ قال الثعلب: إذا كان البَخْتُ مُقبلاً كان الكَرْمُ حاملاً، وحافظُ الكَرْم نائماً، والنهر مادّاً، والقمرُ زاهراً[١]!

[٣٩٢]

أمثال سودانية

ـ ابن آدم من طين، يَعْكَر ويَصْفىٰ. أي أنه كأصله الطيني، يتّصف بعكرة إذا هُزَّ إناؤه بمائه، ويصفىٰ إذا تُرك وشأنه في إنائه.

ـ الأطراف منازل الأشراف. أي أن أطراف الأماكن معرَّضة للخطر، ولا ينزلها إلاَّ أشراف الناس لشجاعتهم.

---

(١) نثر الدر للآبي ٧/ ٢٧٣ ـ ٢٧٩.

ـ باب النجار مخلَّع. يضرب لكل من يملك حاجة أو حرفة لا ينتفع منها، مع أنه ينفع بها غيره!

ـ باع ستره وستر حاله. باع سترة بدنه لستر عرضه. يضرب مبالغة في الكرم.

ـ الحبل بين كريمين ما ينقطع.

ـ خسَّر الطبخة علشان ملحة. يضرب مبالغة في الشح.

ـ خمُّ البطون يعمي العيون. ملء البطون من الأكل يعمي عيون البصائر، وربما الأبصار أيضاً!.

ـ الدنيا كثيرها وقليلها رايح.

ـ ربطت الحمار في مكان الحصان. إذا استبدلت المرأة بزوجها زوجاً أقلَّ منه مالاً أو أخلاقاً، يقال: إنها ربطت الحمار في مكان الحصان. ثم أطلق على كل من استبدل نزيهاً أو أعظم بحقير[١].

[٣٩٣]
أمثال.. للعبرة

* من أمثال قبيلة سونينكا (مالي):

ـ الكثير من الناس يكونون رفاقك عندما تشرب العسل، ولكنهم يهربون جميعاً عندما يصبح شرابك مرّاً.

ـ احفر بئراً اليوم حتى تستفيد منها غداً عندما تعطش.

---

(١) مختارات من كتاب: الأمثال السودانية/ بابكر بدري. ـ د. م: د. ن، المقدمة ١٣٨٣هـ.

ـ بعض الناس يعتقد أن كلمات كبار السن والحكماء تذهب سدى في الغابة، ولكن أثرها دائماً تجده في القرية.

* ومثل من الصين يقول:

ـ من امتطى نمراً احتار كيف ينزل عن ظهره.

* ومن فلسطين:

ـ مشيك مع الأجواد يريح خاطرك، تتعب مع الأنذال ولو كنت راكباً[1].

[٣٩٤]
مقامة القهقرى

مقامةٌ للحريري تسمى «مقامة القهقرى» تُقرأ طرداً من أولها، ثم تُقرأ عكساً من آخرها إلى أولها. لكن لا تُقرأ حرفاً حرفاً، بل كلمة كلمة!

قال:

الإنسان صنيعة الإحسان، ورَبُّ الجميلِ فعلُ النَّدب، وشيمة الحرِّ ذخيرة الحمد، وكسب الشكر استثمار السعادة، وعنوان الكرم تباشِير البِشر، واستعمال المداراة يوجب المصافاة، وعقد المحبة يقتضي النصح، وصدقُ الحديث حِلْيَة اللسان، وفصاحة المنطق سحرُ الألباب، وشَرَكُ الهوى آفة النفوس، ومَلَلُ الخلائق شَيْنُ الخلائق، وسوء الطمع يباين الورع، والتزام الحزامة زِمام السلامة، وتطلُّب المثالب شرُّ المعايب... إلخ.

---

(١) من مجلة (الكوثر)، س ٢ ع ١٣ (شعبان ــ رمضان ١٤٢١هـ).

فيمكن قراءتها:

الإحسان صنيعة الإنسان، والندب فعل الجميل، والحمد ذخيرة الحر... إلخ[1].

[٣٩٥]
قصة شعبية كردية.. هادفة

سأل إسماعيل باشا آخر أمراء العمادية «عيسو الحكيم»: مَن هي أفضل امرأة في العالم؟

فأجابه: من كانت لصَّة، وعاشقة، وكاذبة!

ولأن فهم هذا الجواب استعصى على إسماعيل باشا، فقد اقترح عليه «عيسو» أن يقوما معاً بجولة. فتنكرا بزي الدراويش ومضيا.

وكان أول منزل دخلاه منزل رجل كان أصغر إخوته الثلاثة، فطلبا منه أن يضيفهما تلك الليلة، فرحب بهما. وعندما جلسا لاحظا أن لحية مضيفهما بيضاء تماماً، وأن قامته مقوسة.

فسألاه بدهشة عن السبب في ذلك وهو ما يزال شاباً في الأربعين من عمره؟

فأجابهما قائلاً: عندما تذهبان غداً إلى دار أخي الأكبر مني تدركان السبب.

ثم نادى الرجل زوجته، فصرخت هذه في وجهه قائلة: ماذا تريد مني أيها العنكبوت الأحمر، يا سُمَّ الأفاعي؟

---

(١) انظر: زخارف عربية/ نور الدين صمود ص ٢٩.

فقال لها: يجب أن تهيِّئي طعاماً للضيفين الدرويشين.

فردَّت عليه صائحة: ماذا تريد منِّي أن أهيِّىء؟ ألا تعلم أنه ليس في منزلك الخراب شيء؟

وهكذا كانت المرأة تجيب على كل طلب لزوجها بالصراخ والألفاظ النابية.

وعندما حان وقت النوم، قال الزوج لزوجته: لدينا فراشان وغطاءان، فلنأخذ أنا وأنت فراشاً وغطاء ونعطِ الآخرين لضيفينا.

فأجابته الزوجة: فليعم بصرك! ألا تعلم أنِّي لا أسمح لك بأن تلامسني؟ خذ أنت غطاء وآخذ أنا الآخر.

وهكذا أمضى الباشا وعيسو ليلة نكراء.

وفي الصباح التالي ذهبا إلى منزل الأخ الأوسط، فوجدا لحيته شمطاء،

فسأله الباشا: كم عمرك؟

أجاب: إنِّي أناهز الستين.

فاعترض عليه الباشا قائلاً: ولكن في مثل هذه السنّ تكون اللحية كلها بيضاء، فلماذا لم تغدُ لحيتك بيضاء؟

فأجاب المضيف: أمضيا الليلة عندي، وفي الغد تذهبان إلى أخي الأكبر فتعرفان السبب. فقبلا.

وكانت ربّة البيت تلبِّي رغبات زوجها تارة وتتجاهلها تارة أخرى. مرة تبدو مهذَّبة، وأخرى فظَّة غليظة القلب.

وفي الصباح ذهبا إلى دار الأخ البكر، فوجدا أنَّ لحيته سوداء فاحمة، على الرغم من بلوغه الثمانين حسب قوله.

ولما استوضحاه السبب قال لهما: لا تعجبا أيها الدرويشان، امكثا عندي وسوف تعرفان السبب.

لقد كان هذا الأخ البكر أفقر أخويه، إلا أن زوجته كانت تطيعه إطاعة تامّة، فما أن يناديها: يا امرأة! حتى تجيبه: نعم، أنا خادمتك، فماذا تطلب؟ ولما سألها عما إذا كان في الدار ما يصلح للطعام؟ أجابت: وكيف لا؟ إن لدينا كل شيء من بيض وأرز وزبدة وعسل و . . .

وبالفعل فقد هيّأت وجبة طعام تليق ببيت الباشا نفسه.

وعندما حان وقت النوم، سألها الزوج: هل لدينا أَسِرَّة؟

فردَّت قائلة: في ظلّك لدينا كل ما نحتاجه، كما هو الحال في بيت أي باشا.

ثم خرجت إلى بيوت الجيران وعادت بكل ما يلزم لنوم الضيفين.

ثم قال المضيف لزوجته: يا امرأة لدينا ضيوف في هذه الليلة، ولا يليق بنا أن ننام معاً، فلنفترق.

فأجابته: كلاّ! إنَّ الدرويشين أهلنا، وأنت تعلم أنّي أُفَضِّل الموت على أن أنام بعيدة عنك.

وعندما حلَّ الصباح سأل الباشا مضيفه عن أفضل امرأة؟

فقال: إنها بالطبع امرأتي، فهي تخفي عنّي كل شيء يزعجني، وتتموَّن بكل ما نحتاج إليه فلا نخجل تجاه الضيوف، وإذا ما نقصنا شيء استعارته من الجيران. إنها تحبّني. وبطبيعة الحال، إنَّ العيش مع امرأة كهذه لا يسمح للهرم بأن يدخل حياتنا.

وعند ذلك أدرك الباشا معنى كلام عيسو، فكافأه وأطراه، كما أسبغ

الثراء على الأخ البكر، وحمل الأخ الأوسط على أن يطلق زوجته، وزوج الأخ الأوسط من امرأة ثانية[1].

[٣٩٦]
الأعرابي.. والمؤذّن

قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازي الفقيه:

اجتاز أعرابي على مسجد والمؤذن يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

فدخل وصلّى جماعة، فحين أراد الخروج لم يجد مداسه، فتعلق بالمؤذن وطالبه بالمداس وقال: أنت الذي ناديت وجمعت اللصوص حتى سرقوه!

فكلّموه، ولم يُفد الكلام معه، ولم يُخَلِّهِ حتى أخذ ثمنه[2]!

[٣٩٧]
الأعرابي.. ودعاء الاستسقاء

سمع أعرابي أبا المكنون النحوي في حلقته وهو يقول في دعاء الاستسقاء:

اللّٰهُمَّ ربّنا وإلـهنا ومولانا صلّ على محمد نبيِّنا، اللهم ومن أراد بنا سوءاً فأحِطْ ذلك السوء به كإحاطة القلائد على ترائب الولائد، ثم أرْسِخْهُ

---

(١) الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، ألّفه باللغة الفرنسية باسيلي نيكيتين؛ ترجمه نوري طالباني. أثينا: دار آخيل، ١٤١٨هـ، ص ١٧٥ ــ ١٧٦.

(٢) معجم السفر/ أبو طاهر السلفي، رقم ١٥٨٢.

على هامته كرسوخ السِّجيل[1] على هام أصحاب الفيل، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً مريئاً مريعاً مجلجلاً[2] مُسْحَنفِراً[3] هَزِجاً[4] سَحّاً سَفُوحاً طَبَقاً[5] غَدَقاً[6] مُثْعَنْجِراً[7].

فقال الأعرابي: يا خليفة نوح، هذا الطوفانُ وربِّ الكعبة، دعني آوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء[8]!

[٣٩٨]
بخيل آخر!

هذا بخيل آخر، لا تجد أخباره بين كتب البخلاء، فهو «لقطة» من التاريخ.

اسمه أحمد بن طارق الكَرْكي[9] البغدادي، توفي سنة ٥٩٢هـ.

قال ابن النجار:

لم يزل يطلب [العلم] إلى أن مات.

---

(١) السجيل: حجر من طين.
(٢) المجلجل من السحاب: الذي فيه صوت الرعد.
(٣) المسحنفر: الكثير الصب الواسع.
(٤) الهزج: صوت الرعد.
(٥) طبق: عام واسع.
(٦) الغدق: المطر الكثير.
(٧) المثعنجر: السيل الكثير.
(٨) عيون الأخبار ٢/ ١٦٤.
(٩) الكرك بليدة بالبقاع في لبنان.

وكان صدوقاً ثبتاً، طيب المعاشرة، إلاّ أنه كان غالباً في التشيُّع، شحيحاً، مقنطاً على نفسه، يشتري من لُقَم المُكدِّين [أي المتسوِّلين]، ويتبعُ المحدِّثين ليأكل معهم، ولا يُشعل في بيته ضوءاً.

وخلّف تجارة تساوي ثلاثة آلاف دينار[1]!

[٣٩٩]
الزوج المسكين

قال بعض العلماء:

ينبغي للزوج أن يكون فخذه وجفن عينه منه في ألم شديد!

وذلك أنه إذا أراد الخروج من المنزل قالت له امرأته: هات لنا الشيء الفلاني. فيضع يده على عينه إشارة إلى الوعد والإنجاز.

فإذا رجع إلى المنزل ولم يأت بشيء قالت له: أين الشيء الفلاني؟

فعند ذلك يضرب على فخذه ويقول: إني نسيت ولم أذكر!

فيكون هذان العضوان منه في ألم دائم[2]!

[٤٠٠]
عندما أخطأ مأذون الزواج!

جاء المأذون إلى منزل والد فتاتين ليعقد على شابين، فأخطأ والد العروس في تملية المعلومات للمأذون، فكُتِبَ عقدُ الفتاتين عكس ما كان متفقاً عليه، فوقعوا في مشكلة! حيث لا بدَّ من فسخ العقد بطلاق رسمي، ثم إعادة كتابته من جديد.

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ/ للذهبي. ص ٨٢.

(٢) هداية الخليل إلى سواء السبيل/ مصطفى مرتضى، د. م. د. ن، ص ٣٧.

وبعد التشاور مع الشابين والفتاتين قالوا: إن هذه إرادة الله تعالى، ونحن راضون بما اختار الله لنا.. وأتمُّوا الزواج[1].

[٤٠١]
وِديان الشّعر

قال الإمام الذهبي رحمه الله:

الشِّعر هو من فنون المُنشىء، وهو كلام، فحَسَنُه حسن وهو قليل، وقبيحُه قبيح وهو الأغلب، وبيتُ مالِه الكذبُ والإسراف في المدح والهجو والتشبيه والنعوت والحماسة، وأملحُه أكذبه.

فإن كان الشاعرُ بليغاً مفوَّهاً مقداماً على الكذب في لهجته، مصرّاً على الاكتساب بالشعر، رقيق الدين، فقد قرأ مقتَ الشعر في سورة الشعراء، ويندرُ على الشعراء المجوِّدين أن يتصوَّنوا من الهجاء، وربما أدَّى الأمرُ بالشاعر للتجاوز إلى الكفر، نسأل الله العفو.

فالشاعر المحسن كحسَّان، والمقتصد كابن المبارك، والظالم كالمتنبي، والسفيه الفاجر كابن الحجاج[2]، والكافر كذوي الاتحاد، فاختره لنفسك أيَّ وادٍ تسلك[3].

---

(١) صحيفة «الاقتصادية» ع ١٢٢٨ (١٠/٨/١٤١٧هـ) ص ١٤.

(٢) هو الحسين بن أحمد بن الحجاج (ت ٣٩١هـ). شاعر ذو مجون وخلاعة وسخف، مقذع في نظمه، يستنكف اللسان عن التلفظ به.

(٣) زغل العلم، للذهبي، بتحقيق محمد بن ناصر العجمي. ـ الكويت: مكتبة الصحوة الإسلامية، المقدمة ١٤٠٤هـ، ص ٤٨.

[٤٠٢]
الشعر.. شعر !

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني:

الشعر باب من الكلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح.

وإنما ذمَّ الله تعالى الشعرَ لما فيه من المغالاة والإفراط في المديح أو الهجاء، ومجاوزة حدِّ القصد فيه، حتى يفضِّلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحَّهم على حاتم، ويبهتوا البريء، ويفسِّقوا التقي، وربما رفعوا شخصاً إلى الأوج، ثم إذا غضبوا عليه أنزلوه إلى الحضيض!!

وهذا مشاهد ملموس في أكثر الشعراء، إلاَّ من استثناهم الله عزَّ وجل.

والشاعر قد يمدح الشيء ويذمه بحلاوة لسانه وقوة بيانه.

ومن ألطف ما سمعتُ من بعض شيوخي ما قاله بعض الشعراء في العسل:

تقول: هذا مُجاجُ النحل تمدحهُ
وإنْ تَعِبْ قلتَ: ذا قيءُ الزنابيرِ

مدحاً وذمّاً وما جاوزت وصفهما
سحرُ البيان يرى الظلماء كالنور(١)

---

(١) صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني ٢/ ٣٩٩.

[٤٠٣]
قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء[(١)]

هذه رسالة نادرة، لأحد قضاة الإسلام من الروم، ومفتي السلطنة العثمانية، المتوفى سنة ١٢٨١هـ.

فبعض أبيات المتنبي في مدائحه لكافور تصبح بشيء قليل من التوجيه هجائية في طابعها ــ كما يقول المحقق ــ وهو ما أراد المؤلف أن يبسطه في كتابه هذا.

وكان مما شجعه على ذلك ما نقله بعض الشراح عن ابن جني أن المتنبي قال لابن جني: لو شئتُ لقلبتُ الكافوريات كلّها إلى الهجو.

لكن المتنبي مات دون أن يحقق هذا الأمر، وأغفل النقاد، حتى ابن جني نفسه تحقيق ذلك.

لكن المؤلف حسام زاده أقدم على هذه المحاولة.

لكنّه تورَّط في أبيات فسكت أو تحمَّل الكثير في طلب الغوامض الكامنة وراء المعنى الظاهر.

من ذلك: مدحه لكافور بقوله:

يجودُ بـه مـن يَفْضَـحُ الجـودَ جودُهُ ويحمَـدُهُ مـن يفضـحُ الحمدَ حمدُهُ

قال المؤلف: أجمع الشراح على كون المقصود منه الهزء، إلاَّ أنهم لم يذكروا ما ينوِّر قصده.

---

(١) تأليف عبد الرحمن بن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومي؛ تحقيق محمد يوسف نجم. ــ ط ٢. ــ بيروت: دار صادر، ١٤١٣هـ، ١٩٦ ص.

وأنا أذكر لك ذلك؛ لأنه قال في جوده:

بمصــرَ ملــوكٌ لهــم مــا لَــهُ ... ولكنَّهــم مــا لهــم هَمُّــهُ
فــأجــودَ مــن جــودِهــم بُخلــهُ ... وأحمــدَ مــن حمــدهــم ذَمُّــهُ

انظر كيف بيَّن سرَّ الجود والحمد...

وفي ص ٧١ أورد مدحه فيه:

تـرعـرعَ الملِـكُ الأستـاذُ مكتهـلاً ... قبـل اكتهـالِ أريبـاً قبـل تـأديـب

... يهزأ به بادعاء ثبوت شيء له لا يمكن حصوله عادة، كأنه يريد أن يسلب عنه ما أثبته له في البيت الذي قبله من الحلم في حداثة السن...

[٤٠٤]
٣ أبيات بـ ٣٠٠,٠٠٠ درهم!

في «الطيوريات» عن سليمان المخزومي قال:

أذِنَ معاوية للناس إذناً عاماً، فلما احتفل المجلس قال: أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب، كل بيت منها قائم بمعناه. فسكتوا.

ثم طلع عبد الله بن الزبير ــ رضي الله عنه ــ فقال معاوية: هذا مقول العرب وعلّامتها أبو خبيب، فقال: مَهْيَم.

قال معاوية: أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب، كل بيت قائم بمعناه. قال: بثلاثمائة ألف. قال: أوَ تساوي؟ قال: أنت بالخيار، فأنت واف كاف. قال: هات.

فأنشده للأفوه الأودي:

بلـوتُ النـاس قـرنـاً بعـد قـرن ... فلـم أر غيـر ختَّـال وقـالـي

فقال معاوية: صدقت، هيه. فقال:

وذقــتُ مــرارة الأشيــاء طُــرًّا ... فمــا طعــمٌ أمــرَّ مــن الســؤال

قال: صدقت، هيه. فقال:

ولـم أر فـي الخطـوب أشـدَّ وقعـاً ... وأصعــب مــن معــاداة الـرجـالِ

فقال معاوية: صدقت. ثم أمر له بثلاثمائة ألف[1].

[٤٠٥]
يمين.. وشمال !

من البلاغات العربية الطريفة أن يعمد الشاعر إلى كتابة قصيدة في المدح، لكن إذا قرأت صدورها وأسقطت أعجازها تحولت إلى هجاء وذم!

وذلك مثلما عمد ناصيف اليازجي في كتابه «مجمع البحرين» حيث مدح أميراً اسمه «نوفل بن دارم»! فقال:

إذا أتيــتَ نــوفــلَ بــن دارمِ ... أميــرَ مخــزومٍ وسيــفَ هــاشــمِ

وجــدتَــهُ أظلــمَ كــلِّ ظــالــمِ ... علــى الــدنــانيــرِ أو الــدراهــمِ

وأبخــلَ الأعــراب والأعــاجــم ... بعــرضــه وســرِّه المُكــاتِــمِ

لا يستحــي مــن لــوم كــلِّ لائــم ... إذا قضــى بــالحــقِّ فـي الجـرائـمِ

ولا يــراعــي جــانــبَ المكــارِمِ ... فـي جـانـب الحـقِّ وعـدلِ الحـاكـمِ

يقــرع مــن يــأتيــه سِــن النــادمِ ... إذا لــم يكــن مــن قِــدَمٍ بقــادمِ

إن الشقــيَّ وافــدُ البــراجــمِ ... وضيــفُ نــوفــلٍ كضيــف حــاتــمِ

فلو قرأت الصدور وتركت الأعجاز، أو بعبارة أخرى: إذا ألغيتَ

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ٣/ ٣١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦١ (طبعة دار الكتب العلمية).

الأبيات التي في الشمال وقرأت الأبيات التي في اليمين من أعلى إلى أسفل، فإنك تتحصَّل على قصيدة في هجاء نوفل بن دارم على هذا الشكل:

إذا أتيــــتَ نـــوفـــلَ بـــن دارمِ
وجـــدتَـــهُ أظلـــمَ كـــلِّ ظـــالـــمِ
وأبخـــل الأعـــراب والأعـــاجـــمِ
لا يستحـــي مـــن لـــومِ كـــلِّ لائـــمِ
ولا يُـــراعـــي جـــانـــب المكـــارمِ
يقـــرعُ مـــن يـــأتيـــه ســـنَّ النـــادم
إن الشقـــيَّ وافـــدُ البـــراجـــمِ[1]

[٤٠٦]
أبيات طولها وعرضها سواء !

هذه أربعة أبيات كتبها صفي الدين الحلي، وهي تُقرأ طولاً وعرضاً، ولا يتغيَّر وضعها!

١	٢	٣	٤
ليت شعري	لك علمٌ	من سقامي	يا شقائي
لك علمٌ	من زفيري	ونحولي	وضنائي
من سقامي	ونحولي	داوني إذ	أنت دائي
يا شقائي	وضنائي	أنت دائي	ودوائي

فاقرأها حسب الأرقام طولاً وعرضاً، فستجد نفس الأبيات دون تبديل أو تغيير[2]!

(١) انظر: زخارف عربية/ نور الدين صمود ص ٢٣.
(٢) المصدر السابق ص ٦٨.

[٤٠٧]
قصيدة.. ومعارضتها

الفقيه الأصولي محمد بن علي العُبالي الذي غلب عليه لقبه «عز الدين» كان شاعراً أديباً أيضاً. وفاتُه بصنعاء سنة ١٠٨٨هـ.

يقول في قصيدة جميلة له:

مـن خـالفـتْ أقـوالـهُ أفعـالَـهُ ... تحـوّلـتْ أفعـالـهُ أفعـىٰ لَـهُ
مـن أظهـرَ السرَّ الـذي فـي صـدره ... لغيـرهِ واهـاً لـه واهـىٰ لـه
مـن لـم يكـن لسـانـهُ طـوعـاً لـه ... فتـركـهُ أقـوالَـهُ أقـوىٰ لـه
ومـن نـأىٰ عـن الحـرامِ طـالبـاً ... مـن رشـده حـلالـهُ حَـلا لـه

وللإمام محمد بن علي الشوكاني معارضاً لهذه الأبيات قوله:

لا تشتغـلْ بملبـسٍ فكـلُّ ذي ... فضـلٍ تـرى أسمـالَـهُ أسمـىٰ لَـهُ
مـن يطلـبِ الشـيءَ العظيـمَ عـاجـزاً ... عـن حملـه ونـالَـه ونـىٰ لـه
مـن لـم يَـذُدْ رقيبَـهُ عـن مَـربـعٍ ... يلقـىٰ بـه غـزالَـهُ غـزا لـه
فـي راحـةِ المـرءِ وفـي تـرويحـه ... فـؤاده ويـالـه وبـالـه[1]

[٤٠٨]
عندما تحذف حروف!

أنشد المؤرخ ابن النجار لبعضهم:

عـاشِرْ مـن الناس مَـنْ تبقـىٰ مـودَّتهُ ... فـأكثـرُ النـاسِ جمـعٌ غيـرُ مـؤتلِـفِ
منهـم صـديـقٌ بـلا قـاف، ومعـرفـةٌ ... بـدون فـاءٍ، وإخـوانٌ بـلا ألـفِ[2]

(١) هجر العلم ومعاقله في اليمن/ إسماعيل الأكوع ٣/ ١٣٩٠.
(٢) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص ٣٢٨.

[٤٠٩]

قافية بالحركات الثلاث !!

عثمان بن عيسى البَلَطي، أبو الفتح، نحوي من بَلَط، التي تقارب الموصل، كان في عصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله. أورد له ياقوت الحموي ترجمة طويلة في معجم الأدباء[1]، بينها قصيدة طويلة يحسنُ في قوافيها الرفع والنصب والخفض!! منها قوله:

ذو الحــزنِ ليــس يَسُـــرُّه طِيـبُ الأغـانـي والمُـدامِ «مـا»

رفع «المدام» عطفاً على «طيب»، ونصبه بأن تجعل الواو بمعنى مع، وخفضه عطفاً على الأغاني.

أمســىٰ بــدمــعٍ ســافــحٍ فـي الخـدِّ منسكـبٍ سجـامِ «مـا»

رفعه بإضمار «هو»، ونصبه بإضمار فعل، وجرّه نعتاً للدمع.

هـــمٌّ أرى فـــي بثِّـــه ذُلّاً ومــلءُ فمــي لجــامِ «مـا»

«ملءُ فمي لجامُ» مبتدأ وخبر، ونصبه بإضمار أرى، دلَّت عليه «أرى» الأولى، وجرّه بالإضافة.

قَـــدَرٌ علـــيَّ محتَّـــمٌ مــن فـوقُ يـأتـي أو أمـامِ «مـا»

مبنيٌّ على الضمّ، ونَصَبَه بجعله نكرة، ويكون ظرفاً، وجرّه بالإضافة.

إنـــي أرى العيــش الخمــو لَ وصحبــةُ الأشــرار ذامِ «مـا»

«صحبـة الأشـرار ذام» مبتـدأ وخبـر، ويجـوز نصبهـا عطفـاً علـى ما تقدم... إلخ.

---

(١) ١٢/١٤١ ــ ١٦٧ (ط ٣: دار الفكر، ١٤٠٠هـ).

[٤١٠]

خمسة معان لكلمة.. في معركة أدبية

ذكر الأستاذ فؤاد معصوم[١] أن شاعراً عربياً قال بيتاً من الشعر ينتهي بكلمة «يُقال»، ثنَّى عليها شاعر آخر، أبو رامي، ببيت ثان ينتهي بالكلمة نفسها ولكن بمعنى مختلف. وسمع بذلك الشاعر الكردي اليوتريشي، فجاء ببيت ثالث ينتهي أيضاً بالكلمة نفسها، وبمعنى ثالث آخر.

وكان الشاعر الأول قد قال:

أقول لظبيٍ مرَّ بي وهو سانح ... أأنت أخو ليلى، فقال: يُقال

ثنَّى عليه أبو رامي بهذا البيت:

فقلت: يقال المستقيل من الهوى ... إذا مسَّه الضرُّ؟ فقال: يُقَال

ثم ثلَّث الشاعر الكردي اليوتريشي ذلك فأضاف:

فقلت: حبيبي، هل يُقال بظلكم ... إذا جاءكم مضنى؟ فقال: يُقال

ثم قال الأستاذ فؤاد معصوم: لا أعتقد أن شاعراً آخر سيستطيع أن يضيف إلى هذه المساجلة بيتاً رابعاً، وكان في مجلس، فأجمع الحاضرون على ذلك.

لكن الشاعر زاهد محمد زهدي انشق عن هذا الإجماع، وطلب منهم أن يمهلوه دقائق، فأنشدهم البيت الرابع الذي استبعدوا نظمه، وهو:

فقلت له: لو يطلب القيل ظامئاً[٢] ... فهل عندكم قيل؟ فقال: يُقَال

---

(١) هو أول رئيس لوزراء الإقليم الكردي من العراق.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصحيح: ظامىء.

انبهر فؤاد معصوم بذلك، لكن الشاعر زاهد قطع عليه تعجبه ببيت خامس، وهو:

وأردفت: ماذا لو تعثر لفظه وزل لسان منه! قال: يُقَال

«يُقال» في البيت الأول من القَوْل، وتصبح في البيت الثاني من الإقالة والاستقالة، وفي البيت الثالث من القيلولة، أي نوم الظهيرة. وفي البيت الرابع من القيل، أي اللبن، وتقديم اللبن للضيف أثناء النهار. أما في البيت الخامس فهي من المسامحة والغفران وإقالة العثرة وزلة اللسان.

قال خالد القشطيني: وهكذا كسب الإكراد المعركة الأدبية بثلاثة أهداف، سجل اثنين منهما الشاعر زاهد، ضد هدفين للعرب... وزالت الفرصة أمام شعراء عرب ليأتوا ببيت سادس إن استطاعوا... فهل من متطوعين يعيدون للعرب أمجاد دواوين العرب(١)؟

[٤١١]

ظاهره مدح.. وباطنه هجاء!

نظم ناصيف اليازجي بيتين عجيبين، لبعض الأمراء، طرْدُهما مديح، وعكسهما هجاء، وهما:

بَاهي المَراحِمِ لابِسٌ كَرَماً قَديرٌ مُسْنِدُ
بَابٌ لكلِّ مُؤَمِّلٍ غُنْمٌ لَعَمْرُكَ مُرْفِدُ

(١) باختصار مما كتبه خالد القشطيني في جريدة الشرق الأوسط ع (٨٢٣٠) ١٨/٣/١٤٢٢هـ.

ثم عمدَ إلى قلبهما، فإذا هو يقول بهما:

دَنِسٌ مَرِيدٌ قامِرٌ ... كَسَبَ المحَارِمَ لا يهابْ
دَفِرٌ مُكِرٌ مُغْلِمٌ ... نَغْلٌ مُؤَمِّلُ كلِّ بابْ[1]

[٤١٢]

لغز.. ليس نحوياً

قال أبو الحسين الجزار:

ما اسمُ شيءٍ مُعْربٍ وبه النَّصْبُ ... وإن كان مستحقَّ البِناء
عَلَمٌ مُفْرَدٌ وقد رفعوهُ ... نَصَبوهُ عمداً لأجلِ النِّداءِ
أنَّثوهُ ومنه قد سُمِعَ التَّذْ ... كيرُ فانظرْ تناقضَ الأشياءِ
وهو ظَرفٌ فأين مَنْ فيه ظرفٌ ... ليُجَلِّي عن هذه العمياءِ

أجاب الشيخ حسين المحلي المصري الشافعي (ت ١١٧٠هـ):

رجوتُ الله في كشفِ البلاءِ ... لعلَّ الله يَقْبَلُ للدُّعاءِ
فما قد صارَ من لغزٍ تعمَّىٰ ... على أهل الأباطح باعتناءِ
(فمئذنةٌ) جوابُكَ عنه حقّاً ... وذلك مُعْرَبٌ بعد البناء
وعَلَمٌ مفردٌ مرفوعٌ عالٍ ... ومنصوبٌ يراهُ كلُّ راءِ
مؤنَّثُ لفظهِ والذِّكرُ فيه ... بلا لُبْسٍ يكون ولا خفاءِ
فظرفٌ أي محيطٌ في أذانٍ ... عن العَمْيا كشفنا للغطاء[2]

---

(١) زخارف عربية/ نور الدين صمود. ـ تونس: الدار التونسية للنشر، ١٣٩٦هـ، ص ١٥.

(٢) الأحاجي والألغاز الأدبية/ عبد الحي كمال. ـ الطائف: مكتبة المعارف، تاريخ المقدمة ١٣٨٢هـ، ص ٤٥ ـ ٤٦.

[٤١٣]

رجاء.. وفرج

يروى عن الإمام الشافعي قوله:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا	من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينلْهُ أذى	ومن رجاهُ يكون حيث رجا

وقال ابن دريد: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملتْ على اليأس القلوب	وضاق لما به الصدرُ الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت	وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضرِّ وجهاً	ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث	يمنُّ به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهتْ	فموصولٌ بها الفرج القريب

وقال آخر:

ولربَّ نازلة يضيقُ بها الفتى	ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمتْ حلقاتها	فرجت وكان يظنها لا تفرج[1]

[٤١٤]

أبو يوسف.. وابن أبي الدنيا

دخل الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا على القاضي يوسف بن يعقوب (ت ٢٩٧هـ)، وكان مولدهما واحداً. فسأل القاضي عن قوّته فقال: أجدني

(١) تفسير ابن كثير (سورة الانشراح).

كما قال سيبويه:

لا ينفع الهِليون والإطريفل[1] انخرف الأعلى وغار الأسفل
ونحن في جد وأنت تهزل

فكيف أنت يا أبا بكر؟

فأنشد:

أراني في انتقاصٍ كلَّ يومٍ ولا يبقى مع النقصانِ شي
طوى العصران ما نَشَراه مني فأخلق جانبي نشر وطي

ذكره القاضي عياض في مداركه[2].

[٤١٥]
انحناءة الشيخ

الأديب اللغوي البارع أبو محمد سعد بن المبارك المعروف بابن الدهان كان سيبويه زمانه، وله تصانيف ممتعة في اللغة، منها شرح الإيضاح، والتكملة، الذي يشتمل على ثلاثة وأربعين مجلداً.

ومن ظريف شعره قوله:

وعهدي بالصِّبا زمناً وقدِّي حكىٰ أَلِفَ ابنِ مُقلةَ في الكتابِ
فصرتُ الآنَ منحنياً كأني أفتِّشُ في التراب على شبابي[3]

---

(١) الهليون نبت حار رطب باهي، ولعل الإطريفل مثله.
(٢) الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة/ عبد السلام السميج، ص ١٩٩.
(٣) نقايات من غرر الغرر/ أحمد بن شقرون، ص ١٧٢.

[٤١٦]
شرف.. وفخر

يقول القاضي عياض رحمه الله تعالى:

وممـا زادنـي شـرفـاً وتيهـاً ... وكـدتُ بـأخمصـي أطـأ الثـريّـا
دخولي تحت قولك: (يا عبادي) ... وأن صيَّـرتَ أحمـدَ لـي نبيَّـا[١]

[٤١٧]
الترياق الحقيقي

زيد بن الحسن الكندي، تاج الدين، عالم لغوي من بغداد. كان حنبلياً ثم صار حنفي المذهب. قال الإمام الذهبي. كان أعلى أهل الأرض إسناداً في القراءات، فإني لا أعلم أحداً من الأمة عاش بعدما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره. ووفاته سنة ٦١٣هـ.

وله نظم رقيق لطيف، من ذلك قوله:

أرى المرءَ يهوى أن تطول حياته ... وفـي طـولهـا إرهـاقُ ذُلٍّ وإزهـاقُ
تمنَّيـتُ فـي عصـر الشبيبـة أننـي ... أُعَمَّـرُ والأعمـارُ لا شـكَّ أرزاقُ
فلمَّـا أتـى مـا قـد تمنَّيـتُ ساءنـي ... من العمرِ ما قد كنتُ أهوىٰ وأشتاقُ
عَـرَتْنـي أعـراضٌ شـديـدٌ مِـراسُهـا ... علـيَّ وهـمٌّ ليـس لـي فيـه إفْـراقُ
يخيِّـلُ لـي فكـري إذا كنـتُ خـاليـاً ... رُكوبـي على الأعناقِ والسيرُ أعناقُ
ويُـذْكِـرُنـي مَـرُّ النسيـمِ ورَوْحُـه ... حفـائـرَ يعلـوهـا مـن التُّـرْبِ أطبـاقُ
وهـا أنـا في إحـدى وتسعين حجَّـةً ... لهـا فـيَّ إرعـادٌ مخـوفٌ وإبـراقُ

---

(١) صفوة التفاسير، ٢/١٥٦.

يقـولـون: تـريـاقٌ لمثلـكَ نـافـعٌ ومـا لـيَ إلاَّ رحمـةَ الله تـريـاقُ[1]

[٤١٨]
أحسن بيتين..

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله في تاريخه:

قال هشام بن سليمان المخزومي: أجمع أهل الحجاز وأهل البصرة وأهـل الكـوفـة أنهـم لـم يسمعـوا بيتيـن أحسـن مـن بيتيـن رأوهمـا علـى قبـر عبد الله بن جعفر بن أبـي طالب:

مقيـمٌ إلـى أن يبعـث الله خلقـه لقـاؤك لا يُـرجـى وأنـت قـريـبُ
تـزيـدُ بِلـىً فـي كـل يـوم وليلـة وتُنـس كمـا تبلـى وأنـت حبيـب[2]

[٤١٩]
الزوجة الصالحة.. في شعر حكيم

قال شاعر حكيم:

وزوجـةُ المـرءِ عـونٌ يستعيـنُ بهـا علـى الحيـاةِ ونـورٌ فـي ديـاجيهـا
مسـلاةُ فكـرتـه إن بـاتَ فـي كـدر قـدَّمـتْ لـه لتـواسيـه أيـاديهـا
فـي الحـزن فـرحتـه تحنـو فتجعلـه ينسـى بـذلـك آلامـاً يعـانيهـا
كـم زوجـةٍ ذات عقـل غيـر مسـرفـة تـدبّـر الـدار تـدبيـراً ينجيهـا

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦١١ ــ ٦٢٠هـ، للذهبي ص ١٤٥، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٣/ ٢٧٠.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٩١.

تعامل الزوج في أحوال عسرته وفي اليسار بما في النفس يشفيها
والزوج يدأبُ في تحصيل عيشته دأباً ويجهد منه النفس يشقيها
إن عاد للبيت يلقى ثغر زوجته يفترُّ عما يسرُّ النفس يحييها
هذي القرينة هذي من تحنُّ لها نفسُ الأبيِّ ولكن أين نلفيها
وزوجها ملكٌ والدار مملكة والصفو والسعد يجري في نواحيها[1]

[٤٢٠]
نصف حاجة !

طُلب من أحدهم حاجة، فقضى شيئاً منها وترك صاحبه، فقال فيه ذو الحاجة:

سألتُكَ أيُّها الأستاذ حاجة ولا شططاً أردتُ ولا لجاجَةْ
فقمتَ ببعضِها وتركتَ بعضاً ومن حقِّ المقصِّر أن يواجَهْ
جزاكَ الله عني نصفَ خيرٍ لأنك قد نهضتَ بنصفِ حاجَةْ!

[٤٢١]
الببغاء في الشعر

ذكر باحث معاصر أنه لم يقع إلاَّ على إشارة واحدة للببغاء في الشعر العربي، وهي في صورة عزاء يخاطب فيها أحمد بن يوسف الكاتب بعض أصحابه بوفاة ببغائه، فردَّ عليه أحدهم:

---

(١) من كتاب: الإيمان والمؤمنون/ عبد اللطيف مشتهري (الواعظ العام بالأزهر). ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار الكتاب العربي، ص ٩٩.

أنـت تبقـى ونحـن طـرّاً فـداكـا أحسـنَ الله ذو الجـلالِ عَـزَاكـا
فلقـد جـلَّ خطـبُ دَهـرٍ أتـاكـا بمقـاديـرَ أتلفـتْ بيغـاكـا

ولله في خلقه شؤون! والرسالة ساخرة أكثر منها عزاءً وتسلية[1]!

[٤٢٢]
عسكري.. وآخر

أنشد أبو الطاهر إسماعيل بن محمد بن مكنسة القرشي لنفسه بمصر من قصيدة:

وعسكـريٌ أبـداً كلَّمـا تلقـاهُ يلقـاكَ بكـلِّ السـلاحْ
حـاجبـهُ قـوسٌ وأجفـانـه نَبْـلٌ وعِطْفـاهُ تثنَّـىٰ الـرمـاحْ
لا غَـرْوَ وانظـرْ كيـف ألحـاظـهُ غيـرُ صحـاحٍ قـاتـلاتُ الصِّحـاحْ

وأنشد أبو القاسم عبد الصمد بن بابك الشاعر لنفسه:

إذا مـا أنـت لـم تَنْفَـعْ ولـم تَـدْفَـعْ ولـم تَشْفَـعْ
ونُـوْجيْـتَ فلـم تُصـغِ ونُـوديـتَ فلـم تَسمـعْ
ولجلجـت كمـا لجلـجَ تحـت الطُّحلـبِ الضفـدع
فـإهـداءُ القـوافـي لـك كـالمشـطِ إلـى الأقـرع
فـإن مـاثَلْتَنـا ودّاً صَنَعْنـا مثـلَ مـا تصنـعْ
وإن راجَعَـكَ التِّيـهُ ففيمـا قـد جـرى مَقْنَـعْ[2]

---

(١) الحيوان في الشعر العربي/ حسن مصطفى حسن. ـ الرياض: دار المعراج الدولية، ١٤١٩هـ ص ٤٣ (نقلاً من حياة الحيوان الكبرى ١/ ١٩١).

(٢) معجم السفر/ أبو طاهر السلفي، الرقمان ٩٤٢، ٩٥١.

[٤٢٣]
رثاء ابن

يقول الشيخ فيض الحسن بن الخليفة علي بخش بن خدا بخش (ت ١٣٠٤هـ) وهو من الشعراء الذين ينظمون بالعربية في الهند، راثياً ابناً له:

كئبتُ على أن ماتَ إذ صار لاعباً ... ولم أكتئبْ لو مات! إذ كان في المهدِ
إذا ما تـراءى لـي صبـيٌّ شبيهـهُ ... هَمَتْ مُقلتي من غيرِ جهدٍ ولا كهدِ
رأيتُ على أيدي الرجالِ نُعَيْشَهُ ... وقد كنتُ أرجو أن أراهُ على نَهْدِ
سئمتُ من الدنيا لما نابني بها ... وإن كان هذا لا يُعَدُّ من الزهدِ
لقد كنتُ أرجو أن يفارقَ مَهْدَهُ ... وما كنتُ أخشىٰ أن سيُدفَنُ في مهدِ[1]

[٤٢٤]
رمضانُ وَلّى.. العيدُ جاءَ

يقول أمير الشعر (أحمد شوقي) في مطلَع قصيدةٍ:

(رمضان ولّـى هـاتِها يا ساقيْ ... مشتاقـةٍ تسعى إلى مشتاقِ).

. . . وأقولُ:

رمضانُ ولّـى، فـانتَحِبْ لِفِراقِ ... واسكُبْ عَليهِ من دمِ الآماقِ
شتّانَ بينَ بُكائكَ الشهرَ الفَضيْـ ... ـلَ وبينَ مَن يبكيْ لِفَقدِ رِفاقِ
رمضان ولى، والمعاصي أطبقَتْ ... فيهِ عليكَ، وأيّما إطباقِ
رمضان ولى، وما ذرفتَ دميعةً ... ترجو بها عفو العزيز الباقي

(١) حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي/ جميل أحمد.ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٣٩٧هـ، ص ٢٤٦.

رمضـان ولـى، والمـوائـدُ تشتكـيْ ... ثِقَـلَ الصحـونِ وكَثـرةَ الأطبـاقِ!
رمضانُ ولّى، هل تُرى سَيَؤُوبُ؟ أم ... سيكـونُ هـذا العـامُ عـامَ فِـراقِ؟

* * *

والعيـدُ جـاءَ! فـأيـنَ منـهُ صَبـاحـةٌ ... تَعلُوْ الوُجُوهَ، وضَحْكَةُ الأشداقِ؟!
العيـد جـاء وجـرحُ أُمَّـةِ أحمـدٍ ... مـا زالَ يَنْضَـحُ بـالـدَّمِ الـدَّفَّـاق
العيـد جـاء ومـا تـزالُ دِيـارُنـا ... ألْمـى مِـنَ التَّفجيـرِ والإحـراقِ
هـذِيْ هـيَ القـدسُ السَّليبـةُ تشتكـي ... فيُجيبُهـا ألـمٌ مـن البُشْنـاقِ
وعلى رُبـى الشِّيشانِ قَومٌ يَسألُونَ: ... أحِبَّـةَ الإسـلام، هـلْ مِـن راقِ
لِجِـراحِنـا وجـراحِ كشميـرَ الحـزيـ ... ـنَةِ والأُلى لَبِسُوا الأسى بِعِراق؟؟
لا، لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ! فَمَنْ سُئِلُوا بُلُوا ... بِبُطـونِهـم، والسـاقُ فـوقَ السَّـاقِ!
أسَـرَتْهُـمُ الـدُّنيـا الـدَّنيئـةُ فـانتَشَـوا ... للسِّجْـنِ! واختـاروا أشَـدَّ وَثـاقِ!
العيـد جـاء؟! وأيُّ عيـدٍ؟! لَـمْ يَعُـدْ ... لِلْعيـدِ عنـدَ النـاسِ أيُّ مِـذاقِ
(شوقيْ) يقولُ، وما درى بمُصابنا: ... (رمضـان ولّـى هـاتِهـا يـا سـاقيْ)!
عَفواً (أميرَ الشِّعرِ) إنْ عارضتُ ما ... قُلتُـمْ، ولَيـسَ الشِّعـرُ بـابَ شِقـاقِ
لـو كنـتَ تَسْطِيْـعُ الكـلامَ: أذَعتَهـا ... فـي العـالَمِيْـنَ، ودُونَمـا إطـراقِ:
(رمضان ولّى)، (العيد جاءَ) ولا أرى ... إلاّ دُمـوعَ الشِّعـرِ فـي أوراقـيْ
العيدُ في تلكَ الجبالِ، لِمَنْ سَمَتْ ... أرواحُهُـمْ لِلكَـوثَـرِ الـرَّقـراقِ
ـعيـدٌ سعيـدٌ يـا قُبُـورُ، تَجِلَّـةً ... وتحيَّـةً مِـن أعمَـق الأعمـاقِ ـ
العيـدُ لِلشُّهَـداءِ. أمَّـا عيـدُنـا: ... فَهوَ الوَفَا (بالعَهدِ والمِيْثاقِ)[1]:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾

[الرعد: ١٩ ـ ٢٠]

---

(١) جريدة العالم الإسلامي. ع (١١٧٣). ١٦/ ١٠/ ١٤٢٣هـ. وهو من شعر صهيب محمد خير يوسف.

[٤٢٥]
عصيدة من «بيت المال» !

الشيخ أحمد أمين بن محمد بن سعيد العطار المشهور بـ «بيت المال» فقيه من مكة المكرمة، برع وتخرَّج ودرس وألَّف، ووفاته عام ١٣٢٣هـ.

من طرائف ما يروى عنه أن العلاَّمة السيد محسن العطاس قابله بعد الدرس، وكانت حلقته خلف بئر زمزم، فطلب منه أن يصنع له عصيداً للفطور. فارتجل رحمه الله وقال:

إن شئت مني عصيداً ما له مثل	لها شروط بها قد يحسن العمل
منك الدقيق ومني النار أضرمها	الماء مني ومنك السمن والعسل
الغَرْفُ منك ومني الأكل أجمعه	والشكر مني إذا واليت يا رجل[١]

[٤٢٦]
بيت شعر نظمه أربعة شعراء !

من طريف ما ذكره الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله في تأبين شاعر الأهرام محمد عبد الغني حسن (ت ١٤٠٥هـ) قال:

كنت جالساً مع الأستاذ العوضي الوكيل، والدكتور حسن جاد، والأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي وغيرهم، فمرَّت فتاة، فقال شاعر الأهرام: فضفضي الثوب.

فقال العوضي الوكيل: واستزيديه طولا.

---

(١) سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة/ عمر عبد الجبار. ـ ط ٢، ١٣٨٥هـ، ص ٦٥.

فقال خفاجي: وارحمينا.

فقال الدكتور حسن جاد: فالجسم بان فصولا.

فكان بيت شعر قاله أربعة شعراء[1]!

والبيت هكذا:

فضفضي الثوب واستزيديه طولا وارحمينا فالجسم بان فصولا

[٤٢٧]
حلق الشاربين

قال رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) وقد سئل: لماذا حلق شاربه؟!

قالوا حلقت الشاربين ويا ضياع الشاربينِ
فأجبتهم: بل بئس ذان ولا رأت عيناي ذين
الشاغلَيْن المزعجَيْن الطالعين النازلين
وَيْلي إذا ما أرهفا ذَنَبَيْهما كالعقربين
إنْ ينزلا لجما فمي أو يَصْعدا التطما بعيني
وإذا هما بُسط الخوان تراهما سبقا اليدين
فإذا أردتُ الأكل يقتسمان بينهما وبيني
وإذا أردتُ الشرب يمتصّان كالأسفنجتين
فكأنني بهما وقد وقفا بباب المنخرين
عبدان من أشقى العبيد تقاضيا مُلكاً بِدَيْن[2]

---

(١) ذيل الأعلام ص ١٨٦.

(٢) قصائد ضاحكة/ ناصر بن مسفر الزهراني. ــ الرياض: توزيع مؤسسة الجريسي، ١٤٢١هـ، ص ١٤٩.

[٤٢٨]
غضبةٌ نسوية !

جاءتْ مجعَّدةَ الجبينِ مُزَمْجِرهْ شعثاءَ شاهرةَ الذراع مشمِّرهْ
مجنونةَ الكلماتِ ثائرةَ الخُطى وسلاحُها بيمينها لي مسطره
قالت حياتي في رحابك مُرَّةٌ وجوانحي نارٌ عليه مُسعَّرَه
أيامنا انصرمتْ مشنَّجة الرؤىٰ ورياضُ أحلامي بوجهك مقفره
تُمسي وتُصبح للصحائفِ عاكفاً تتلو سخافاتِ الحِجىٰ المتحجِّرهُ
أبليتَ شعر البحتريِّ دراسةً وأبي نواسٍ والكُميتِ وعنتره
ماذا جنيتَ جعلتَ منّا مركباً للجائحاتِ وللمجاعةِ قنطره
في كلِّ زاويةٍ أقمتَ منارةً لَبِناتُها كتبٌ عِتاقٌ منكره
حجراتُنا حبلىٰ بها وجهودُنا حيرىٰ على طرقِ الصلاح مبعثره
ما أنتَ إلاَّ دميةٌ يُلهىٰ بها في سوقِ أربابِ الدراهم مسخره
ما أنتَ إلاَّ ضائعٌ في مهمهٍ نسَّاجُ ألفاظٍ وبائعُ ثرثره
إنْ سرتَ قال الناسُ إنكَ عالةٌ كلٌّ يعيشُ على بقايا المجزره
وإذا لزمتَ البيتَ عشت محنَّطاً وقطعتَ في الموتى لعمرك تذكره
بسماتُنا مشنوقةٌ بشفاهنا ورغائبي في سفح بؤسك مُهْدَره
غرفاتُنا هَرِمَتْ بها جدرانُها شوهاءُ عاريةُ الطلاءِ مُجدَّره
وأثاثنا لمَّا وَهَتْ عزماتهُ جارَ الزمانُ على حِماهُ فكسَّرِه
حتى فساتيني التي أحضرتُها ليلَ الزفافِ على الرفوف مشرشره
مفتاحُ بابِ المال لم يَظْفَرْ به إلاَّ أخو قَدَمٍ وصاحبُ حنجره
هذا غريقٌ في النعيمِ كأنما دنياهُ في قدميهِ من عبثٍ كُرَه
والبلبلُ الصدّاحُ وَدْقُ سمائِهِ ذهبٌ تبيتُ به الليالي ممطره
فدروبهُ بسّامةٌ من خطوِهِ وجِنانُه بكرومها مخضوضره

والعاشقُ الولهُ الولوعُ بكُتْبِهِ أيامهُ سودُ الجباهِ مُكشِّره

«طوقُ الحمامة» في الصباح فطورهُ وغداؤه «قَطْرُ الندَّى» و «الجمهرهْ»

صَدِئتْ حنيناً للطعامِ صحونُه وشكا لهيبَ الجوع جوفُ الطنجره[1]

[٤٢٩]

نهم.. على الخوان

مقطوعة للشاعر معروف الرصافي يصف فيها رجلاً يأكل بنهم شديد:

أكبَّ على الخوانِ خِفّاً فلمَّا قام أعجزهُ القيامُ

ووالىٰ بينها لُقماً ضخاماً فما مَرِئتْ له اللّقَمُ الضِّخامُ

وعاجلَ بَلْعَهُنَّ بغيرِ مضغ فهنَّ بفيهُ وضعٌ فالتهامُ

فأرسلتُ اللحاظَ إليه شَزْراً وقلتُ له رويدكَ يا غلامُ

أرى اللُّقماتِ تأخذها حلالاً فتدخلُ فاكَ وهي به حرامُ

أتزدردُ الطعامَ بغيرِ مضغٍ على أيام صحَّتك السلام

فلا تأكلْ طعامك بازدرادٍ معاجلةً فيأكلكَ الطعام![2]

[٤٣٠]

الحمار المسروق

كان للأستاذ «عثمان لبيب» حمار يركبه في ذهابه إلى المدارس بالقاهرة، فسرقه اللصوص، وبلغ الخبر «محمود سلامة» صاحب جريدة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥١، من شعر أحمد سالم باعطب.

(٢) المصدر السابق ص ٣١١.

«الواعظ»، فرثى الحمار المسروق، وواسى صاحبه بقوله:

قف بسوق الحمير وانظرْ مليّا ... هل ترى أدهماً أغرَّ المحيّا
خَلَسَتْهُ يدُ اللصوصِ صباحاً ... موكفاً مُلجماً مُعدّاً مُهيَّا
فخلا اصطبله وأصبح قاعاً ... صفصفاً خاوي العروش خليّا
كان يا حسرتا عليه صبوراً ... قانع النفس راضياً مرضيّا
كم ليالٍ على الطوى قد طواها ... حامداً شاكراً ولم يشكُ شيَّا
ليت شعري أين الأمانُ وهذا ... جحشُ عثمان قد عُدِمْناهُ حيّا
كان عوناً له إذا رامَ ظعناً ... وخليلاً لدى المقام صفيّا
كان إن قلت (هش) أجابك طوعاً ... وإذا قلت (حا) انتضى سمهريّا
لك فيه العزاءُ عثمانُ أمَّا ... سالبوه فسوف يلقون غيّا[1]

[٤٣١]
بين مرتش وراش

هذه قصيدة للشاعر اللبناني محمد نجيب مروة أرسلها إلى بعض أصدقائه من أعضاء الحكومة من بلده:

أرى الحكام طُرّاً والرعايا ... جميعاً بين مرشيٍّ وراشي
وإن الاختلاف بكل قطرٍ ... لأمر بينهم في الكونِ ناشي
لقد كذب الذين رووا وقالوا ... بأن الحال بين الناس ماشي
أأرباب الحكومة لِمْ غدوتم ... تقودون الورى قود المواشي
وليس يهمُّكم إلاّ بطونٌ ... معوَّدةٌ على أكل المحاشي
وتغسيلٌ لأيدٍ كالماشاتِ ... معوَّدةٍ على قبضِ المعاشِ

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٤.

وتبريم الشوارب في وجوهٍ منعَّمةٍ مزيَّنةِ الحواشي
وهندسةٌ لألبسةٍ كسيتم بها الأبدانَ من أغلى القماشِ
ونومٌ يطرحُ الإنسانَ منكم إلى قرب الظهيرة في الفراشِ
وتُطربكم مشاجرةُ البرايا وتعجبكم مقالةُ كلِّ واشي
وكم تستبشرون إذا سمعتم بأن الخُلْفَ بين الناس ناشِ
لنيلِ مآربٍ إنْ تنكروها سأذكرها الغداةَ ولا أحاشي(1)

[٤٣٢]

عندما سُرقت محفظته !

داعبَ «محمود غنيم» صديقاً له شاعراً سرقت محفظته، فكان مما قال:

هوِّنْ عليك وجفِّفْ دمعك الغالي لا يجمعُ الله بين الشِّعر والمالِ
من أين أصبحتَ ذا مالٍ فتُسْلَبُهُ يا أشبهَ الناسِ بي في رقَّةِ الحال
فيا لها صُرَّةً من جيبكَ انطلقتْ وأنتَ أحوجُ مخلوقٍ لمثقالِ
عوِّذْ نقودك واعقِدْ حولها عُقَداً وثيقةً تتحدَّى كلَّ حلَّالِ
قالوا: خَلَتْ يدهُ من كلِّ ما مَلَكَتْ فقلتُ: بل رأسهُ من عقلِه خالِ
يا ليتَ شعري ماذا أنت صانعهُ أتزمعُ الصومَ حتى شهرِكَ التالي
أقسمتُ ما سَلَبَتْ تلك النقودَ يدٌ لكنَّها أَبِقَتْ من جيبكَ البالي
الذئبُ لا يشتهي لحمَ ابن جلدتهِ فكيف أوقعَ نشَّالُ بنشَّالِ(2)

* * *

(١) المصدر السابق ص ٢٩٨.
(٢) المصدر السابق ص ٣٢٩.

[٤٣٣]
الأسماء المكروهة.. والمحرمة

اتفق الفقهاء على كراهة التسمية بأسماء الشياطين: كخنزب، والولهان، والأعور، والأجدع، ونحوهم.

كما اتفقوا على كراهةَ التسمية بما تنفر منه القلوب، كحرب، ومُرَّة، ونحوهما، لمعانيها، أو ألفاظها، أو لأحدهما؛ لما تثيره من سخرية وإحراج لأصحابها وتأثير عليهم، فضلاً عن مخالفة هدي النبي ﷺ بتحسين الأسماء.

كما اتفقوا على كراهة التسمي بكل اسم يتطير بنفيه: كيسار، ورباح، ونجاح، وأفلح، ونحو ذلك. وفي الحديث رواه مسلم: «**لا تسمينَّ غلامك يساراً، ولا رباحاً، ولا نجيحاً، ولا أفلح، فإنك تقول: أثمَّ هو؟ فلا يكون، فيقول: لا**».

والمحرَّمة التسمية بكل اسم معبَّد لغير الله تعالى، من شمس أو بشر أو غير ذلك، مثل عبد الحسين، وعبد الكعبة.

وكذا التسمية أو التكنية باسم من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى، مثل الرحمن، الخالق، البارىء.

وكل اسم فيه دعوى ما ليس للمسمى، فيحمل من الدعوى والتزكية والكذب ما لا يقبل بحال. كملك الملوك، وسلطان السلاطين، ونحوهما مما لا يليق إلاَّ بالله تعالى[1].

---

(١) أحكام التسمية في الفقه الإسلامي/ علي بن أحمد الكندري. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤١٨هـ، رسالة ماجسير، ص ٤٧٦ ـ ٤٨٩.

[٤٣٤]
العبرة بكثرة الفضائل

* هذا أحد المناهج الإسلامية في تفسير الحوادث والحكم عليها.

فإن الماء إذا بلغ القلّتين لم يحمل الخبث!

وكذلك من غلبت فضائله هفواته اغتفر له ذلك.

وفي هذا يقول الحافظ الذهبي: وإنما العبرة بكثرة المحاسن[١].

* وهذه قاعدة جليلة تعدُّ بمثابة منهج صحيح في الحكم على الناس، لأن كل إنسان لا يسلم من الخطأ، لكن من قلَّ خطأه وكثر صوابه فهو على خير كثير. والإنصاف يقتضي أن يغتفر للمرء الخطأ القليل في كثير صوابه.

* ومنهم أهل السنة هو اعتبار الغالب على المرء من الصواب أو الخطأ، والنظرُ إليه بعين الإنصاف.

* وهناك قاعدة أخرى يمكن اعتبارها في هذا الباب، وهي: «العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية[٢]»[٣].

[٤٣٥]
طبقات العرب

* قال الزبير بن بكار:

العرب ستُّ طبقات: شعب، وقبيلة، وعمارة، وبطن، وفخذ، وفصيلة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٦.

(٢) منهاج السنة ٨/٤١٢.

(٣) منهج دراسة التاريخ الإسلامي/ محمد أمحزون، ص ٨٤، ٨٥

فمضر شعب، وربيعة شعب، ومَذْحج شعب، وحمير شعب، وأشباههم.

وإنما سميت الشعوبَ لأن القبائل تشعبتْ منها.

وسميت القبائلَ لأن العمائر تقابلت عليها: أسد قبيلة، ودودان بن أسد عمارة.

والشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل.

كنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة[(١)].

* بينما قسمها نقيب النقباء أبو البركات بن أسعد بن علي بن معمر الحسيني الجواني النسابة إلى عشر طبقات، وهي[(٢)]:

١ ـ الجذم: وهو الأصل، إما إلى عدنان وإما إلى قحطان. والجذم: القطع.

وذلك لمَّا كثر الاختلاف في عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك، وشقَّ على العرب تشعب المناهج فيه وتصعب المسالك، قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان، واقتُصر على ما ذكر دونهما.

٢ ـ الجماهير: وجماهير العرب: جماعتهم.

٣ ـ الشعوب: وهو الذي يجمع القبائل وتتشعب منه.

٤ ـ القبيلة: وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض، واستوائها في العدد.

---

(١) العمدة/ لابن رشيق. ـ بيروت: دار صادر ٢/ ١٩٠.

(٢) ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٢/ ٢٧٦، طبعة دار الكتب المصرية.

٥ ــ العمائر: واحدها عِمارة.

٦ ــ البطون.

٧ ــ الأفخاذ.

٨ ــ العشائر: وحدها عشيرة، وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء، وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم.

٩ ــ الفصائل: واحدها فصيلة، وهم أهل بيت الرجل وخاصته.

١٠ــ الرهط: وهم رهط الرجل وأسرته.

[٤٣٦]
عائلة «نادرة»!

عائلة مكية عريقة في العلم والنسب، اشتهر من أبنائها علماء كثيرون.

ترجع أصولها إلى محمد بن الحنفية، ثالث أولاد الإمام علي بن أبـي طالب رضي الله عنه.

وهي عائلة «الفهود» التي امتدت الحياة العلمية فيهم ثلاثة قرون، كان لهم فيها العطاء الثقافي والتعليم والتأليف.

وقد اشتهر منهم حُفّاظ أربعة، هم:

ــ الحافظ التقي بن فهد،

ــ وابنه الحافظ النجم بن فهد،

ــ وابنه الحافظ العزّ بن فهد،

ــ وابنه الحافظ جار الله بن فهد، المتوفى سنة ٩٥٤هـ.

قال عنهم الشيخ الكتاني في فهرس الفهارس:

«وأنت إذا تأملت قلَّ أن تجد في بيت من الإسلام أربعة من الحفّاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم».

وقد أُلِّفت في عائلتهم كتب.

ومن مؤلفات آخرهم (جار الله محمد تقي الدين بن عبد العزيز بن فهد) كتاب: «نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى»[1]، الذي هو ذيل لكتاب والده «بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى».

وهذا الآخر ذيل لكتاب والد مؤلفه «إتحاف الورى بأخبار أم القرى».

من كتبه النادرة أيضاً:

ـ تحفة الكرام بمرويات حُجّاب بيت الله الحرام.

ـ النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

[٤٣٧]

فائدة اتفاقية اعتبارية

بهذا العنوان ذكر ابن أبي الوفاء القرشي في ترجمة قاضي القضاة إمام الحنفية «أحمد بن إبراهيم السّروجي» ما يلي:

لم يجرِ مثلها قطُّ في سنةٍ بمصر، أعني سنة عشرٍ وسبعمائة!

مات سلطان مصر. وقاضيها إمامُ الحنفية. ومفسِّرها. والمتكلِّمُ على القلوب. وواعظُها. وشيخ شيوخها. وإمام الشافعية. ومحتسبها. وناظرُ جيشها. وأديبها:

---

(١) وهذا مختصر من مقدمة محققه محمد الحبيب الهيلة. ـ لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٠هـ.

ـ في ذي القعدة قُتل السلطان الملك المظفر بيبرس.

ـ وفي رجب توفي قاضي القضاة إمام الحنفية صاحب الترجمة.

ـ وفي تاسع ذي القعدة مات الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النِّمراوي(١).

ـ وفي ثالث عشر جمادى الآخرة توفي الإمام تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن الحسن المالكي، له «الكلام الفائق».

ـ وفي سادس شهر شعبان توفي شيخ الوعاظ نجم الدين بن العنبري.

ـ وفي يوم الجمعة سادس شوال توفي شيخ الشيوخ كريم الدين عبد الكريم بن حسن بن أبي بكر الآمدي بخانقاه سعيد السعداء.

ـ وفي ليلة الجمعة ثامن عشر رجب توفي إمام الشافعية نجم الدين أبو العباس أحمد بن الرفعة.

ـ وفي مستهلِّ جمادى الآخرة توفي القاضي بدر الدين حسن بن نصر الإسعردي المحتسب.

ـ وفي ليلة عاشر شوال توفي القاضي بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن المظفر بن الحلّي، ناظر الجيوش، حدَّث عن النجيب.

ـ وفي الثامن والعشرين من جمادى الآخرة توفي الإمام الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعي

---

(١) وهو فقيه شافعي صحب الأمير سلار واتصل ببيبرس وتسلطن وهو يلازمه.

الموصلي، مولده بها سنة سبع وأربعين. كان كثير المجون والخلاعة والشعر الرائق، صنَّف كتاب «طيف الخيال»[1].

[٤٣٨]
.. وأخرى اتفاقية

قال ابن أبـي الوفاء القرشي رحمه الله[2]: رأيت بخط شيخ الإسلام تقي الدين القشيري [يعني ابن دقيق العيد، ت ٧٠٢هـ]:

فائدة اتفاقية: ثلاثة إخوة وُلدوا في سنة واحدة، وقُتلوا في سنة واحدة، وأسنانهم اثنان وأربعون سنة، وهم: يزيد، وزياد، ومُدرك، بنو المهلَّب بن أبـي صفرة. وهو ممن مكثَ عشرين سنة لا يُولد له إلاَّ ذَكَر، ولا يموتُ له إلاَّ أنثى!

[٤٣٩]
هل أسلمت حليمة السعدية؟

سئل الفقيه المغربـي عبد السلام السميج (ت ١٣٩٦هـ) عن تحقيق إسلام مرضعة النبـي ﷺ حليمة السعدية، وبيان الراجح من القولين اللذين حكاهما ابن القيم في إسلامها وإسلام زوجها وقال عقبه: فالله أعلم.

فأجاب ما ملخصه:

* الراجح من القولين هو إسلامها، لما رواه الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب» عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال:

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/ ١٢٧ (بتحقيق عبد الفتاح الحلو).

(٢) في المصدر السابق ٤/ ٥٥٤.

جاءت حليمة السعدية بنت عبد الله أم النبي ﷺ من الرضاعة يوم حنين، فقام إليها وبسط لها رداءه، فجلست عليه.

روت عن النبي ﷺ، وروى لها جعفر عنها بقصة إرضاعها. أخرجه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه وصرَّح فيه بالتحديث بين عبد الله وحليمة. اهـ.

* وقولُ الحافظ ابن كثير إنها لم تدرك البعثة، وزعْمُ الحافظ الدمياطي وأبي حيان النحوي أنها لم تسلم مردود، فقد ألف الحافظ مغلطاي فيها جزءاً حافلاً سمَّاه: «التحفة الجسيمة في إسلام حليمة»، وارتضاه علماء عصره.

* قال الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية»:

فأما أبو حيان فليس من فرسان هذا الميدان، يذهب إلى زيده وعَمره.

وأما الدمياطي فحسبنا فيه الرد عليه وقد وهل، غير واحد فذكروها[١] في الصحابة؛ لأنهم مثبتون لذلك، فمن أين له الحكم عليهم بالغلط وقد ذكرها في الصحابة ابن أبي خيثمة في تاريخه، وابن عبد البر الجوزي في الحُداء، والمنذري في مختصر مسند أبي داود، وابن حجر في الإصابة، وغيرهم، وحسبك بهم حجة. على أنه لم يرد دليل على إسلامها، فلا ينبغي أن يُختلف فيه، لأن الله تعالى لم يصطفِ لنبيه محمد ﷺ إلاَّ الطاهرين والطاهرات نسباً ورضاعاً وصهراً، حسبما هو معلوم من الدين ضرورة بأنه لم يكن في آبائه مشرك ولا مشركة. اهـ[٢].

(١) هكذا وردت العبارة السابقة في الأصل.

(٢) الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة/ عبد السلام السميج، ص ٤٨.

[٤٤٠]

الأنصاري.. وحبُّ القرآن

روى الأئمة أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فأصيبت امرأة من المشركين.

فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، وجاء زوجها وكان غائباً، فحلف أن لا ينتهي حتى يهريق دماً في أصحاب محمد ﷺ. فخرج يتبع أثر النبي ﷺ.

فنزل عليه الصلاة والسلام منزلاً فقال: «من رجلٌ يكلؤنا[1] ليلتنا هذه»؟

فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله.

قال: «فكونوا بفم الشعب».

قال: وكانوا نزلوا إلى شعب من الوادي.

فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أيُّ الليل أحبُّ إليك أن أكفيكه، أوله أو آخره؟

قال: اكفني أوله.

فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي.

---

(١) أي: يحرسنا ويحفظنا.

وأتىٰ الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم[1]. فرماه بسهم، فوضعه فيه.

فنزعه ووضعه وثبت قائماً!

ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه.

فنزعه فوضعه وثبت قائماً.

ثم عاد له بثالث فوضعه فيه.

فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ صاحبه[2] فقال: اجلس فقد أُتيت.

فوثب.

فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نَذِروا به[3]، فهرب.

فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: يا سبحان الله! ألا أهببتني؟!

قال: كنتُ في سورة أقرأها فلم أحبَّ أن اقطعها حتى أُنفِدَها، فلمّا تابع الرمي ركعتُ فأريتك. وايمُ الله لولا أن أضيِّعَ ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أُنفدَها[4]!

---

(١) أي: رقيبهم وحارسهم.

(٢) أي: أيقظه.

(٣) أي: شعروا به وعلموا بمكانه.

(٤) المسند للإمام أحمد ٢٣/ ٥١ ــ ٥٣ رقم ١٤٧٠٤، سنن أبي داود ١٩٥، صحيح ابن خزيمة ٣٦، المستدرك للحاكم ١/ ١٥٦، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٠٩.

[٤٤١]

عثمان.. وعلي

ليس تفضيلُ عليٍّ برفضٍ ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلقٌ من الصحابة والتابعين.

فكلٌّ من عثمان وعلي ذوو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة، ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة، وهما من سادة الشهداء رضي الله عنهما.

ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي، وإليه نذهب، والخطب في ذلك يسير.

والأفضل منهما بلا شك أبو بكر وعمر، من خالف في ذا فهو شيعيٌّ جلد.

ومن أبغض الشيخين واعتقد صحة إمامتهما فهو رافضي مقيت.

ومن سبَّهما واعتقد أنهما ليسا بإمامَيْ هدى فهو من غلاة الرافضة أبعدهم الله[١].

ولا نذكرُ أحداً من الصحابة إلاَّ بخير، ونترضَّى عنهم.

ونقول فيمن حارب عليًا: هم طائفة من المؤمنين بَغَتْ على الإمام علي، وذلك بنصِّ قول المصطفى ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[٢].

فنسأل الله أن يرضى عن الجميع، وألا يجعلنا ممن في قلبه غلٌّ للمؤمنين. ولا نرتابُ أن علياً أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحقِّ رضي الله عنه[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٥٧ ـ ٤٧٨.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.

[٤٤٢]
.. إلاَّ أبا عبيدة !

حدَّث ابن عمر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم الشام قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك.

قال: وما تصنعُ عندي؟ ما تريد إلاَّ أن تعصِّر عينيكَ عليَّ!

قال: فدخل، فلم يرَ شيئاً.

قال: أين متاعك؟ لا أرى إلاَّ لِبْداً أو صحفةً وشَنًّا، وأنت أمير! أعندك طعام؟

فقام أبو عبيدة إلى جَوْنَةٍ، فأخذ منها كُسيراتٍ. فبكى عمر.

فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصرُ عينيك عليَّ يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلِّغك المقيل.

قال عمر: غيَّرَتْنا الدنيا كلَّنا غيرَك يا أبا عبيدة(١).

[٤٤٣]
حبٌّ.. وكره

* زيد بن أسلم القرشي، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عالماً مهيباً، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ.

وقال أبو حازم لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

والله لأبوك أحبُّ إليَّ من ولدي وأهلي، واللهِ لو خيَّرني الله

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٧.

أن يذهب به أو بهم، لاخترتُ أن يذهب بهم ويُبقي لي زيد!

* * *

* قال عمر بن ذر لسالم بن أبي حفصة ـ وكان الأخير مفرطاً في التشيع ـ : أنت قتلتَ عثمان.

فجزع وقال: أنا؟

قال: نعم، أنت ترضى بقتله[1].

[٤٤٤]
أكلة واحدة

قيل: إنَّ شريكاً القاضي أُدخل على المهدي.

فقال: لا بُدَّ من ثلاث: إما أن تلي القضاء، أو تؤدِّب ولدي وتحدِّثهم، أو تأكل عندي أكلة!

ففكَّر ساعة ثم قال: الأكلةُ أخفُّ عليَّ.

فأمر المهدي الطباخ أن يُصلح ألواناً من المخِّ المعقود بالسكر وغير ذلك، فأكل.

فقال الطباخ: يا أمير المؤمنين، ليس يُفلح بعدها!

قال: فحدَّثهم بعد ذلك، وعلَّمهم، وولِيَ القضاء[2]!

---

(١) تهذيب الكمال ١٠/١٦، ١٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٠٧.

[٤٤٥]
إنه حفيد عمر

روي أن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب دخل على هشام بن عبد الملك وهو في المسجد، فقال له: يا سالم، سلني حاجة؟

فقال: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره.

فلما خرج خرج في إثره، فقال له: يا سالم ها أنا قد خرجتُ من المسجد فسلني حاجة.

فقال له سالم: يا أستاذ، أسألك من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

قال: لا يا أخي، بل من حوائج الدنيا.

فقال سالم: أنا ما سألتُ من يملكها، فكيف أسأل من لا يملكها[١]!

[٤٤٦]
القاضي المهموم!

أبو كريب عبد الرحمن بن كريب المعافري، رجل صالح مأمون، تولى قضاء الجماعة بالقيروان، وهو من أتباع التابعين، مات شهيداً سنة ١٣٩.

كان ربما وُجد في مجلس قضائه بالمسجد الجامع وحده! فقيل له: أتقعد وحدك؟ لو انصرفت إلى منزلك؟ فيقول: ومن لي بالملهوف إذا قصدَ إليّ ولم يجدني؟

---

(١) سلوة الأحزان لابن الجوزي ص ٣٨.

وكان إذا عاد إلى منزله واضطجع للنوم فربما تَبَيَّن له وجه الحكم في قضية عُرضت عليه في النهار، فينهض من فراشة، ويأتي ليلاً دار من ثبت الحق له، فيقرع عليه بابه ويستخرجه، ويأمره بأن يُحضرَ له صالح جيرانه ليشهدهم له، فيقول له صاحب الحق: لو تركت هذا إلى غد؟ فيقول أبو كريب: فإن متُّ أنا في ليلتي هذه أما أكون أنا الذي أتلفتُ عليك حقَّك[1]؟

[٤٤٧]

الشاعر العاق

أبو نخيلة بن حزن السعدي التميمي شاعر راجز.

كان عاقّاً لأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام واتصل بمسلمة بن عبد الملك، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، فأغنوه.

ولما نكب بنو أمية وقامت دولة بني العباس انقطع إليهم ولقب نفسه بشاعر بني هاشم. ومدحهم وهجا بني أميّة.

واستمرَّ إلى أن قال في الخليفة المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد.

فسخط عليه عيسى، فهرب يريد خراسان، فأدركه مولى لعيسى فذبحه وسلخ وجهه، في سنة ١٤٥هـ[2].

---

(١) ورقات عن الحضارة العربية ص ٣٣٠.

(٢) الأعلام ٨/ ١٥ (ط ٨).

[٤٤٨]
نسأل الله الثبات على الدين

محمد بن مناذر اليربوعي بالولاء شاعر كثير الأخبار والنوادر.

كان من العلماء بالأدب واللغة.

تفقه وروى الحديث. وتزندق، فغلب عليه اللهو والمجون.

أصله من عدن أو من البصرة، ومنشأه وشهرته في الثانية.

اتصل بالبرامكة ومدحهم، ورآه الرشيد بعد نكبتهم فأمر به أن يلطم ويسحب.

وأُخرج من البصرة لهجائه أهلها، وذهب إلى مكة فتنسَّك، ثم تهتَّك! ومات فيها سنة ١٩٨هـ[١].

[٤٤٩]
بـراءة!

كان إبراهيم بن الأغلب الأكبر[٢] يصلي بالجامع المكتوبات كلَّها.

فخرج ليلة من الليالي من دار الإمارة بالقيروان، وكانت ملاصقة لمسجد عقبة، فدخل الجامع لصلاة العشاء الأخيرة، وكان مشغول القلب، فعثر في حصير فسقط.

---

(١) المصدر السابق ٧/ ١١١ (ط ٨).

(٢) مؤسس الأسرة الأغلبية، كان عالماً شاعراً خطيباً مصقعاً، قرأ على الإمام الليث بن سعد، وتولى إمارة إفريقية بعهد من هارون الرشيد، ولم يل البلاد أحسن سيرة ولا أرأف بالرعية منه. ت ١٩٦هـ.

فلما صلى بالناس وانصرف إلى منزله بعث في طلب قاضيه عبد الله بن غانم. فلما أتاه الرسول وقال له: الأمير يدعوك، تغيَّر ابن غانم عند ذلك وقال: في مثل هذا الوقت يوجِّه ورائي؟

ولم يجد بُدًّا من أن قام إليه.

فلما دخل عليه قال الأمير: يا أبا عبد الرحمن، إني لم أبعث إليك إلاَّ لخير، إني لما دخلت المسجد اشتغل قلبي عن حفظ نفسي، فعثرتُ في حصير فسقطت، فظننت بالناس أنهم حسبوا أني منتبذ، فأحببت أن تكون براءتي عندك، فاستنكهني. فاستنكهه القاضي ابن غانم، فوجده بريئاً، فشكر له ذلك[1]!

[٤٥٠]
رؤيا لابن سلاّم

الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) أحد أئمة الدنيا ــ كما يقول ابن حبان ــ صاحب حديث وفقه، ودين وورع، ومعرفة بالأدب، وأيام الناس، جمع وصنَّف واختار، وذبَّ عن الحديث. . .

روي في سبب بقائه بمكة وعدم عوده إلى العراق من أنه لما انقضى حجُّه وأراد الانصراف، أكرىٰ إلى العراق ليخرج صبيحة الغد.

قال أبو عبيد: فرأيتُ النبي ﷺ في رؤياي وهو جالس، وعلى رأسه قوم يحجبونه، والناس يدخلون عليه ويسلمون عليه ويصافحونه، قال: فلما دنوتُ أدخلُ مع الناس مُنعت، فقلتُ لهم: لِمَ لا تخلُّوا بيني وبين

(١) ورقات عن الحضارة العربية ٢/ ٣٣٩.

رسول الله ﷺ؟ فقالوا لي: لا والله لا تدخل ولا تسلِّم عليه وأنتَ غداً خارجٌ إلى العراق. قال: فقلت لهم: إني لا أخرج إذاً. فأخذوا عهدي، ثم خلُّوا بيني وبين النبي ﷺ، فدخلتُ وسلمت وصافحت.

فلما أصبح فسخ أجرة كريه، وسكن مكة حتى توفي بها، ودُفن فيها(١).

[٤٥١]
إنه الإمام البخاري !

دُعي الإمام البخاري إلى بستان بعضِ أصحابه، فلمَّا حضرت صلاة الظهر صلَّى بالقوم، ثم قام للتطُّوع فأطال القيام.

فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟

فإذا زنبورٌ قد لسعَهُ في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً، وقد تورَّم من ذلك جسده، وكان أثرُ الزنبور في جسده ظاهراً!

فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما لسعك؟

قال: كنتُ في سورةٍ فأحببتُ أن أتمَّها.

رحمه الله(٢).

---

(١) طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٠٠، إنباه الرواة ٣/ ٢١٠، وفيات الأعيان ٤/ ٦٢، معجم الأدباء ١٦/ ٢٥٦، شذرات الذهب ٢/ ٥٥.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٢.

[٤٥٢]
قاضي الجن !

إنه القاضي محمد بن عبد الله بن عُلاثة العُقلي. من أهل حرَّان.

قدم بغداد فولَّاهُ المهدي قضاء العسكر ببغداد، فكان في مسجد الجامع بالرصافة.

وسبب لقبه بقاضي الجن: أن بئراً كانت بين حرَّان وحِصن مَسْلَمة، وكان من شرب منها خَبَطَتْهُ الجن. فوقف عليها فقال: أيها الجن، إنا قد قضينا بينكم وبين الإنس، فلهم النهارُ ولكم الليل.

فكان الرجلُ إذا استقى منها بالنهار لم يُصبه شيء[1]!

[٤٥٣]
ذكاء القاضي أبي يوسف

خوصم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبي يوسف في بستان، وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك.

فقال الهادي لأبي يوسف: ما فعلتَ في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟

فقال: خصمُ أميرِ المؤمنين يسألني أن أحلِّفَ أميرَ المؤمنين أن شهودَهُ شهدوا على الحق.

فقال له الهادي: وترى ذلك؟

قال: كان ابن أبي ليلى يراه.

---

(١) تهذيب الكمال ٢٥/٥٢٨، تاريخ بغداد ٥/٣٨٩ ــ ٣٩٠.

فقال: اردد البستان عليه.

وإنما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن الهادي لا يحلف[1]!

[٤٥٤]
شبه أربعة بأربعة

شُبِّه كل واحد من الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ بواحد من الخلفاء الراشدين الأربعة في كيفية الاجتهاد والعمل.

ونظم ذلك بعضهم في أبيات هي:

فـائـدةٌ تنـاسـبُ المقـامـا	رأيـتُ أن أُلحقهـا إتمـامـا
وهـي شبـه الأنجـمِ المتَّبَعَـةْ	للخلفـاءِ الـراشـديـن الأربعَـةْ
فمـالـكٌ علـى طـريقـةِ عمـر	والشـافعـي علـى أبـي بكـرِ الأبَـرّ
كـذا علـى عثمـانَ نجـلُ حنبـلِ	ثـم أبـو حنيفـةٍ علـىٰ علـي[2]

[٤٥٥]
عاقل كبير

قال يونس الصدفي: ما رأيتُ أعقل من الشافعي! ناظرتهُ يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة؟

---

(١) طرائف عن القضاة/ سليمان محمد ثابت. ـ القاهرة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٧٢هـ، ص ٢٧.

(٢) إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك/ محمد حبيب الله الشنقيطي ص ١١١ ـ ١١٢.

قال الإمام الذهبي: هذا يدلُّ على كمال عقل هذا الإمام وفقهِ نفسه، فما زال النظراء يختلفون[1].

[٤٥٦]
نوع تأثير؟

قال الحسين بن الضحاك ـ أحد الأدباء ـ لبعض المتكلمين:

إن ابن أبي دؤاد عندنا لا يعرف اللغة، وعندك لا يُحسن الكلام، وعند الفقهاء لا يُحسن الفقه، وعند المعتصم يُحسن هذا كلَّه[2]!

[٤٥٧]
كرامة.. بسند صحيح

عن أبي سبرة النخعي قال: أقبل رجلٌ من اليمن، فلما كان ببعض الطريق نفقَ حماره[3]، فقام فتوضأ، ثم صلى ركعتين، ثم قال: اللهم إني جئت من الدَّثينة[4] مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تُحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليَّ اليوم منّة، أطلبُ إليك اليوم أن تبعث حماري.

فقام الحمار يَنْفُضُ أذنيه!

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/١٦.

(٢) نوادر عن القضاة/ سليمان محمد ثابت ص ٩٥.

(٣) أي: مات.

(٤) ناحية بين الجَنَد وعدن.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح[1].

وذكر له ابن أبي الدنيا طريقاً أخرى في كتاب «من عاش بعد الموت» [رقم ٢٩]، وبعد أن أورد نص الخبر السابق قال: فقام الحمار ينفضُ أذنيه، فأسرجَهُ وألجمه، ثم ركبه وأجراه، فلحق بأصحابه، فقالوا له: ما شأنك؟ قال: شأني أن الله بعث حماري!

قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع في الكُناسة. يعني الكوفة[2]!

[٤٥٨]
كرامة أخرى

يعقوب بن سفيان الفَسوي محدِّثُ إقليم فارس، إمام حافظ حجَّة رحال، وفاته سنة ٢٧٧هـ.

يقول هذا المحدِّث الجليل: كنت في رحلتي في طلب الحديث، فدخلتُ إلى بعض المدن، فصادفتُ بها شيخاً، احتجتُ إلى الإقامة عليه للاستكثار عنه، وقلَّت نفقتي، وبعدتُ عن بلدي، فكنتُ أُدمن الكتابة ليلاً، وأقرأ عليه نهاراً.

فلما كان ذات ليلة، كنتُ جالساً أنسخ، وقد تصرَّم الليل، فنزل الماءُ في عينيَّ، فلم أُبصر السِّراج ولا البيت!

فبكيت على انقطاعي وعلى ما يفوتني من العلم. فاشتدَّ بكائي حتى

---

(١) دلائل النبوة ٦/٤٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩/٤٨، ٣٩٢ (تحقيق عبد الله التركي).

اتكأتُ على جنبي. فنمتُ، فرأيتُ النبي ﷺ في النوم، فناداني: يا يعقوب ابن سفيان، لم أنتَ بكيت؟ فقلت: يا رسول الله، ذهب بصري، فتحسَّرتُ على ما فاتني من كَتْبِ سنَّتك، وعلى الانقطاع عن بلدي.

فقال: ادنُ مني. فدنوتُ منه، فأمرَّ يده على عينيَّ كأنه يقرأ عليهما. قال: ثم استيقظتُ فأبصرت، وأخذتُ نُسخي وقعدتُ في السِّراج أكتب[1]!

[٤٥٩]

ابن خزيمة.. وإمام الحرمين

* «ابن خزيمة»: اشتُهر بهذا إمامان متعاصران، حنفي وشافعي:

الحنفي: محمد بن خزيمة، مات سنة ٣١٤هـ.

والشافعي: محمد بن إسحاق بن خزيمة، مات في ذي القعدة سنة ٣١١هـ، أدرك أصحاب الشافعي وتفقه عليهم.

* و «إمام الحرمين»: لقب لإمامين كبيرين: حنفي وشافعي.

الحنفي: أبو المظفر يوسف القاضي الجرجاني، ذكره صاحب حماة في «تاريخه» جدُّ إبراهيم بن محمد بن يوسف العابوني.

والشافعي: أبو المعالي عبد الملك، ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، توفي سنة ٤٧٨هـ، أقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرِّس ويُفتي؛ فلهذا لقِّب بإمام الحرمين[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٢.

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٤/ ٥٧٩، ٥٨٠.

[٤٦٠]
نحوي يخدع

عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتّى يقال: كان في درجة الفارسي.

وكان ثقة في الحديث، صدوقاً نبيلاً حجة، إلاَّ أنه لم يكن في دينه بذاك، وكان بخيلاً مبتذلاً في ملبسه وعيشه، ويقف في الشوارع على حلق المشعبذين واللاعبين بالقرود والدباب، كثير المزاح واللعب، طيب الأخلاق. لم يتزوَّج. حصَّل كتباً كثيرة وانتفع به الناس.

وكان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال: إنه مقطوع! ليأخذه بثمن بخس! وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه!

ومن شعره ملغزاً في الكتاب:

وذي أوجه لكنه غيرُ بائحٍ ... بسرٍّ وذو الوجهين للسرِّ مُظهرُ
تُناجيك بالأسرار أسرارُ وجهه ... فتفهمها ما دمت بالعين تنظرُ

توفي سنة ٥٦٧هـ[١].

[٤٦١]
الطحاوي

قال أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر القدوري:

كان أبو جعفر الطحاوي يقرأ على المزني، فقال له يوماً: والله لا أفلحت!

---

(١) بغية الوعاة ٢/ ٢٩ ــ ٣١.

فغضب وانفلَّ من عنده وتفقَّه على مذهب أبـي حنيفة، فصار إماماً.

فكان إذا درَّس أو أجاب في المشكلات يقول: رحم الله أبا إبراهيم، لو كان حيّاً ورآني كفَّر عن يمينه[1].

[٤٦٢]
العالم المجاهد

* المظفر بن الأفطس سلطان الثغر الشمالي من الأندلس.

كان رأساً في العلم والأدب والشجاعة والرأي، وكان شجىً في حلوق الروم، لا ينفِّسُ لهم مخنقاً. له كتاب كبير في الآداب، على هيئة «عيون الأخبار» لابن قتيبة، يكون عشر مجلدات.

* ومن نثره، وقد غنم بلاد شلمنكة، وهي مجاورته ــ فكتب إلى المعتمد بالله يفخر، وينكِّتُ عليه بمسالمته للروم، فقيل: إنه حصَّلَ من هذه الغزوة ألف جارية حسناء من بنات الأصفر:

«مَنْ يَصِدْ صيداً فليصِدْ كما صيدي، صيدي الغزالةُ من مرابضِ الأسد. أيها الملك، إن الروم إذا لم تُغْزَ غَزَتْ، ولو تعاقدنا تعاقد الأولياء المخلصين فلَلْنا حدَّهم، وأذللنا جَدَّهم...».

* ولهذا العالم المجاهد تفسير للقرآن الكريم، فكان مع استغراقه في الجهاد لا يُفترُ عن العلم، ولا يترك العدل... يحضره العلماء... مات بعد ٤٧٠هـ.. رحمه الله[2].

---

(١) معجم السفر رقم ١٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٩٥.

[٤٦٣]
صاحب أخبار نادرة !

محمد بن عبد الباقي المعروف بقاضي المارستان.

له أخبار وحوادث نادرة وعجيبة، وهو من ذرية كعب بن مالك الأنصاري أحد الذين تيب عليهم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨].

أورد ابن الجوزي ترجمته وأخباره في وفيات سنة ٥٣٥هـ في كتابه المنتظم. وهو من البصرة.

ذكر أحد تلامذته قال:

كنّا نسأله عن مولده فقال: أقبلوا على شأنكم، فإني سألت القاضي أبا المظفر هناد بن إبراهيم النسفي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن علي بن زحر المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا أيوب الهاشمي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت البويطي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال: أقبل على شأنك. ثم قال لي: ليس من المروءة أن يخبر الرجلُ سنه... لأنه إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه...

وذكر أنه قد تجاوز التسعين.

وأنشد:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سنٍّ ومالٍ ما استطعتَ ومذهبِ

فعلى الثلاثة تُبتلىٰ بثلاثة ... بمموِّهٍ ومكفِّرٍ ومكذِّبِ

وكان ثبتاً حجة متقناً في علوم كثيرة، منفرداً في علم الفرائض.

وكان يقول: ما أعلم أني ضيعتُ من عمري ساعة في لهو أو لعب، وما من علم إلاَّ وقد حصَّلت بعضه أو كله.

وكان قد سافر فوقع في أيدي الروم، فبقي في أسرهم سنة ونصفاً، وقيدوه وجعلوا الغلَّ في عنقه، وأرادوا أن ينطق بكلمة الكفر فلم يفعل، وتعلم بينهم الخط الرومي.

ومن أقواله: من خدم المحابر خدمته المنابر.

وهو صاحب البيتين المشهورين:

بغـــداد دار لأهــل المــال طيبــةٌ ... وللمفـاليـس دار الضنـك والضيـق

ظللـتُ حيـران أمشـي فـي أزقّتهـا ... كأنني مصحفٌ في بيت زنديق!

ومرض مرض الموت، فلم يفتر عن قراءة القرآن إلى أن توفي، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافي، وكان قد أوصى أن يكتب على قبره: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: ٦٧، ٦٨].

[٣٦٤]

رحالة يصف مجالس ابن الجوزي

لابن جبير الرحالة كلام عجيب ووصف دقيق لمجالس الإمام الحافظ ابن الجوزي الوعظية، أوردها في رحلته[١] ببيان ناصع وتأثر بالغ..

* ومما ورد فيها قوله:

«ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا

(١) ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ طبعة دار صادر ببيروت.

الضجيج، وتردَّدَ بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفَراش على المصباح، كلٌّ يلقي ناصيته بيده فيجزُّها، ويمسحُ على رأسه داعياً له، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه.

فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة.

فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر إلاَّ لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة. . .

وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل. . .».

* وحضر مجلسه مرة أخرى، فكان ممّا وصفه به:

«. . . فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سرَّ شوقها المكنون، وتطارح الناسُ عليه بذنوبهم معترنين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً، ولا تميز معقولاً، ولا تجد للصبر سبيلاً».

* وقال:

«. . . فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دهشاً عجلاً، وقد أطار القلوب وجلاً، وترك الناس على أحرَّ من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فمن معلن بالانتحاب، ومن متعفِّر في التراب!!

فيا له من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه. . .».

* وفي مجلس ثالث حضره قال فيه:

«. . . فشاهدنا من أمره عجباً، صعَّدَ بوعظه أنفاس الحاضرين سحباً، وأسال من أدمعهم وابلاً سكباً. . . وغادر الكلُّ متندماً على نفسه منتحباً،

لهفان ينادي: يا حسرتا وا حربا، والنادبون يدورون بنحيبهم دور الرحى، وكلٌ منهم بعدُ من سكرته ما صحا.

فسبحان من خلقه عبرةً لأولي الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إلـه سواه».

[٤٦٥]
البطل الفقير!

السلطان صلاح الدين الأيوبـي، الذي حكم أكبر دولة إسلامية في عهده، وهزم أقوى جيوش في عصره، يشهد عنه صديقه ورفيقه ابن شداد فيقول: «إنه مَلِكٌ ما مَلَك، ومات ولم يوجد في خزانته من الفضة إلاَّ سبعة وأربعين درهماً ناصرية، ومن الذهب إلاَّ جرم واحد صوري ما علمتُ وزنه».

ولما مات هذا السلطان العظيم، الذي كان يحكم من حدود الشام الشمالية في آسيا إلى صحراء النوبة في الجنوب في إفريقيا، لم توجد في خزانته ما يكفنون به، وينفقون على تجهيزه!

يقول ابن شداد: «ثم اشتُغل بتغسيله وتكفينه، فما أمكننا أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبّةٌ واحدة إلاَّ بالقَرْض، حتى في ثمن التبن الذي بُلَّت به الطين. وأُخرج بعد صلاة الظهر في تابوت مسجًّى بثوب فوط، وكان ذلك، وجميع ما احتاج إليه من الثياب في تكفينه قد أحضره القاضي الفاضل من وجه حِلٍّ عرفه[1].

---

(١) الأركان الأربعة/ أبو الحسن الندوي ص ٥٣ نقلاً من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، لابن شداد ص ٣٥١.

[٤٦٦]
ملك داهية

الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، صاحب حلب، ولي سلطنتها ٣٠ سنة.

قال الموفق عبد اللطيف: كان جميل الصورة، رائع الملاحة، موصوفاً بالجمال في صغره وكبره، وكان له غور ودهاء ومكر. وأعظم دليل على دهائه مقاومته لعمّه الملك العادل، وكان لا يُخْليه يوماً من خوف، وشُغل قلب.

وكان يصادق ملوك الأطراف ويباطنهم ويلاطفهم، ويوهمهم أنه لولا هو لقد كان العادل يقصدهم، ويوهم عمَّه أنه لولا هو لم يُطعه أحد من الملوك، ولكاشفوه بالشقاق. فكان بهذا التدبير يستولي على الجهتين، ويستعبد الفريقين، ويشغل بعضهم ببعض.

وكان كريماً معطاء، يغمر الملوك بالتحف، والرُّسل بالنُّحل (العطايا) والشعراء والقُصّاد بالصِّلات...[١]

[٤٦٧]
العالم الموجّه

ختن الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي أولاده، فمضى أهل العلم من شيوخ القيروان لتهنئته في مدينة «رقّادة»، وكان فيمن مضى إليه عبد الجبار بن خالد[٢].

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦١١ ـ ٦٢٠، للذهبي ص ١٥٨.

(٢) من عقلاء شيوخ القيروان ومن أعيان تلاميذ سحنون. ت ٢٨١هـ.

فلما أتى إلى الأمير أكبره وعظَّمه وسُرَّ برؤيته، وأخرج إليه أولاده فدعا لهم وبارك عليهم، ثم قال: أيها الأمير، هل علمتَ مقدار هذه النعمة التي أنعم الله تعالى عليك بها؟ فإنه أعطاك هؤلاء البنين، وعلَّمتهم كتاب الله، وأحييت فيهم سنة رسول الله ﷺ، وقد بلغني أنك أكثرت فيما عملتَ من الطعام، ودعوتَ إلى ذلك الأغنياء والأعيان!!

فقال الأمير: أجل! لموضع المسرَّة بذلك.

فقال له عبد الجبار: فلو استكملتَ هذه المسرَّة بأن تذكر الفقراء فيها؟

فقال له: صدقت وبررت.

ثم دعا بكيس فيه (٥٠٠) دينار، ودفعه لعبد الجبار، وسأله أن يفرِّقها على الفقراء والمساكين.

فأجابه عبد الجبار إلى ذلك. فسُرَّ الأمير بفعله، وشيَّعه إلى باب القصر، وقال لغلمانه: احملوا الشيخ على دابَّته.

وقال: والله ما برحتُ حتى تركب. فركب عبد الجبار والأمير قائم.

فلما استوى على مركوبه وأصلح الغلمانُ ثيابه وانصرف، التفتَ الأمير إلى كاتبه رجاء بن محمد وخاطبه: يا رجاء، أرأيتَ ما أعقله وما أظرفه؟ أتعرف في رعيتي مثله؟ إنه قضى ذمامنا، وتعافى عن طعامنا، وأخرج مالنا فيما يُرضِي الله ويُرضينا.

وتصدَّق عبد الجبار بجميع الدنانير على من يستحقها من المساكين[1].

---

(١) ورقات عن الحضارة ٢/ ٣٥٠.

[٤٦٨]

ابن عيذون

علي بن عبد الجبار بن عيذون الهذلي عالم من تونس، وفاته سنة ٥١٩هـ.

قال فيه الحافظ أبو طاهر السلفي: كان إماماً في اللغة حافظاً لها، حتى إنه لو قيل: لم يكن في زمانه ألفىٰ منه لما استبعد!

وكانت له قدرة على نظم الشعر، وله إليَّ قصائد، وقد أجبته عنها. ومن جملة شعره قصيدة في الرد على المرتد البغدادي لعنه الله، فيها أحد عشر ألف بيت على قافية واحدة...[١]!

[٤٦٩]

خاتون السَّفَرية

كانت حظيَّة السلطان ملكشاه. وَلَدَتْ له محمداً وسِنْجراً.

وكانت تتديَّن.

وكان لها سبيل يُخْرَجُ إلى طريق مكة[٢].

وبحثت عن أمِّها وأهلها حتى عرفت مكانهم، ثم بذلت الأموال لمن أتاها بهم. فلما وصلوا إليها ودخلت أمُّها عليها ــ وكانت فارقَتْها منذ أربعين سنة ــ جلست بين جوارٍ يُشبهنها حتى تنظر هل تعرفها أم لا؟ فلما سمعت الأم كلامها نهضت إليها فقبَّلَتْها. واعتنقتا، وأسلمت الأم.

---

(١) معجم السفر/ أبو طاهر السلفي رقم ٩٣٤.

(٢) السبيل في طريق مكة هو إخراج الصدقات في الطريق المذكور من الماء والزاد والعتاد والأدوية للمحتاجين والمرضى.

وقد وُلّي ابناها محمد وسنجر السلطنة.

توفيت سنة ٥١٥هـ[١].

[٤٧٠]
رحّالة

أبو حامد محمد بن عبد الرحيم بن أبـي الربيع (ت ٥٦٥هـ) أندلسي غرناطي.

بدأ رحلته إلى مصر سنة ٥٠٨هـ حين نزل بالإسكندرية، وكان القصد منها التعلم والاستفادة.

ثم عاد إلى وطنه الأندلس، ولكنه لم يمكث فيه طويلاً، فجدَّد الترحال إلى جزيرة سردانيا وصقلية ليحط رحله بالإسكندرية ثم القاهرة.

وفي سنة ٥١٦هـ رحل إلى بغداد ليستقرَّ بها أربع سنوات.

وفي سنة ٥٢٤هـ نزل بأبهر في فارس، وفي العام التالي عبرَ بحر قزوين ليصل إلى مصب نهر الفولجا في الأراضي الروسية!

وفي الفترة التالية قام بثلاث رحلات إلى خوارزم.

وفي سنة ٥٣٠هـ دخل بلغار حيث مات أحد أبنائه، وبعد ذلك بخمس عشرة سنة رحل إلى باشغرد في هنغاريا حيث كان يمتلك منزلاً، وفي هذه المدينة تزوج ابنه حامد بسيدتين من تلك البلاد، وأقام هناك بصفة دائمة.

(١) نساء الخلفاء، المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء/ علي بن أنجب بن الساعي؛ حققه مصطفى جواد. ــ القاهرة: دار المعارف، د. ت، ص ١٣٠.

وفي سنة ٥٥٤هـ عاد إلى بغداد، وألف للوزير ابن هبيرة كتابه «المغرب عن عجائب المغرب».

وفي سنة ٥٥٧هـ استقرَّ به المقام في الموصل، ونزل عند أحد العلماء، ووجد منه تشجيعاً لتسجيل مشاهداته وما صادفه من العجائب والغرائب أثناء رحلاته، فدوَّن كل ذلك في كتاب أسماه «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب»[1].

ومن العراق انتقل إلى الشام في فترة تالية، وأقام بحلب بضع سنوات، ثم سافر إلى خراسان، ومنها إلى دمشق، وتوفي بها.

[٤٧١]
حيلة.. على عالم!

زكريا بن علي المعروف بابن العلبي (ت ٦٣١هـ) كان من صوفية رباط أبي النجيب السهروردي، وكان ساكناً لا يكاد يتكلم إلَّا جواباً. وكان في الآخر يطلب على السماع أجراً، ويصرِّحُ به.

فسمع عليه جماعة كتاب «الدارمي» وكتاب «ذم الكلام»، وعند إنهائه قالوا: قد بقي منه شيء إلى غد، أو نعطيك شيئاً؟

ثم لم يعودوا إليه، فكان يشتمهم وينالُ منهم[2]!

---

(١) الذي صدر بتحقيق إسماعيل العربي. ــ ط ٢. ــ بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ، ٢٢٢ ص. ومن مقدمة المحقق ترجمته.

(٢) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦٣١ ـ ٦٤٠هـ، للذهبي، ص ٦٤ ــ ٦٥.

[٤٧٢]

العالم العامل

الشيخ الجليل العالم العامل إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، المعروف بالعماد، أخو الحافظ عبد الغني.

* كان قوياً في أمر الله، ضعيفاً في بدنه، لا تأخذه في الله لومة لائم. وكان كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* خرج مرَّة إلى فُسَّاق فكسرَ ما معهم، فضربوه ونالوا منه، حتى غُشي عليه. فأراد الوالي ضربهم، فقال: إن تابوا ولزموا الصلاة فلا تؤذهم، وهم في حِلٍّ. فتابوا، ورجعوا عما كانوا عليه.

* وله كرامات تروى، منها: ما رواه عبد الله ابن الحافظ عبد الغني عن مكي الشاغوري المؤذن قال: كنت يوماً أمشي خلف العماد في سوق الكبير، فإذا صوت طنبور، فلما وصلنا إلى عند صاحبه قال الشيخ: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، ونفضَ كُمَّه، فرأيت صاحب الطنبور قد وقع وانكسر الطنبور، فقيل لصاحبه: أيش بك، أيش جرى عليك؟ فقال: ما أدري!

* ومن دعائه المشهور رحمه الله: اللهم اغفر لأقسانا قلباً، وأكبرنا ذنباً، وأثقلنا ظهراً، وأعظمنا جرماً، وأقلّنا حياءً منك ووفاءً بعهدك، وأكثرنا تخليطاً وتفريطاً، وتقصيراً وتعثيراً وتسويفاً، وطولَ أمل مع قرب أجل وسوء عمل(١).

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٢ (وفيات ٦١١ ـ ٦٢٠).

[٤٧٣]

.. قبل أن يفوت الزرع

أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله العباسي (ت ٦٢٣هـ) جمع الخشوع مع الخضوع لربه، والعدل والإحسان إلى رعيته.

بُويع وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، فقيل له: ألا تتفسَّح؟ قال: قد فات الزرع!

فقيل: يبارك الله في عمرك. قال: من فتح دكاناً بعد العصر أيش يكسب؟!

ثم إنه أحسن إلى الناس، وفرَّق الأموال، وأبطل المكوس، وأزال المظالم.

وحُكي عنه أنه دخل إلى الخزائن، فقال له خادم: في أيامك تمتلىء. فقال: ما فُعِلَتِ الخزائن لتُملأ، بل لتُفرغ وتُنفق في سبيل الله تعالى، فإن الجَمْعَ شغلُ التجار(١).

[٤٧٤]

ثلاثة إخوة

أولهم «القاضي الفاضل»، واسمه عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي، صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الصلاحية وبعدها، الذي طبقت شهرته الآفاق لمكنته في الكتابة، والإبداع فيها: نثراً وبلاغة وإيجازاً. وكان له غرام بالكتابة، وبتحصيل الكتب. وكان له الدِّين والعفاف والتقى،

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦٢١ ــ ٦٣٠، للذهبي ص ١٦٨.

مواظب على أوراد الليل، والصيام، والتلاوة. وكان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يشتغل بالأدب والتفسير، متقلّلاً في مطعمه ومنكحه وملبسه، لباسه البياض، لا يبلغ جميع ما عليه دينارين! يكثر تشييع الجنائز، وعيادة المرضى، وزيارة القبور، وكان ضعيف البنية، رقيق الصورة، له حَذْبة يغطيها الطيلسان.

وكان له أخ خدم في الإسكندرية وبها مات، وخلَّف من الخواتيم صناديق، ومن الحُصُر والقُدور والخَزف بيوتاً مملوءة، وكان متى رأى خاتماً أو سمع به تسبَّبَ في تحصيله!

وأخ آخر له كان له هَوَسٌ مفرط في تحصيل الكتب، وكان عنده زُهاء مائتي ألف كتاب، من كل كتابٍ نُسخ[1]!

[٤٧٥]

من المخطىء؟

أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري: نحوي فَرَضي صاحب تصانيف، حنبلي المذهب.

قال: جاء إليَّ جماعة من الشافعية فقالوا: انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة. فأقسمت وقلت: لو أقمتموني وصببتم عليَّ الذهب حتى أتوارى به ما رجعت عن مذهبي[2]!

قلت: التبعة على كلا الطرفين!

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٥٩١ ــ ٦٠٠هـ، للذهبي. ص ٢٥٠.

(٢) تاريخ الإسلام وفيات ٦١١ ــ ٦٢٠، للذهبي ص ٢٩٥.

[٤٧٦]
ذاكرة عجيبة !

الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي المقدسي الحنبلي: كان شيخاً ورعاً مهيباً، عالماً كبيراً، يقوم الليل فيصلي ويقرأ ويبكي. . وكان ذا حافظة عجيبة!

* جاءه رجلٌ فقال: رجلٌ حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث؟ فقال: لو قال أكثر لصدق!

* وقيل إنه سئل: لِمَ لا تقرأ من غير كتاب؟ يعني دائماً. قال: إنّي أخاف العُجْب(١)!

[٤٧٧]
شيخ للشافعية

شيخ الشافعية بالشام الإمام فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن عساكر(٢): كان لا يملُّ الشخص من النظر إليه، لحُسْنِ سَمْته، واقتصاده في لباسه، ولُطفه، ونور وجهه، وكان لا يخلو لسانه من ذكر الله في قيامه وقعوده. وكان الملك المعظَّم قد أرسل إليه ليولِّيه القضاء فأبى.

قال الإمام الذهبي: وكان يتورَّع من المرور في رواق الحنابلة (بالجامع الأموي) لئلا يأثموا بالوقيعة فيه، وذلك أن عوامَّهم يُبغضون بني عساكر، لأنهم أعيان الشافعية الأشعرية.

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات، ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص ٤٤٧.

(٢) وهو غير الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.

قال أبو شامة: أخبرني من حضر وفاته قال: صلَّى الظهر، ثم جعل يسأل عن العصر، فقيل له: لم يقرب وقتها. فتوضأ، ثم تشهَّد وهو جالس، وقال: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، ومحمد نبياً، لقَّنني الله حجَّتي، وأقالني عثرتي، ورحمَ غُربتي، ثم قال: وعليكم السلام.

فعلمنا أنه قد حضرت الملائكة. ثم انقلب على قفاه ميتاً[1].

[٤٧٨]
إنه شعلة!

إمام مجوِّد ذكي، عاش ثلاثاً وثلاثين سنة فقط (٦٢٣ ــ ٦٥٦).

هو محمد بن أحمد بن محمد الموصلي الحنبلي، المعروف بشعلة، ويقال له ابن الموقع.

له كتب عديدة، وشرح الشاطبية في القراءات، وهو ناظم.

وكان «صالحاً خيِّراً تقياً متواضعاً» كما يقول الذهبي.

والإتقان في العلم والتأليف في موضوعات صعبة منه قليل ونادر.

وقد حصل لهذا الإمام الشاب قصة رواها الذهبي[2] عن أبي بكر المقصاتي، عن أبي الحسن علي بن عبد العزيز قال:

كان شعلة نائماً إلى جنبي، فاستيقظ فقال: رأيت الآن رسول الله ﷺ وطلبت منه العلم، فأطعمني تمرات!

قال أبو الحسن: فمن ذلك الوقت فُتح عليه!

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٣٩، تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١١ ــ ٦٢٠، للذهبي، ص ٥٠٢.

(٢) في سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦٠.

[٤٧٩]
ابن عاشر

أحمد بن عمر، أبو العباس، المشهور بابن عاشر (ت ٧٦٤هـ).

من أشهر الصالحين الزهاد في المغرب. وكان على علم غزير.

أصله من الأندلس. استقرَّ في «سلا» إلى أن توفي.

قصده السلطان أبو عنان صاحب المغرب يريد زيارته (سنة ٧٥٧هـ) ووقف ببابه طويلاً فلم يأذن له بالدخول!

وزاره لسان الدِّين بن الخطيب فعدَّ مقابلته له ظفراً[(١)]!

[٤٨٠]
ابن بدران.. يشكو من ألمِ

علاَّمة الشام عبد القادر بن أحمد بن بدران (ت ١٣٤٦هـ) رحمه الله، فقيه أصولي حنبلي، عارف بالأدب والتاريخ، وله شعر.

أصيب بداء الفالج في آخر أعوامه. . .

يقول في وصف حاله:

نمتُ ليلة النصف من شوال عام اثنين وأربعين وثلاثمائة بعد الألف في غرفتي في مدرسة عبد الله باشا العظم في دمشق؛ فانتبهتُ وقت الفجر وإذا بي أُصبتُ في رجلي وفي يدي اليمناوين، بحيث بطلت حركتهما.

---

(١) الأعلام ١/ ١٨٧ (ط ٨).

فنُقلتُ في اليوم الثاني إلى المستشفى العام بدمشق، المبني بالبرامكة، فكنتُ فيه كالغريب، وصار مَنْ كنتُ أعلِّمه وأُصفِّي له قلبي كالعدو المهاجر المحتال، ومَنْ به من النصارى يعرفون قدري ويلاطفوني أحسن ملاحظة!

فكنتُ أُسلي نفسي بنظم الشعر بعد أن كنت تركته، وأروِّض يدي اليسرى على كتابة ما أنظمه.

ولمّا كان ذلك تذكاراً لما بُليتُ به قيدته في هذا الديوان، ليكون سانحة من السوانح، ويُعْلَمَ ما كنت فيه من تقلبات الدهر.

وهذه طليعة السوانح:

للّهِ أشكو الذي قاسيتُ من ألمِ	ومن همومٍ بها زاد الضَّنا ضَرَمي
قد بِتُّ ليلي في أمنٍ وفي دَعَةٍ	وفي صباحي لا أمشي على قدمي
أيقظتُ طَرْفي ورِجْلي مسَّها خَدَرٌ	وجاوَبَتْهَا يدي بالضَّعْفِ والوَرَمِ
نِصْفي اليمينُ أراهُ لا حِراكَ به	ولستُ أُظهرُ ما أُبدِيه من كَلَمي
من قبل وكنتُ كسُحبانَ بلا مللٍ	ومُرْهفَ القلمِ المحبوبِ من خَدَمي
مكثتُ في غرفتي والوهمُ خامرني	في وحدةٍ عن جميعِ الناسِ والأُممِ
سُكّانُ مدرستي ثارتْ مطامعهم	فأجمعوا أمرهم للغدرِ بالذِّممِ
جاؤوا عِجالاً وقالوا لي الوصيةُ قد	جاءتْ بها سُننٌ من قبلِ أن تَنَمِ
غدراً ومكراً أتوا للاستلابِ فما	فيهم صديقٌ سوى لصٍّ ومجترِمِ
فقلتُ ما لي سوى الأسفار من سببٍ	مملوءةٍ بصحيحِ العلمِ والحِكَمِ[1]

(١) علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي: حياته وآثاره، بقلم محمد بن ناصر العجمي. ــ بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ، ص ٦٤ ــ ٦٥.

[٤٨١]
المنفلوطي.. الأديب الإسلامي

وجدنا من يقول:

إنَّ مصطفى لطفي المنفلوطي هو الكاتب الذي احتفى أدبه بالحزن والشقاء والبكاء والخيانة الزوجية والانتحار وسقوط الفتيان والفتيات في مهاوي الرذيلة.

أو قد نجد من يقول:

إنه الكاتب الذي اتسمت كتاباته بالرومانسية المغرقة في الخيال نتيجة لقراءاته للأدب الرومانسي المترجم عن الغرب، وهو الذي خرج علينا بروايات رومانسية مترجمة، وكان له فضل تقريبها وصياغتها صياغة أدبية رائعة، كالفضيلة وماجدولين والشاعر وغيرها.

كما قد نجد من يقول:

إنه الكاتب الذي اتسمت كتاباته بالتهويل والتشاؤم المقيت ونعي الآدمية في أخلاقها وتفضيل الحيوان الأعجم عليها.

ولكن! قلما نجد من يؤكد لنا وجود الروح الإسلامية الحقة في كتابات المنفلوطي.

أجل، إن كتاباته جميعاً تدور حول ركيزة واحدة هي مخافة الله، والمثل العليا، والمبادىء السامية، وهذه هي جوهر الأديان السماوية والدين الإسلامي بصفة خاصة...

وفي ذلك يقول الأستاذ عمر الدسوقي رحمه الله:

كان المنفلوطي شديد التدين، سليم العقيدة، غير متزمت أو متعصب، لا يبيع دينه بأي ثمن مهما غلا. وكان فيه حياء يمنعه من الحديث

في المجالس، حتى ليظن مجالسه أن بلسانه حبسة وعيًّا، وأنه ليس ذلك الأديب الذي يسيل الكلام المنمق على شباة قلمه عذباً جميلاً، ولكنه إذا خلا بأحد خلصائه ممن يأنس لهم، انطلق على سجيته ورأيت فيه المنفلوطي الذي نعرفه!

ومن الشواهد على اهتمام المنفلوطي بترسيخ دعائم الأخلاق ودعوته إلى الفضيلة: شدة سخطه على الحضارة الغربية المادية التي جرّت الموبقات والمفاسد إلى الأمة الإسلامية، وباعدت بين الناس والسلوك الديني الطيب، وأبان للقارىء أنها كانت شركاً وخدعة استعمارية أتى بها الاستعمار لإشاعة الفحشاء والاتجار بالأعراض وانتهاك الحرمات، فكان همه محاربة هذه الأباطيل في شتى صورها[1].

[٤٨٢]
برنامج مفكر عالم

اللواء الركن محمود شيت خطاب أحد أعلام هذه الأمة في العصر الحديث، قدم للمكتبة الإسلامية أكثر من مائة كتاب وبحث في مجال العلوم العسكرية، فيها دعوة صادقة ومخلصة لتأصيل العلوم والثقافة العسكرية الإسلامية مع الأخذ بأسباب التقدم والرقي، وعشق لقادة الفتح الإسلامي الشجعان، وأولهم رسول الله ﷺ، وشارك في مؤتمرات إسلامية عديدة، وقدم بحوثاً متخصصة في غاية الجودة والثقافة المتخصصة العالية.

وقد سأله زميل له، برتبته العسكرية أيضاً: كيف تيسَّر لك هذا الوقت لكتابة كل هذه البحوث والمقالات والكتب؟

---

(١) المنفلوطي: حياته ومؤلفاته/ أحمد عبد الهادي. ــ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠١هـ، ص ١١٨ ــ ١٢٠.

فأجاب رحمه الله (وكان ذلك بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٤١٢هـ):

١ ــ أبدأ بعملي بعد صلاة الصبح مباشرةً كل يوم، وفي الأيام التي تلهيني بعض أعمال الدنيا أعاقب نفسي بقدر الساعات التي تركتها أو شغلت بها، في العمل ليلاً.

٢ ــ كان كل عملي للدعوة، كما يتبيّن من البحوث والكتب التي حرَّرتها، ومن كان عمله لله، بارك الله له في وقته، فالبركة من الله سبحانه وتعالى.

٣ ــ وقد كنت أحمل وأصحب معي ــ طوال أيام عملي في العسكرية ــ أربعة كتب ترافقني في حلّي وترحالي. وهي: القرآن الكريم، والمنتقى من أخبار المصطفى ﷺ لابن تيمية رحمه الله تعالى، ووحي القلم للرافعي رحمه الله تعالى، والقاموس المحيط للفيروزآبادي عليه الرحمة.

والواقع أنني لست خرّيج المدارس النظامية، بل أنا خرّيج المسجد.

وقد كانت المساجد مدارس كما هي مكانات للعبادة، فعمل المستعمر الأجنبي على عرقلة أنشطتها، ولكنّ الحكم الوطني قضى على أنشطة المساجد نهائياً، فأصبحت أماكن للعبادة التقليدية، ولا تخرّج المجاهدين ولا العلماء العاملين.

كما أنني لا أسمح بقضاء شيء من وقتي في النوادي والمقاهي ودور اللهو، وأبتعد ــ ما استطعت ــ عنها.

وأصاحب من هم أكبر مني سناً، وأغنى مني تجربة، وأكثر علماً، وخاصة علماء الدين.

وأوصي الشباب بمصاحبة العلماء العاملين، ليفيدوا منهم علماً وسلوكاً.

كما أنني كنت ـ طوال حياتي ـ أثق بالله ثقة مطلقة، وكل خير أصابني هو فضلٌ منه سبحانه، وكان فضل الله عليّ عظيماً[1].

[٤٨٣]

رجل من أمة محمد ﷺ

الدكتور أوزبك تشوتونوف أحد أبرز الدعاة والكتاب الإسلاميين ورئيس تحرير صحيفتي الأسرة والثقافة الإسلامية في جمهورية قيرغيزيا الإسلامية، ورئيس المركز الثقافي الإسلامي بها.

تخرَّج في كلِّيَّة الأسنان بجامعة الطب في مدينة بشكيك عاصمة قيرغيزيا، عمل طبيباً في جراحة التجميل ومحاضراً بالجامعة الطبية. له قرابة (٢١) بحثاً في طب التجميل منشورة في إنجلترا وأمريكا.

ترك الطب واشتغل بالفكر الإسلامي إثر زيارة له إلى بلغاريا التقى خلالها بأتراك مسلمين، فعاد من الزيارة مصمماً وعازماً على تعلم اللغة العربية ودراسة الإسلام، وكان عمره حينئذٍ (٣٢) عاماً، ولم يكن يصلي أو يعرف شيئاً عن الإسلام.

اتَّهموه بالجنون والعته حينما ترك ممارسة الطب واتجه إلى العمل للإسلام. أمه أضربت عن الطعام بسبب اشتغاله بالدعوة إلى الله، إذ كان ما خلَّفته الشيوعية في أذهان المسلمين أن الإسلام مجموعة من الأساطير والخرافات.

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب: سيرته وحياته ومؤلفاته، بقلم اللواء الركن يوسف بن إبراهيم السلوم. ـ الرياض ١٤١٢هـ، (ثم نشرته مكتبة العبيكان بالرياض).

من أسباب اتجاهه للعمل بالإسلام أن الساحة كانت تعاني من فراغ شديد في الدعوة إلى الله بعد سقوط الشيوعية، وكان «الملالي» لا يعرفون أبجديات الإسلام!

صار مقدم برامج إذاعية وبرنامج تلفزيوني أسبوعي على الفضائية القرغيزية تشاهده بعض الدول المحيطة.

الأدباء الذين كانوا يتهمونه بالجنون ـ فضلاً عن كافة المسلمين الآخرين ـ أصبحوا الآن يتهافتون على برامجه ومحاضراته.

دخل في مناظرات عديدة مع كبار الشيوعيين مما أسهم في عودة الكثيرين من المثقفين إلى الإسلام.

منهجه في الدعوة يقوم على الوسطية والمجادلة بالتي هي أحسن[1].

[٤٨٤]
بداية.. ونهاية

عيَّر رجلٌ سقراطَ بخمول نسبه، وكان آباء ذلك الرجل من ذوي المناصب العالية والرتب الرفيعة.

فقال سقراط: إليك انتهى مجد قومك، وبي ابتدأ مجد قومي، فأنا فخر قومي، وأنت عار قومك[2]!

(١) مجلة العالمية، ع ١٤٨ (رجب ١٤٢٣) ص ١٥١.

(٢) هداية الخليل إلى سواء السبيل، ص ١١٠.

[٤٨٥]
رجل نكص على عقبيه

أبو الكلام آزاد:

عرَّفه المسلمون باحثاً إسلاميًا وعالماً متعمّقاً من خلال دراسات عديدة له.

ومن المؤسف أن هذا الرجل بدأ حياته بداية إسلامية صحيحة، ثم انقلب على عقبيه بعد فترة قضاها في السجن عام ١٩٢٠م (وهو من مواليد ١٨٨٨م)،

وهو يدعونا إلى قبول العلمانية والقومية، وكلاهما بضاعة ثقافية أوروبية.

ويقرر أنَّ إحياء الدِّين ضرورة، قال: ولكن ذلك في مجال المسائل الاجتماعية يتنافى مع التقدُّم!

ويقول: إن قبول المسلمين الهنود للدولة العلمانية هو الطريق التي تضمن لهم إحياء مجتمعهم كما تضمن لهم الرفاهية!

وكان يصوِّب كل الأديان، كما عارض في إنشاء دولة باكستان الإسلامية المستقلة عن الهند.

وفي أثناء شغله منصب وزير التربية في الهند كان يعمل على أن تكتب اللغة الأردية بالحروف اللاتينية[1].

---

(١) نقد الثقافة الإلحادية/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم. ـ القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ، ص ٦٥.

[٤٨٦]

وزن إمام الإسماعيلية بالذهب

«آغا خان» إمام فرقة «الإسماعيلية»:

وُزن مرتين بالذهب، مرة في مدينة بومباي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، ووُزن مرة أخرى في شرق إفريقيا في السنة التالية، وذلك بمناسبة مرور خمسين سنة على ولايته إمامة الإسماعيلية.

ووُزن ثلاث مرات بالألماس سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م) احتفالاً بمرور ستين عاماً على إمامته.

ووُزن في القاهرة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) بالبلاتين بمناسبة الاحتفال بمرور سبعين عاماً على إمامته.

جمع أتباعه من أبناء الطائفة ما يوازي قيمة وزنه بهذه الجواهر وقدموا هذا المبلغ هدية منهم إليه في تلك المناسبات، رمزاً لحبهم العميق له وولاءً منهم لإمامهم[1]!

* * *

(١) كريم آغا خان إمام الإسماعيلية المعاصر/ كلود بريشر؛ ترجمة محمد نمر المدني. ـــ دمشق: الدار الحديثة، ١٤١٦هـ، ص ٣٢.

[٤٨٧]
المفترِق صقعاً

هناك علماء اشتهروا بنسبتهم إلى بلدانهم، وأسماء بعض البلدان تركيبها قريب من بعضها البعض، وخاصة فيما وراء النهر، فقد يشتبه على المرء بعض ما يرد منها. ولهذا صنف ياقوت الحموي كتابه: «المشترك وضعاً والمفترق صقعاً».

ومن الأسماء المتشابهة التي وقفت عليها في تاريخ الإسلام للذهبي[١].

فاشان: من قرى بغداد، وممن ينتسب إليها إسماعيل بن محمد المروزي الفاشاني.

باشان: قرية من هراة، منها أبو عبيد الهروي صاحب «الغريبين» وغيره.

قاشان: بلد مشهور بقرب قُمّ. وأيضاً بليدة بخراسان، وناحية من أعمال أصبهان.

قاسان: بلد كبير بما وراء النهر، وأهله يعقدون القاف فيقولون: كاسان.

---

(١) حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠، ص ٣٨٣.

[٤٨٨]

المدينة «النبوية» أم «المنورة»؟

كنت أتساءل عن مصدر وصف المدينة بـ «النبوية»، حتى وقفت على كلام لباحثين ذكروا أن إرداف المدينة بهذا الوصف درج عليه أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، لكنهم لم يذكروا سوى أسماء ثلاثة منهم، هم: سعيد بن المسيب، وابن تيمية، والسمهودي، عليهم رحمة الله.

وذكروا أن بعضهم يذكر اسم المدينة بلا وصف، مثل ابن شبّة «تاريخ المدينة» والزبير بن بكار «أخبار المدينة». . .

وأن بعضهم يصفها بـ «الشريفة».

قالوا: أما الوصف الذي اشتهر بين الناس اليوم قريناً لاسم المدينة وهو «المنورة» فلا ندري متى بدأ استعماله.

لكن الذي نعلمه أنَّ أحداً من أهل العلم أو من مؤرِّخي المدينة لم يستعمل هذا الوصف حتى القرن العاشر [الهجري]، بل وبعد ذلك.

وغالب الظن أنه من إحداث متأخري الأتراك.

ومعناه صحيح إن أُريد أن المدينة المنورة نُوِّرت بنور النبوة والوحي، وبتنزل القرآن.

لكن وصف المدينة بـ«النبوية» أجل وعظم وأوضح معنى؛ لأنَّ فيه تنويهاً بأهم اعتبار شُرِّفت المدينة به، وحظيت بأوفر نصيب منه، وهو نبوة محمد ﷺ.

كما أن في إحياء هذا الوصف ــ الذي ندر استعماله في عصرنا الحاضر، بل نُسي تماماً ــ إحياء لعادة السلف وتذكيراً بما اصطلحوا عليه، وعادات السلف ومصطلحاتهم أولى بالإحياء من عادةٍ مجهولة التاريخ. . .

هذا ما قالوا. والله أعلم[1].

وقد يفضِّلها البعضُ «منوَّرة»، بل ويشعرُ بحرجٍ في وصفها بـ «النبوية»، فهناك فرقٌ بين أن يُقال: إنها «نبوية»، و: إنها «تنوَّرت بالنبوَّة».

[٤٨٩]
الجبل.. أين هو؟

كثيراً ما يرد في كتب التراث أن فلاناً من الجبل.. فأين يعنون؟

قال ياقوت الحموي: الجبل اسم جامع للأعمال التي يقال لها الجبال... وهي ما بين زنجان وقزوين وهمدان وقرميسين (كرمنشاه) والري[2].

وبيَّن أبو منصور الثعالبي أن الجبل هو الاسم الذي كان يُطلق في العهد الإسلامي على المنطقة الغربية من بلاد فارس المحادَّة للعراق شمال خوزستان، وتسمى «الجبال» أيضاً. وكان هذا هو الإقليم الثاني من أقاليم مملكة فارس التي وضعها أنوشروان[3].

وذكر الزركلي في ترجمة أبي طالب المكي محمد بن علي (ت ١٣٨٦هـ) أنه من أهل الجبل (بين بغداد وواسط)[4].

---

(١) ينظر: التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة المنورة: المجمع، ١٤٠٦هـ، ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) معجم البلدان ٢/ ٥٠ مادة «الجبل» وص ٤٤ ـ ٥٠ مادة «الجبال».

(٣) غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، لأبي منصور الثعالبي، ط طهران، ١٣٨٣م، ص ٦٠٩.

(٤) الأعلام ٧/ ١٥٩ (ط ٢).

[٤٩٠]
القائد المسلم.. والمرأة المخبرة

القائد المظفر عبد الله بن قيس الجاسي، دوّخ البيزنطيين في عصر معاوية رضي الله عنه، وذلك من خلال قيامه بخمسين غزوة بحرية ناجحة!

وكان سرُّ نجاحه يعود إلى أنه لا يقوم بأية غارة قبل أن يقوم هو بنفسه مع من يثق به بجميع المعلومات عن هدفه.

فكان يدخل أراضي الأعداء على هيئة تاجر، فيتنقّل في الثغر الذي يريد مهاجمته، ثم يعود فيرسم خططه على بيِّنة وبصيرة..

ونتيجة لنجاحاته تلك غدا اسمه مرعباً للبيزنطيين في البحر، وأصبح شغلهم الشاغل التخلص منه. فبثوا مخابراتهم من الرجال المدربين على طول ثغورهم..

وبعد أن استنفدوا كل طاقاتهم دون جدوى، لجأوا إلى امرأة!

ويشاء الله أن تكون نهاية هذا البطل على يديها، والتي كانت إحدى المجندات في جهاز الاستخبارات البيزنطي، وكانت تتمتع بقدر عال من الذكاء، فقد كانت تتجول في الميناء على هيئة متسولة تستجدي الغرباء للتعرف عليهم ومعرفة نواياهم تجاه بلادها.

وفي ذات يوم دخل أمير البحر عبد الله بن قيس ذلك الميناء، فتمكنت من التعرف عليه نتيجة خطأ بسيط وقع فيه!

فقد دخل هو وصديق له ذلك الميناء على هيئة تجار من أجل الإعداد لغزوه، فاعترضته تلك المجندة وهي على هيئة متسولة، فأعطاها بسخاء على غير عادة التجار!

ونتيجة هذا التصرف اللافت للانتباه تفرَّست به ثم أسرعت إلى رئيسها، وأخبرته بأن عبد الله بن قيس في الميناء.

وعلى وجه السرعة هبُّوا إليه وأحاطوا به حتى قتلوه، وتمكَّن صاحبه من الفرار وأخبر المسلمين بما حدث!

وقيل لتلك المرأة التي دلَّت عليه: بأي شيء عرفتيه؟

قالت: بصدقته، فأعطى كما يعطي الملوك ولم يقبض قبض التجار، فعرفت أنه عبد الله بن قيس[1]!

[٤٩١]
مجاعة رهيبة!

* القحط والمجاعة التي أصابت مصر سنة ٥٩٧هـ أخبارها من أعجب ما مرَّ على البشر!

فقد أكلوا الميتات والبعر، ثم تعدَّوا إلى أكل الصغار، وكثيراً ما كان يُعثر على بعضهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون، فيأمر السلطان بإحراق الفاعل!

* ونقل الإمام الذهبي أخباراً في ذلك:

منها: قول الموفق عبد اللطيف (في كتابه الإفادة والاعتبار): رأيت صغيراً مشوياً مع رجل وامرأة أُحضرا فقالا: نحن أبواه!

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٠ نقلاً من كتاب: دور المرأة في الاستخبارات الإسلامية، سلامة محمد الهرفي. ـ د. م. د. ن، ١٤١٤هـ، ص ١٢.

فأمر بإحراقهما.

* قال: وأما مصر [يعني القاهرة] فليس لموتاها عدد، يُرمَوْن ولا يُوارَوْن، ثم عجزوا عن رميهم فبقوا في الأسواق والدكاكين!

* وأما بيع الأحرار فشاع وذاع، وعُرِضَ عليَّ جاريتان مراهقتان بدينار واحد!

* وسألتني امرأة أن أشتري ابنتها وقالت: جميلة دون البلوغ، بخمسة دراهم.

فعرَّفتُها أن هذا حرام!

فقالت: خذها هديّة.

* وأما الدجاجُ فعُدِمَ رأساً لولا أنه جُلبَ من الشام.

وحُكِي لي أن رجلاً جلب من الشام دجاجاً بستين ديناراً، باعها بنحو ثمانمائة دينار، فلمَّا وُجِدَ البيضُ بيعت بيضة بدرهم، ثم كَثُر.

* وسمعنا من الثِّقات عن الإسكندرية أن الإمام صلى يوم الجمعة على سبعمائة جنازة.

وأن تَرِكة انتقلت في مدَّة شهر إلى أربعة عشر وارثاً[1]!.

ونقلت أعجب من هذه الأخبار في كتابي «عجائب الفكر وذخائر العبر».

---

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠، للذهبي ص ٣١ ـ ٣٥.

[٤٩٢]
خطبة فتح بيت المقدس

قاضي قضاة الشام محمد بن علي بن محمد، محيـي الدين، الدمشقي الشافعي، ت ٥٩٨هـ، المعروف بابن الزكي.

كان من بيت قضاء وحشمة وأصالة وعلم.

وكان أديباً منشئاً بليغاً فصيحاً مفوَّهاً، عالماً صارماً، حسن الخط واللفظ.

شهد فتح بيت المقدس، فكان أول من خطب به بخطبة فائقة أنشأها:

قرأ أول شيء الفاتحة.

ثمَّ قرأ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

ثمَّ أول الأنعام، والكهف، وحمدلة النمل، وأول سبأ، وفاطر.

ثمَّ قال:

«الحمد لله معزِّ الإسلام بنصره، ومذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومديم النِّعم بشكره، ومستدرجِ الكفارِ بمكره.

قدَّرَ الأيامَ دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاءَ على عباده من ظلِّه، وأظهرَ دينه على الدِّين كلِّه، القاهر فوق عباده فلا يُمانَع، والظاهرُ على خليقته فلا يُنازَع، والآمرُ بما شاء فلا يُراجع، والحاكم بما يُريد فلا يُدافع.

أحمده على إظفارهِ وإظهارهِ وإعزازهِ لأوليائه، ونصره لأنصاره، وتَطهيرِ بيته المقدَّس من أدناس الشرك وأوضاره. حَمْدَ من استشعر الحمدَ باطن سرِّه وظاهر جهاره.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، الأحدُ الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. شهادةً من طهَّرَ بالتوحيد قلبه، وأرضى بها ربَّه.

وأشهدأن محمداً عبده ورسوله، داحض الشرك وداحض الإفك، الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعَرَجَ به إلى السماوات العُلى إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى».

ثم ترضًى عن الصحابة، ثم ذكر الموعظة، فأبلغ؛

مضمونها تعظيم بيت المقدس، وتعظيم الجهاد، والحثُّ عليه، والدعاء لصلاح الدين.

وكان له يومئذ ٣٣ سنة.

واسمه على تثمين قبَّة النَّسر بخطٍّ كوفي بفَصٍّ أبيض، وهو ظاهر في الجهة الشرقية.

[٤٩٣]
الساحر والحرب

حادثة عجيبة..

مشعوذ متحيِّلٌ مارقٌ نصَّابٌ، اسمه أبو الكرم العجمي الصوفي (ت ٦٣٧هـ).

ظهر ببخارى وأراهم الخوارق ـ سحراً ـ فكان يأمر من يرميه بسهمٍ، فتثقلُ يدهُ ويعجز!

فكثر جمعه، واستفحل شأنه.

وقال: أنا قادرٌ على قتل المغول بنفسي بقدرة الله بلا سلاح! وشدَّ على مسؤول كبير ببخارى فقتله في عدة من المغول.

فعظم أمره على «جرماغون» وجهَّز لحربه، فبرز أبو الكرم العجمي في ألوف من الناس بلا سلاح! فالتقى الجمعان، فأحجمت عنه المغول!

فقال أحد المقدَّمين في الجيش: أنا أريد أن أجرِّب!

ثم شدَّ على أبي الكرم فطيَّر رأسه، وحملت المغول على من جاء معه فحصدوهم! فيقال: قتلوا ستين ألفاً! وذلك سنة ٦٣٧هـ[١].

[٤٩٤]
تزوير «حرف» من المعاهدة

أحمد بن المهدي الغزال كان من كبار رجال سلطان المغرب محمد بن عبد الله، كاتباً، ومن مستشاريه المقرَّبين. وقد أرسله للتفاوض مع ملك الإسبان كارلوس، فدوَّن رحلته في كتاب بعنوان «نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد»[٢]، وانتهى معه إلى معاهدة بين البلدين سنة ١١٨١هـ، فيها تقارب بين البلدين، وسراح أسرى مسلمين.

وفي أواخر سنة ١١٨٢هـ غزا السلطان محمد مدينة مليلة التي كانت خاضعة للإسبان، فأحاطت جيوشه بها ونصبت عليها المدافع والمهاريس، وشرع في قصفها، وحاصرها أياماً. وظل على ذلك حتى كتب إليه الملك كارلوس يذكره بمعاهدة الهدنة والصلح المعقودة بين الدولتين ويقول له: «هذا خط كاتبك الغزال الذي كان واسطة بيني وبينك في عقد الصلح لا يزال تحت يدي».

(١) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦٣١ ــ ٦٤٠، للذهبي، ص ٣٥٧.

(٢) صدر بتحقيق إسماعيل العربي. ــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٤٠٤هـ، ٢٤٧ ص.

فأجابه السلطان محمد بن عبد الله قائلاً: «إنما عقدت معك المهادنة في البحر، فأما المدن التي في إيالتنا فلا مهادنة فيها..».

وإثر ذلك بعث إليه ملك إسبانيا بنص المعاهدة، وإذا بالنص يشتمل على كلمتي البر والبحر!

وإزاء هذا الوضوح لم يسع السلطان إلاَّ أن يفك الحصار عن مليلة ويفرج عنها، تاركاً هناك في الميدان جميع مدافعه وآلات حربه وذخيرته وعرباته، مشترطاً على ملك إسبانيا أن يتولَّى نقلها له على متن السفن الإسبانية.. فوافق على ذلك برحابة صدر!

وهذا الفشل العسكري والدبلوماسي أثار سخط السلطان محمد، وصب جام غضبه على أحمد بن المهدي الغزال، الذي اتخذ منه كبش الفداء، وعزله من منصبه.

أما سوء التفاهم فمنشؤه أن الغزال كتب في صدر المعاهدة ما نصّه:

«إن المعاهدة بيننا بحراً لا براً». فلما وقع صك المعاهدة في أيدي الإسبان عمدوا إلى التزييف، فمحوا اللام ألف وجعلوا مكانها واواً، فصار النص: «بحراً وبراً»!

والمحاولات التي بذلها ابن الغزال للشرح، على الرغم من إثباته للتزوير، لم تقنع السلطان، الذي أنكر عليه اختصاره القول واختزاله، بحيث انطوى النص على إمكانية للتزوير، الأمر الذي سهل على النصارى مهمتهم في التحريف، بينما كان في إمكانه أن يأتي بعبارة طويلة، كأن يقول: «إن المهادنة، بيننا وبينكم في البحر، وأما في البر فلا مهادنة» أو ما يشبه ذلك[1].

---

(١) من مقدمة المحقق ــ باختصار للكتاب المذكور.

[٤٩٥]

تاريخ وعبرة.. من تبريز

كانت بلاد فارس تدين بالمذهب السني منذ الفتح الإسلامي لها، ما عدا مدينة «قم» وبلدات أخرى صغيرة.

لكن المذهب الشيعي بسط نفوذه على هذه البلاد منذ أن استولى إسماعيل الصفوي عليها، وأعلن المذهب الشيعي الإمامي مذهباً رسمياً للدولة الصفوية عام ٩٠٧هـ.

وفعل كل ما في وسعه من قتل وتذبيح يفوق الوصف من أجل فرض هذه العقيدة.

ومن أسوأ ما قام به أن أرسل مجموعة من المشاغبين ليدوروا بين الأحياء والأزقة ويشتموا الخلفاء الراشدين.

وأطلق على تلك المجاميع اسم «براءة جويان»: المتبرؤون من الخلفاء الراشدين.

وكانوا يطلبون من كل شخص أن يردد عبارة الشتم و «زد ولا تنقص» والذي يمتنع من ترداد العبارة يقومون بتقطيعه.

فلم يكن أمام أهل فارس من جرَّاء هذه الأعمال التعسفية إلاَّ الهروب بدينهم، أو قبول مذهب التشيع مكرهين.

وأدَّت أفعال الشاه إسماعيل هذه إلى غضب الخليفة العثماني السلطان سليم الأول، الذي قاد الحرب على الدولة الصفوية، وتمكن من فتح مدينة تبريز.

لكنه عندما خرج سقطت مرة أخرى بأيدي الصفويين، الذين قاموا

على الفور بارتكاب مجازر جماعية مروِّعة، اقتلعت أهل السنة في تلك المدينة تماماً.

وأصبحت تبريز مدينة شيعية بالكامل، حيث إنه قتل في يوم واحد مائة وأربعون ألفاً من أهل السُّنَّـة والجماعة!

قال أحد المستشرقين: لولا الصفويُّون في إيران لكنا اليوم في بلجيكا وفرنسا نقرأ القرآن كالجزائريين!

وهذا لأن الصفويِّين شغلوا الدولة العثمانية عن استمرارها في فتح بلدان أوروبّا...»(١).

[٤٩٦]
أصل تسمية الشيشان

الشيشان من الشعوب التي سكنت شمال القفقاس منذ زمن طويل، فقد عُرفوا باسم «نختشي» أو «ويناخ» ومعناها «شعبنا». وكان هذا الاسم يطلق على كافة القبائل الشيشانية، كما كان الرومان يسمّونهم «كستين» أو «كيستي» أو «الكيست». وهناك منطقة ما زالت تحمل هذا الاسم حتى الآن تقع على الحدود الفاصلة بين جورجيا والشيشان.

أما الاسم الحالي (الشيشان) فأول من استعمله هم الروس عام ١٧٠٨م، ثمّ شاع استعماله بعد ذلك، وما زالت المنطقة تعرف بهذا الاسم،

---

(١) جهود أبي الثناء الآلوسي في الرد على الرافضة/ عبد الله بن بو شعيب البخاري. ــ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٨هـ (رسالة دكتوراه)، ص ٥، (والمعلومات السابقة نقلها من كتاب: أهل السنّة في إيران قبل ثورة الخميني وبعدها، ص ١٥ ــ ١٧).

وانسحب على سكان المنطقة فاشتهروا بهذه التسمية (الشيشان).

وسبب هذه التسمية يرجع إلى القرية الشيشانية المسماة (تشيتشين) الواقعة على نهر «الأرغون» على بعد (١٥) كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من العاصمة (غروزني)، حيث وقع أول صدام مسلح بين الروس والشيشان بالقرب من هذه القرية عام ١٧٠٨م، فاستعمل الروس هذا اللفظ (شيشان)، وأطلقوه على المنطقة وسكانها[١].

[٤٩٧]
خراسان.. اليوم

تتألف خراسان في اللغة الفارسية من كلمتين «خر» ومعناها الشمس، و «آسان» ومعناها المشرقة، فهي بلاد الشمس المشرقة التي تشمل مساحة واسعة، تقع إلى الشرق من بلاد فارس، وتترامى إلى نهر جيحون.

وهي مقسومة في الوقت الحاضر بين ثلاث دول، هي: الاتحاد السوفييتي (سابقاً)، وأفغانستان، وإيران.

أما ما أضيف منها إلى الاتحاد السوفيتي فيشمل المنطقة الممتدة من مرو الشاهجان إلى نهر جيحون. وأما ما ضمَّ منها إلى أفغانستان فهو الرقعة الواقعة إلى الشرق من خط يبدأ من سرخس في الشمال، ويمتد إلى الجنوب ماراً بمنتصف المسافة بين طوس وهراة. وأما سائرها فتابع لإيران[٢].

---

(١) الشيشانيون الأردنيون/ راتب محمود البشايرة. ــ عمان: وزارة الثقافة ١٤٢٠هـ، ص ٣٨.

(٢) الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي/ حسين عطوان. ــ عمان: مكتبة المحتسب، ١٣٩٤هـ، ص ٢١.

[٤٩٨]
التتار.. اليوم

في لقاء مع المفكر الإسلامي الدكتور أرثور سعدييف ذكر أن الروس ألغوا جمهورية تتار القرم عام ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٤م، وقاموا بتشتيت الشعب التتري المسلم.

حيث اقتحمت القوات السوفييتية في ١٨ مايو/ أيار ١٩٤٤م جميع مدن وقرى التتار، وانتزعوا الأطفال من أحضان أمهاتهم، وفجروا منازل المسلمين، كما نسفوا (١٥٠٠) مسجداً، وعدداً كبيراً من المدارس والمكتبات الإسلامية، وأحرقوا المخطوطات الإسلامية النادرة التي وضعها علماء الإسلام التتار عبر المراحل التاريخية المختلفة، حتى أبيد التراث الإسلامي التتري كله!

كما قام الروس السوفييت بشحن أبناء الشعب التتري المسلم في القطارات المخصصة لنقل الحيوانات دون تزويدهم بالماء والغذاء لعدة أسابيع، حتى استشهد نحو مليونين ونصف المليون مسلم خلال عمليات التهجير اللاإنسانية.

وأعدموا رئيس جمهورية تتار القرم الإسلامية، وألغوا جمهورية تتار القرم عقاباً لهم بسبب تعاونهم مع ألمانيا ضد الاتحاد السوفييتي في الحرب الثانية، ثم أعلن الروس براءة التتار من هذه التهمة.

وذكر أنه يوجد (١٨) مليون مسلم من التتار، منهم (٣) ملايين في جمهورية تتار، تتارستان.

قال: وهذا يعني أن هناك (١٥) مليون تتري مسلم يعانون من التشرد والضياع وعدم الانتساب إلى وطنهم.

وجمهورية تتاريا لا يمكن أن تكون بديلاً لجمهورية تتار القرم أو تعويضاً للشعب التتري المسلم.

وطالب المجتمع الدولي بتأييد حق هذا الشعب لاسترداد وطنه المسلوب.

وذكر أن التتار حافظوا على هويتهم الإسلامية أثناء الحكم الشيوعي، فلما منعت المصاحف حفَّظوا أبناءهم القرآن غيباً، وعلموهم قصائد فيها تعاليم الإسلام...[1].

[٤٩٩]
موقفان لا ينسيان في أنديجان

في رحلة إلى أنديجان قام بها رئيس تحرير صحيفة «العالم الإسلامي» الأستاذ مراد عرقسوس، يحدِّثنا عن موقفين لا ينسى أمرهما فيقول:

أنديجان منطقة تتبع جمهورية أوزبكستان الواقعة في وسط آسيا، وهي من الجمهوريات الإسلامية التي استقلت في عام ١٩٩١م عما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي سابقاً.

ويتكون سكان أوزبكستان من مجموعات عرقية متنوعة أكبرها الأوزبك، ويمثلون أكثر من ٧٠٪، وينحدرون من قبائل تركية ومغولية، وغالبية السكان مسلمون. ومنطقة أنديجان تبعد عن طشقند العاصمة الأوزبكية نحو ساعة بالطائرة، وصادف وقت زيارتها تساقط الثلوج بغزارة، وقد كان لي فيها موقفان:

---

(١) مجلة الدعوة (السعودية) ع ١٦٦٤، ص ٢٤.

الموقف الأول: عندما أدركتنا صلاة العصر ـ وكنّا بالقرب من أحد المساجد ـ ولجنا إلى بيت الله لأداء الصلاة، وبعد انتهائها رأيت المصلين يتسابقون للجلوس في طابور طويل يبدأ من عند أحد أعمدة المسجد وينتهي عند المدخل. ثم قام إمام المسجد بعد ذلك بفتح صندوق حديدي مثبت في المسجد وأخرج مصحفاً قديماً، وبدأ كل شخص من المصطفين يقرأ صفحة واحدة فقط من المصحف تحت إشراف الإمام ويغادر المسجد، ثم الذي يليه، وهكذا. وتبين أن هذا الطابور من المصلين ينتهي عند أذان المغرب، نظراً لأن هذا المسجد لا يوجد فيه سوى هذا المصحف فقط. وبالتالي تبين أيضاً أن جميع المصلين لا يملكون مصاحف خاصة بهم في منازلهم.

الموقف الثاني: تلبية لدعوة مفتي أنديجان قمنا بزيارته في منزله الواقع في أحد المرتفعات الجبلية المغطاة بالثلوج، ورأيت في منزله صندوقاً حديدياً أشبه بالصندوق الموجود في المسجد، وعندما سألته هل هذا صندوق للمصحف؟ أومأ بالإيجاب، وقام بفتح الصندوق، وأخرج مصحفاً لا توجد به صفحة واحدة غير ممزقة، وعندما تصفحته تبين أنه مطبوع في الهند باللغة العربية في عام ١٣٠٣هـ، أي قبل نحو مائة وعشرين عاماً. وأخبر المفتي بأنهم كانوا يقرأون في هذا المصحف منذ أكثر من سبعين عاماً، وهي الفترة التي أطبقت فيها الشيوعية على الإسلام في تلك الديار.

وكان معي في حقيبتي اليدوية مصحفان، قدمت أحدهما هدية لفضيلة المفتي، فاغرورقت عيناه بالدمع لأول وهلة ولم يتمالك نفسه، ثم أجهش بالبكاء فرحاً بهذا الإهداء.

الله أكبر، كم في هذا العالم مثل هذا المفتي وهذه الجموع المسلمة التي ترنو وتهفو وتتطلع إلى امتلاك نسخة واحدة فقط من كتاب الله، وكم هي الأقليات المسلمة المنسية والمحرومة من المصاحف والكتب الإسلامية في

أمريكا الجنوبية والقارة الاسترالية والأدغال الأفريقية والجزر الآسيوية والمهاجر الأوروبية.

وإن كان هناك شيء من اللوم على بعض الجهات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية، إلاَّ أن بعض حكومات تلك الدول تمنع دخول المصاحف والكتب الإسلامية إليها..

﴿... وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

[٥٠٠]
قسم التعذيب

في رحلة نادرة للأستاذ محمد بن ناصر العبودي الرحالة المسلم المعروف إلى بلاد البيرو، أخذه الدليل إلى قصر قديم اسمه «بيروتس» في شارع الإنكاي بمدينة ليما، وهو من أقدم المباني التي خلفها المستعمرون الإسبان، الذي يعود إلى عام ١٥٦٨م، ويستعمل الآن بمثابة متحف يضم ــ من بين ما يضم ــ قسماً للتعذيب، تعذيب السجناء، في مناظر تقشعر منها الأبدان.

وقد صوروا تماثيل الرجال من الجبس أو الصلصال، وطلوا هذه التماثيل بطلاء أغبر يجعلها تبدو كالقديمة.

من ذلك: منظر سجين وضعت رجلاه في خشبة كبيرة وقد ربطوها في خشبتين كبيرتين لا يمكن تحريكهما.

وبعض السجناء قد قرن بحبل مع صاحبه بحيث أن أي حركة من أحدهما لا بد أن يتحرك منها الآخر.

---

(١) العالم الإسلامي، ع ١٧٧٦، ٧/ ١١/ ١٤٢٣هـ.

وبعضهم مربوط بسلاسل غليظة من الحديد مع كرة كبيرة من الحديد أيضاً مربوطة في رجله حتى تعيق حركته وهو مربوط.

ثم سجن آخر في غرفة تحت الأرض فيها رجل قد شدت أطرافه الأربعة كلها بحبال إلى أوتاد غليظة في الأرض وهو يصرخ من شدة الألم.

وآخر مصلوب على الجدار.

وآخرون مشنوقون ومعلقون من رقابهم.

وآخرون معلقون في الجدار وهم أحياء وقد رفعوهم عن الأرض، فلا يستطيعون الوقوف ولا الجلوس!

ومن المناظر الشنيعة منظر رجل قد وضع صدره في صندوق ورجلاه ويداه خارج الصندوق مع ثقوب فيه، فلا يستطيع تحريك أعضائه، لأنه لا يستطيع تحريك الصندوق.

... ومن أفظع ذلك منظر قبو مظلم تحت الأرض موحش، حتى بناؤه رث خشن، وقد فرشت أرضه بجماجم حقيقية لرجال ماتوا تحت التعذيب، وقد حفروا عند باب الخروج بئراً قد سدت الطريق، فمن يحاول الهرب من هذا القبو يسقط فيها! وقد غُطِّي البئر بألواح من الخشب مررنا فوقها.

وهنا قال الدليل: إن هناك مناظر في هذا المتحف ولكنني لن أريكم إياها لكي لا أزيدكم حزناً[1]!

* * *

(١) على قمم جبال الإنديز/ محمد بن ناصر العبودي. ــ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٠هـ، ص ٤٠.

فَهرِسْ ٱلمَوضُوعَات

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الرقم/ الموضوع	الصفحة

ثقافة إسلامية (متفرقات)

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الآداب والأخلاق

وعظ.. ودعوة

المساجد

في الأسرة.. والعلم

علوم القرآن والتفسير

علوم الحديث والسيرة

العقيدة والفِرَق

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الرقم/ الموضوع | الصفحة

الأدعيـة والأذكـار

أصول الفقه والأحكام الشرعية

الرقم/ الموضوع | الصفحة

الطّهارة والصّلاة

عبادات أُخرى

المعـامـلات

فـي الـزُّواج

الجنايات والعقوبات

السِّيَر والجهاد

من أنظمة الشريعة

الفتاوى الشرعية (الحلال والحرام..)

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الزُّهد والرَّقائق

العلـوم الاجتماعية

العلوم البحتة والتطبيقية

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الفنون

الرقم/ الموضوع | الصفحة

اللغة

الأدب

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الأعلام.. وأحوالهم

الرقم/ الموضوع	الصفحة

الرقم/ الموضوع	الصفحة

التاريخ والجغرافيا

الرقم/ الموضوع	الصفحة

● ● ●